دراسات تاريخية

مجلة علمية فصلية تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

مجلة علمية فصلية محكمة

تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب

١٩٨٩ / ٣-٤
٣٣ / ٣٤

السنة العاشرة ، العددان ٣٣/٣٤ ، ايلول ـ كانون الاول ١٩٨٩

دراسات تاريخية

مجلة علمية فصلية محكمة

تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب

تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق

هيئة الإشراف

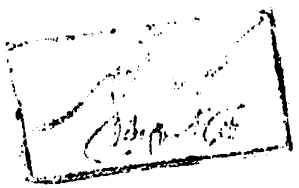

د. شاكر الفحام — المدير المسؤول

د. محمد خير فارس

د. نبيه عاقل

د. عبد الكريم رافق

د. أحمد بدر

محمد محفل

ناظم كلاس — رئيس التحرير

السنة العاشرة ، العددان ٣٣ و ٣٤ ، ايلول ـ كانون الاول ١٩٨٩

DIRASAT TARIKHIYYAH

Revue historique trimestrielle

S'interesse a L'histoire des Arabes

Pubiée par la Commission de Redaction de l'Histoire des Arabes

Commité de lecture :

CHAKER FAHHAM ... ... Directeur

M. KHEIR FARES

NABIH AKEL

ABDUL KARIM RAFEQ

AHMAD BADR

MOHAMMAD MOUHAFFEL

NAZEM KALLAS ... ... Redacteur en chef

● بدل الاشتراك السنوي :

للافـراد : (٥٠) ل.س خمسون ليرة سورية

للمؤسسات : (١٠٠) ل.س مائة ليرة سورية
(تضاف اليها اجور البريد)

في البلاد الاجنبية : (١٠) عشرة دولارات اميركية
(بما فيها اجور البريد)

يتم تسديد بدل الاشتراك :

● بحوالة بريديـة الى لجنـة كتابة تاريـخ العـرب ، مجلـة دراسات تاريخيـة ، جامعة دمشـق .

● بتحويل القيمة الى حساب جامعة دمشق المفتوح في مصرف سورية المركـزي تحت رقم ٢٣/٣٣٢٣ .

يمكن للراغبين باقتناء مجموعات الاعداد الصادرة في السنوات السابقـة الاشتراك بالبدل نفسه لكل سنة من السنوات : (١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨) .

المراسلات : مجلة دراسات تاريخية

جامعة دمشق ـ لجنة كتابة تاريخ العرب

المكاتب : جامعة دمشق ـ كلية طب الاسنان ط ٣ ـ هاتف ٢٢٢٤٦١

دراسـات تاريخية
١٩٨٩ / ٣ ـ ٤
٣٣ ـ ٣٤

دراسات تاريخية

السنة العاشرة ، ٣٣ و ٣٤ ، أيلول ــ كانون الاول ١٩٨٩

* عصر النهضة العربية ونشأة الفكر القومي وتطوره (بلاد الشام)

د. احمد برقاوي ١١

* جانب من فعاليات محب الدين الخطيب (الجانب الصحفي)

د. سهيلة الريماوي ٢٣

* نموذج في دراسة تاريخ واصول العشائر الاردنية (معان) في الوثائق العثمانية

د. سعد ابو دية ٤٩

تنويـه

- **الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر صاحبها**
- **ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنيـة**

* علم التاريخ عند المسلمون وتطوره (في القرن الرابع الهجري)
د. محمد رجائي ريـان ٧٥

* القصص والقصاص في صدر الاسلام بين الواقع التاريخي والنظرة الفقهية
د. جمال محمد داود جودة ١٠٥

* البنية النظرية لكتاب الانيق في المناجيق لابن أرنبغا الزردكاش
م. آزاد علـي ١٤٣

* من تاريخ اللغة العربيـة
د. مسـعود بويـو ١٦١

شـروط النشـر في المجلـة

ان مجلـة دراسـات تاريخيـة هي جزء مـن **مشروع كتابـة تاريخ العـرب** ، وخطوة من خطـوات تخدم كلها وبمجموعهـا الغرض الاسـاسـي ، وهو كتابـة تاريخ العرب من منطلق وحدوي ، وضمن منظوري الفهم الحضاري للتاريخ والتقيد بأسلوب البحث العلمي ، تحاول طرح الجديد في ميدان البحث في التاريخ العربي ، وتسـليط الضوء على التيارات العامة التي حركت تاريخ الامة العربية واعطته خط مسـار خاص به ، وايضاح ما لفه الغموض وتصحيح ما شوه وكشف الزيف ان وقع ، وكل ما يمكن ان يثير جدلا علميا واعيا ينتهي عند الحقيقة الموضوعية .

والمجلة ترحب بكل قلم يشارك في اغناء فكرتهـا وبكل مقترح ورأي يسـاعد في مسيرتها ، وتنشر البحوث والدراسات في تاريخ العرب وما يتصل بـه ، على أن يراعى فيها ما يلي :

آ ـ ان تتوافر في البحث الجدة والاصالة والمنهج العلمي .

ب ـ أن لا يكون البحث منشورا من قبل .

جـ ـ ان يكون مطبوعا على الآلة الكاتبة ، خاليـا من الاخطاء الطباعية .

د ـ تعرض البحوث ، في حال قبولها مبدئيا ، على محكمين متخصصين لبيان مـدى صلاحيتها للنشر ، وفـق المعايير المذكورة اعلاه ، والتعديـلات اللازم ادخالهـا عليها عند الاقتضاء . وتبقى عملية التحكيم سرية .

وتحتفظ المجلة بحقها في الحذف او الاختزال ، بما يتوافق مع اغراض الصياغة .

ولا تنشر المجلـة قوائم المصادر والمراجـع ، ولذلك يحسن ان يتقيد السـادة الباحثون بشكليات التوثيق المتعارف عليها ، على النحو التالي :

آ ـ في ذكر المصادر والمراجع (للمرة الاولى) :

ذكر اسم المؤلف كاملا وتاريخ وفاته بين قوسين ( ) ان كان متوفى ، اسم المصدر او المرجع وتحته خط ، عدد المجلدات أو الاجزاء ، اسم المحقق ان وجد ، الناشر ، المطبعة ورقم الطبعة ان وجدت ، مكان النشر وتاريخه ، الصفحة .
ثم ذكر ما يشار به الى المصدر أو المرجع في المرات التالية .

ب ـ في محاضر المؤتمرات :

ذكر اسم الباحث كاملا ، عنوان الدراسة كاملا بين قوسين مزدوجين « » ، عنوان الكتاب كاملا ، اسم المحرر او المحررين ، الناشر ، المطبعة ورقم الطبعة ان وجدت ، مكان النشر وتاريخه ، الصفحة .

جـ ـ في المجلات :

اسم الباحث كاملا ، عنوان البحث بين قوسين مزدوجين « » اسم المجلة كاملا وتحته خط ، رقم المجلد او السنة ، رقم العدد وتاريخه ، الصفحة .
ثم ذكر الرمز الذي يشار به الى المجلة في المرات التالية :

د ـ في المخطوطات (للمرة الاولى) :

اسم المؤلف كاملا ،عنوان المخطوط كاملا ،الجهة التي تحتفظ به ، تاريخ النسخة وعدد أوراقها ، رقم الورقة مع الاشارة الى وجهها (آ) وظهرها (ب) . ثم ذكر ما يشار به الى المخطوط في المرات التالية .

وتكتب الاسماء الاجنبية بالعربية واللاتينية بين قوسين ( ) ، ويشار الى الملاحظات الهامشية بنجمة * . **وترقم الحواشي بارقام تتسلسل من اول البحث الى آخره ، دون التوقف عند نهاية الصفحات .**

يمنح الباحث نسخة من العدد الذي نشر فيه بحثه ، مع عشرين (مستلة) من البحث .

الندوة العلمية الثانيـة
للجنة كتابـة تاريخ العرب بجامعة دمشق

البنى الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي على مر العصور

« العلاقات الزراعية »

في اطار الخطة المرحلية للجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ، تاخذ الندوات العلميـة المتخصصة موقعا مهمـا ، وتعرض فيها وتناقش دراسـات معمقة لظاهرات اجتماعية واقتصادية ، تعنى ـ شاقوليا وافقيا ـ بتتبع هذه الظاهرات وابراز سماتها المشتركة في ارجـاء الوطـن العربي ، ووجـوه الاختلاف فيمـا بينها بتاثير الظروف والخصائص الاقليمية . كما تعنى بتتبع الظاهرة باقليم معين وما طرا عليها مـن تطور وتبدل على مر العصور . وتنتهي دراسة هـذه الظاهرات وما فيها مـن اشكالات ، بالضرورة ، الى دراسة اشكالات كتابة التاريخ العربي بشكل عام ، بمنهجية علمية ، وموضوعية تكفل عدم الوقوع في المعالجة النظرية .

في هذا السياق تاتي الندوة الرابعة للجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشـق ـ والثانية في سلسلة الندوات العلمية المتخصصة ـ وموعدها النصف الثاني مـن شهر تشرين الاول ١٩٩٠ ،لتدرس جانبا رئيسا من جوانب المحور الاساس «البنى الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي على مر العصـور » يدور حول « العلاقات الزراعية » .

وفيما يلي ، على سبيل المثال ، بعض موضوعات تندرج في اطار المحور المذكور :

١ ـ قوى الانتاج في الريف وطرق التصرف بالارض واساليب استغلالها (المزارعة ، الايجار ، الضمان ، الشراكة ...) من ملكية خاصة ، وملكية الدولة ، والملكية المشاعية .

٢ ـ المحاصيل الزراعية وما يرتبط بها ، الضرائب الزراعية .

٣ ـ الاوقاف بنوعيها الخيري والاهلي (الذري) ، والمؤسسات التي قامت عليها .

٤ ـ وسائل وطرق تبادل المنتجات الزراعية بين الريف والمدينة .

٥ ـ الانماط السائدة في العلاقات الزراعية في ارجاء الوطن العربي .

٦ ـ دراسة انماط العلاقات الزراعية في قطر ما وتطورها ، وما دخل عليها من تبدلات عبر العصور .

٧ ـ موقع العلاقات الزراعية واثرها في الانظمة السياسية ـ الاجتماعية السائدة (اقطاع ، بورجوازية ـ راسمالية ..).

٨ ـ موضوعات اخرى ذات صلة .

واللجنة ترحب بمن يرغب المشاركة في هذه الندوة ، من الاخوة الباحثين ، وتستضيف منهم من يُقبل بحثه ، وتزوده بتذاكر السفر . على ان تتسلم البحث مطبوعا قبل نهاية شهر تموز (يوليو) ١٩٩٠ .

* * *

دراسات تاريخيـة

١٩٨٩ / ٣ ـ ٤
٣٣ ـ ٣٤

عصر النهضـــة العربيـــة
ونشـــاة الفكر القومي وتطـــوره

(بـلاد الشـــام)

الدكتور احمد برقـاوي
جامعة دمشق

بات من المتفق عليه اعتبار بلاد الشام مهد النزعة القومية العربيـــة وتطورها ، لتاخذ فيما بعد صيغة المذهب العروبي العلماني(١) .

فعلى خلاف مصر التي ظهر فيها في عصر النهضة تيار الجامعة الاسلامية(٢) ، فان بلاد الشـام والعراق ، بسبب العلاقة المباشرة مع الاتراك والاضـــطهاد القومي ، قـــد طرحت عبر عدد كبير من المثقفين مسالة الهوية القوميـــة ، ومسالة موقـــع العرب في الامبراطورية العثمانية . وما دفاع المثقف العربي في عصر النهضة عن الرابطة العثمانية مع الدعوة الى المساواة بين جميع اقوامها ، والدعوة الى حكم لا مركزي يضمن للعرب حقوقهم السياسية ، ثم طرح الاستقلال الكامل عن جسد الامبراطورية العثمانية فيما بعد ، الا اشكالا مختلفة من الوعي القومي العربي .

ان طرح الهوية القومية العربية كثمرة للتمايز بين العرب والاتراك ، الذي نمـــا في ظل اضطهاد العرب ، يجب ان لا ينسينا أن العرب قد طرحوا هويتهم القوميةفي مناخ عالمي ولدهالغرب، وهو مناخ انتشار الوعيالقوميونشوء الدولة القومية. وهذا ماسمح لعدد كبير من المفكرين العرب والمتواصلين بهذا الشكل او ذاك مع الحضارة الغربية ، بتاسيس وعيهم القومي تاسيسا نظريا .

لا يرتد الصراع بينالعرب والاتراك الى بدايات الاحتلالالعثماني للمنطقة العربية. فالامبراطورية العثمانية ، من حيث بنيتها الاقوامية ، لم تكن لتختلف عن بنيـــة الدولة العباسية الاسلامية ، ولم يكن التمايز بين الشعوب قائما على اضطهاد شعب لشعب آخر . بل ان الدولة العثمانية، كدولة اقطاعية شرقية اوتوقراطية اسلامية، كانتدولة مضطهدة لجميع الاقوام التي تتالف منها بما في ذلك الاتراك . وقد شكل الاقطاعيون العرب ــ في مرحلة من مراحل تطور الدولة ــ جزءا لا يتجزا من آلة الدولة المستبدة . غير ان دخول هذه الامبراطورية في فلك الاقتصاد الراسمالي الاوربي ، وبداية تحلـــل العلاقات الاقطاعية القديمة ، دفع ، الى الامام ، عملية الاحساس بالتمايز القومي لدى الفئات الاكثر ثقافة ومصلحة بالاستقلال ، في وقت غدا فيه تاثير الثقافة الاوربية تاثيرا

كبيرا . وان تغيرا مهما قد حصل في الوعي السياسي لدى الشعوب المنضوية تحت سلطة الامبراطورية العثمانية ، اذ بدأ الاحساس بانتمائها القومي خارج سلطة الدولة والانتماء اليها ، وصار الحديث واسعا حول حق هذا الشعب او ذاك ، من الشعوب التي تشكلت منها الدولة في القرن التاسع عشر الذي يجب ان يضمنه الدستور ، والاشتراك على قدم المساواة مع الاتراك في ادارة شؤون الدولة .

وليس غريبا ان تنشأ النزعة القومية العربية في سورية والعراق في وقت واحد مع نشوء النزعة القومية التركية .

ولقد جاء وعي العربي لهويته القومية في مرحلة انحطاط الدولة العثمانية ومحاولة اصلاحها ، وتشكل فئات التجار والمثقفين ، وتنامي أطماع الغرب ودخوله حياة الدولة من بابها الواسع . ولم تستطع الدولة العثمانية المتخلفة ، ذات الطابع الاقطاعي ، ان تكشف مصالح هذه الفئات الجديدة التي ساهم الراسمال الغربي والثقافة الغربية في نشأتها وتطورها وتحديد افقها الايديولوجي .

في هذه المرحلة بالذات بدأ الشعور بالرابطة العثمانية بالتراخي والتفكك ، كما شرع أساسها الديني هو الآخر بالانحلال ، ليحل محله الشعور بالانتماء القومي لأمم لها خصائصها المميزة . فقد اصبحت قدرة الرابطة الدينية على توحيد البشر ضعيفة . ولم يستطع المفكرون الاسلاميون السلفيون ايجاد تبرير مقنع لأشكال الاضطهاد وانواع التخلف وفقدان السيادة الوطنية على اجزاء مهمة من الامبراطورية، ولهذا لم تكن التضحية بالرابطة الدينية عملية صعبة لمثقف مسلم ، وكانت سهلة بالنسبة الى مثقف مسيحي عربي .

ومع ذلك يجب ان نميز بين مسالتين : مسالة نمو الشعور القومي العربي لدى الشعب ، كشكل أولي من أشكال الوعي الذاتي الذي اخذ صورة الكفاح ضد مظالم واستبداد السلطة العثمانية والكره للغرب الذي يلتهم الولايات العثمانية الواحدة تلو الاخرى ، والتعبير الايديولوجي عن الانتماء القومي العربي بوصفه جهد المثقفين على اختلاف انتماءاتهم الطائفية .

فالعربي البسيط في بلاد الشام والعراق يجد امامه سلطة غاشمة بكل معنى الكلمة ، تدفعه الى حروب هي في الغالب خاسرة ، وتقع على كاهله اعباء تمويل امبراطورية من الصعب سد حاجاتها المادية الا بازدياد الفقر والجوع . ولقد تطور الاحساس بالغبن الاجتماعي وخدش الكرامة الوطنية الى عداء لسلطة تنتمي في الاساس الى جماعة اتنيه مختلفة ، كلما ضاع جزء من أطراف الدولة .

واذا كان من الطبيعي ان يتحول هذا الميل القومي الى اشكال من الممارسة التي

تؤكده ، فان المثقفين العرب قد كثفوا الى حد بعيد هذا الميل دون ان يتطابقوا معه تطابقا كاملا .

ولذا يمكن القول ان الحركة القومية العربية قد عكست بهذا الشكل أو ذاك الشعور القومي المتنامي والبسيط بنفس الوقت ، ولكنهم اذ فعلوا ذلك فعلوه في شروط لم يختاروها . والحركة القومية العربية فكرا أو ممارسة سيرورة معقدة ومتناقضة ، بواعثها كثيرة ، واهدافها متنوعة ، وآفاقها ليست واحدة .

ومن الحكمة ان نعترف ان الترابط بين الحركة القومية العربية في بداياتها والفئة المثقفة التي عكست مصالح البرجوازية الكومبرادورية قد قوى الميل لدى هذه الحركة الى تصور اوربا ذروة الكمال الحضاري ، والى النظر اليها كمخلص من الاستعباد التركي . ولهذا بالذات ترافق الدفاع عن قومية عربية واستقلال عربي مع اعجاب شديد بأوربا وبخاصة فرنسا وانكلترا . وليس مصادفة ان تظهر نزعة التأورب أو التأييد للغرب عند تاجر بيروتي ثري هو ميخائيل مدور ، وعند فرنسيس مراش ، المتفرنسيين ، وعند لويس الصابونجي المتانكلز وعند رزق الله حسون المؤيد لروسيا بشكل خاص .

وليس مصدر الدفاع عن أوربا الا شكلا من اشكال فقدان الامل بقوى داخلية قادرة على انجاز الاستقلال القومي ، ولهذا غالبا ما عقدت الامال على تحرير العرب من خلال القوى الاستعمارية الاوربية التي تناصب الدولة العثمانية العداء . بل لم يكن هناك ثقة بقدرة العرب ذاتهم على التحرر الا على اساس قيام صراع دولي يرتبط من خلاله العرب بتحالف مع الغرب الساعي الى تحطيم الامبراطورية المريضة .

وبهذا الافق السياسي الضيق تعامل البعض مع القضية القومية دون جهد للاجابة على سؤال مهم ، وهو : لماذا تناصب أوربا الامبراطورية العثمانية العداء ؟..

ولكن هذا لا يعني على الاطلاق ان النزعة القومية العربية في افقها العام حركة كانت تنتظر الخلاص من أوروبا ، على الرغم من الاعجاب الشديد بها .

وهنا يجب ان نقف عند مسالة ما زالت مثار خلاف ونقاشات وآراء متباينة . الا وهي : هل الحركة القومية العربية حركة مثقفين مسيحيين وجدوا في الغرب مرجعهم الايديولوجي ..؟ ان النظرة الى نشأة الحركة القومية العربية من هذا الجانب تبسيط ساذج لها ولتطورها اللاحق .

لا شك ان المثقف المسيحي كان اكثر استعدادا لتبني النزعة القومية العربية العلمانية من زميله المسلم . لكن مجتمعا يقوم على الرابطة القومية وحدها لم يكن

طموحا غريبا عن المثقف العربي بعامة بمعزل عن انتمائه الطائفي . اذ لم تكن نشأة المثقفين المسيحيين لتختلف عن نشأة المثقفين المسلمين . كما لم تختلف ثقافة النخبة العربية عن ثقافة النخبة التركية .

واذا كانت مسيحية المثقف العربي تفسر – وهي لا تفسر طبعا – نشأة الفكر القومي العربي فكيف نفسر نشأة الفكر القومي التركي لدى مثقف تركي مسلم ؟

لقد انتشر الوعي القومي لدى الشعوب الخاضعة للسلطة العثمانية ولدى الاتراك بالذات ، لكن الفرق بين الوعي القومي لدى مثقف عربي ومثقف تركي هو ان الاول كانت قوميته ثمرة شعور بالاضطهاد ، اضطهاد جنس آخر ، فخف للدعوة لاستبدال المساواة بالحقوق والواجبات بعلاقة الاضطهاد ، اذ راى أن من حق العربي ان يشترك في الحكم وان تكون لغته لغة رسمية . فيما كانت قومية التركي قومية شعب يشعر بالاعتزاز بانه عنصر حاكم مطمئن لتفوقه السياسي ، ولهذا لم يستطع ابدا ان يتحرر من عقدة الجنس الحاكم فيما بعد . ولهذا السبب نفسه كان من الصعب عليه ان يقبل المساواة في مستوى الحكم والحقوق ، وهذا ما عبر عنه لاحقا بما يسمى عملية التتريك .

القضية إذاً ليست في شعور المسيحي بانتمائه الى تراث اوربا اكثر من انتمائه الى تراث الشرق العربي الاسلامي ، فوجد في القومية العربية وسيلة من وسائل التحرر من اغترابه في وطنه كما يظن البعض . ترى وهل كان المسلم هو الآخر راغب في التحرر من اغتراب ما عندما جمعته والمسيحي جمعية واحدة او حزب واحد .

والحقيقة ان الاعجاب باوربا لم يكن صفة خاصة بالمسيحيين ، بل ان جميع رواد النهضة العربية كانوا بهذه الدرجة او تلك واقعين تحت سحر تقدم اوربا ، بدءا من المصلح الديني وانتهاء بالمصلح القومي العلماني ان صح التعبير . واوربا التي لم تدخل وعي المصلحين الدينيين او القوميين العلمانيين بوصفها امبريالية توسعية بدات تتكشف لهم شيئا فشيئا على انها امبريالية عدوانية ، ولهذا كان الدفاع عن الرابطة العثمانية في مرحلة من مراحل تطور الوعي القومي العربي ثمرة وعي جديد لخطورة الغرب . فاديب اسحق الذي وقع تحت تاثير الثقافة الفرنسية والمعجب اشد الاعجاب بروسو ومونتسكيو ومونتين ، وبالثورة الفرنسية ، بشكل عام ، ظل عثمانيا وضد السلطة العثمانية . وفرنسيس مراش ، ذو النزعة الغربية جدا ، لم يتوان عن نقد الغرب اخيرا والحديث عن انحطاطه ، واهمية استرجاع الشرق لقومه(٣) . ولم يصب منير موسى عندما نظر الى التحول في فكر مراش ، من التاثير الشديد بالغرب الى الهجوم عليه ، على انه انتقال من الشجاعة الى التملق للسلطان(٤) . بل الصواب ، ان وعي مراش قد خضع لتطور سياسي عندما احس اخيرا بخطورة الغرب .

وفرح انطون هذا الداعي الكبير الى فصل الدين عن الدولة وضرورة تمثل ديمقراطية الغرب هو الذي قال « ان ولاءنا هو للشرق »(٥) .

ويجب ان نلاحظ ان الفكر القومي العربي لم يطرح الانفصال عن الدولة العثمانية الا بعد انقلاب ١٩٠٨ . واذا ماعتبرنا مؤتمر باريس عام ١٩١٣ ، بمعزل عن اي تقويم ايجابي او سلبي ، تكثيفا للافكار القومية السائدة آنذاك ، ولطموحات معظم القوميين العرب في تلك المرحلة ، فاننا نجد ان هذا المؤتمر ذاته لم يطرح الانفصال عن الدولة العثمانية ، كما لم يطرح قضية تكوين دولة عربية مستقلة . فالزهراوي الشهيد صرح قبل انعقاد المؤتمر باسبوع قائلا : « قمنا نطالب بصفتنا عثمانيين ان نشترك بالادارة العامة، وان نعرض بصفتنا عربا مطالب خاصة بقوميتنا وحالتنا»(٦)«كان يحق للحكومة العثمانية ان يتكدر خاطرها لو انا طلبنا الانفصال عنها مثلا ، اما نحن فنريد عكس ذلك »(٧) لقد كان الزهراوي ذا نزعة لا مركزية يدعو الى الاخاء بين العرب والترك ، كما يدعو العرب الى التمسك بالرابطة العثمانية(٨) .

وجاء في خطاب العريسي في المؤتمر « اما فيما يتعلق بالسلطنة فاننا نصرح امام العالم الاوربي باننا لا نفكر فيه (اي الانفصال) ما دام الدستور جاريا على معنى الدستور ، وانه لا تتطرق الينا فكرة الانفصال عن هذه السلطنة ما دامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة ، فان ارتباطنا بهذه الدولة يتراوح إذاً بين ضمان هذه الحقوق ، فان كثر فكثر وان قل فقل »(٩) . كما كتب عام ١٩١١ يقول : « فالعرب مرتبطون بالترك لامحالة . فالمسلمون منهم برابطة الدين والوطنية ، والعرب مسلمين ومسيحيين مرتبطون بانفسهم اشد ارتباط برابطة الجنس واللغة والوطنية فمهما سعى ارباب المطامع السياسية ان يحلوا هذه الرابطة فمصيرهم الى خزي الدهر وفشل الابد ... فلا عرب ولا ترك ولا مسلمين ولا مسيحيين بل كلنا عثمانيون وطنيون »(١٠) .

وندرة بك مطران كان صادقا جدا في هذه النقطة حين اعلن من على منبر المؤتمر قائلا : « من هذا المنبر بقوة الوقار والاخلاص اللذين يحفان بهذا المؤتمر المجيد ، وباسم الامة العربية المتمثلة بكم .. افتخر بان الامة العربية مسلمة وغير مسلمة متضامنة مترابطة في مصالحها ، تسعى الى نيل اصلاحات مشروعة وتنبذ بكل قوتها كل حركة من شانها تداخل الغريب في احكامها او انفصام العرى بينها وبين الدولة العثمانية وترويج اية غاية غير عربية عثمانية في البلاد العربية »(١١). وكانت كلمتا احمد طيارة واسكندر بك عمون تاكيدا لما قيل آنفا(١٢) .

وقرارات مؤتمر باريس المعروفة لم تتضمن اي بند يدعو الى الاستقلال عن الدولة العثمانية ، بل جاء في القرار التاسع انه « سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية »(١٣).

لم نكن بحاجة الى مثل هذا السرد الممل ، الا من اجل التدليل على أن الحركة القومية العربية في اساسها حركة اصلاحية قبل كل شيء ، حركة شعب زاد شعوره بالاضطهاد ، وازداد وعيه الذاتي في اطار دولة متعددة القوميات ، لم تستطع بحكم طبيعتها الاستبدادية الاقطاعية أن تحقق المساواة فيما بينها ، دولة تحولت فيها السلطة فيما بعد الى سلطة قومية تستبد بجميع القوميات الاخرى . ولهذا لم يكن ظهور الحركة القومية العربية ثمرة تآمر استعماري كما يرى البعض .

ولم ينطو الفكر القومي العربي او الحركة القومية العربية حتى الحرب العالمية الاولى على أي نزعة قومية ضد الاتراك . حتى ان مفهوم الامة العربية ظل حتى تلك المرحلة غامضا في اذهان القوميين العرب . فالعريسي نفسه على الرغم من محاولته تأسيس مفهوم الامة العربية من الناحية الحقوقية والفلسفية لم يقم تمايزا حادا حتى استشهاده بين « الامة العربية » و « الامة الاسلامية » و « الامة العثمانية » . اي ان مفهوم الامة لديه كان يتسع ليشمل شعوبا مختلفة متعددة ، يربط بينها الدين احيانا والدولة احيانا اخرى ، او اللغة في حالة ثالثة .

ولم يكن مفهوم العريسي وحده مفتقرا الى لغة سياسية ـ نظرية واضحة فيما يتعلق بمفهوم الامة ، بل انسحب هذا الافتقار على معظم مفكري عصر النهضة العربية. ذلك ان مفهوم الامة اختلط لديهم مع مفاهيم الجماعة والقوم والشعب والعرق والدولة والدين . فالعثمانية رابطة الدولة واذ ذاك تغدو الامة العثمانية هي الدولة العثمانية ، بما تنطوي عليه من جماعات اتنية وشعوب واقوام مختلفة . والامة الاسلامية تشير الى الرابطة الدينية التي تجمع العرب والاتراك وغيرهم . والامة العربية هي الشعب العربي الذي يشترك مع الاتراك وغيرهم بالرابطتين السابقتين . ولكنها رابطة تلغي الرابطة الدينية وتبقى عليها بنفس الوقت ، تماما كما تلغي وتبقي على الرابطة العثمانية.

فالعربي ، بهذا المعنى ، وقد عانى طويلا من تحديد مسألة الانتماء ، لم يكن وعيه يرتقي الى وعي امة تسعى نحو تكوين دولتها او وحدتها القومية المستقلة استقلالا تاما ، الا بعد ظهور الطورانية وعملية التتريك .

من هنا نفهم لماذا اعتبر اديب اسحق مثلا الامة مجرد الشعور بالانتماء « جنس واحد يتوالدون فيه ويتسمون به بالجنس الامريكاني لسكان الولايات المتحدة الامريكية، سواء كانوا انكليز او فرنسويين (هكذا جاءت أ.ب) او اسبانيين او امريكانيين اصلا. والعثماني لسكان البلاد العثمانية في اوربا وآسيا سواء كانوا تركا او عربا او تترا اصلا »(٤) .

يتبين مما سبق ذكره أن الوعي القومي العربي لم ينشأ ويتطور الا في مواجهة السلطة العثمانية اولا ، والقومية التركية الشوفينية ثانيا ،وتحت تأثير الافكار الغربية

وضد الغرب ثالثا . وما تطور الوعي القومي الا انتقالا تدريجيا في مستوى الوعي السياسي للمثقفين العرب الذين صاغوا بشكل غير دقيق وعيهم القومي في صورة افكار غير محددة حول معنى الامة . انه الانتقال من وجود العرب داخل الامبراطورية العثمانية الى وعيهم بوجودهم كشعب له خصائصه المميزة التي اهمها اللغة ، ثم تحول وعيهم الى مطلب سياسي ، أخذ صورة الدفاع عن اللامركزية في البداية ثم ــ فيما بعد ــ صورة الاستقلال التام ، لامة اهم خصائصها اللغة والتاريخ والجغرافيا . ان صياغة الوعي القومي العربي قد ارتبطت بالنضال السياسي الذي تتوج في نهاية الامر بالنضال ضد الاستعمار الاوربي الذي ولد الطموح اكثر فاكثر الى وحدة سياسية عربية . أي ان الامة العربية قد اكتسبت ملامحها في سيرورة النضال من اجل تحقيق الهوية القومية في اطار دولة عربية واحدة .

واذا كان الاصلاح الديني قد انطلق في الاساس من الاسلام في تناوله مسألة العلم والحكم ، ومن اظهار غياب التناقض بين الاسلام الصحيح والمصلح وبين العلم والديمقراطية والشورى ، والاقتراب من فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، فان الفكر القومي العلماني قد انطلق سلفا من وجوب السلطة المدنية واهمية الرابطة القومية والدعوة الى حكم ديمقراطي علماني .

والنظر الى الرابطة الدينية كرابطة واهية ، تعبير في الحقيقة من قبل التيار القومي عن نظرة جديدة الى الاجتماع البشري متأثرة الى حد كبير بتكون الدول القومية في العالم ووسيلة من وسائل تأكيد الهوية خارج العلاقة مع السلطة او المتسلطين ،الذين يحولون الدين الى اداة اضطهاد للشعوب . ولهذا لم ينظر الى العثمانية كرابطة دينية، بل رابطة دولة تضم شعوبا لها هويتها القومية بمعزل عن انتمائها الديني ، فالدولة هنا رابطة سياسية تخلق الولاء لها من قبل الجميع ، دون ان تقضي على الانتماء القومي لكل شعب .

لقد بحث القومي العربي في الاساس عن رابطته القومية فوجدها في اللغة والتاريخ. فاللغة لا تميز بين عربي وآخر ، والتاريخ يستطيل الى حد يجعل الجميع قادرين على اعتباره تاريخهم الممتد من حضارة الفينيقيين مرورا بالجاهلية والاسلام وانتهاء بالعصر الاموي والعباسي . عندما اراد الزهراوي ان يجيب على سؤال من هم العرب، قال : « العرب هم أهل هذه اللغة » . أي « اللغة العربية »(١٥) . واشار اديب اسحق مرة الى اللغة العربية بوصفها « لغة جامعة »(١٦) فتتحول اللغة والتاريخ الى عنصرين اساسيين او عاملين محددين للأمة العربية ، اي تتخذ الامة هنا مضمونا ثقافيا .

واذا كانت رابطة الامة رابطة ثقافية في الاساس ، فان الاسلام سيصبح اكثر من دين سماوي ، انه تاريخ وثقافة ولغة لن ينفصل ابدا ــ لدى القومي العربي ــ عن

تاريخ العرب ولغتهم وثقافتهم ، لا سيما ان النهضوي القومي اكد مرارا عربية النبي وعربية القرآن وعربية الاسلام بعامة . ووفق هذا المنطق ، منطق جميع القوميين العرب في عصر النهضة ، لن يكون هناك تناقض بين الاسلام والقومية العربية ، ولن يكون اضطهاد العرب الا تنكبا للدين الذي حمله العرب الى الانسانية جمعاء .

ولقد تشكلت علمانية العربي القومية في شروط غياب الصراع بين الدين والافكار العلمانية ، وفي وقت ينزع فيه الاصلاح الديني نفسه للاقتراب منها ومن الافكار القومية . ولهذا قلما خيضت صراعات ومعارك فكرية بين الاصلاح الديني الاسلامي وبين الفكر القومي العربي العلماني ، اللهم سوى بعض المناقشات التي جرت بين محمد عبده مثلا وفرح انطون ، الذي دفع العلمانية الى حدها الاقصى من حيث « لا مدنية حقيقية ولا تساهل ولا عدل ولا مساواة ولا أمن ولا الفة ولا حرية ولا علم ولا فلسفة ولا تقدم في الداخل الا بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية »(١٧) .

ولكن القومية العلمانية لم تحل ــ وحتى الآن ــ لم تحل ، بصورة نظرية ، مشكلة العلاقة بين القومية العربية وبين الاسلام .

لقد ارتبط الاسلام في أذهان الكثيرين من القوميين بـ « العروبة » ؛ من حيث اصله ، ان واقعة ارتباط الاسلام بالعرب ما كان يمكن أن تسمح برفض الاسلام كله، وان سمحت بالدعوة الى دولة علمانية لا دينية . ومن الطريف ان المصلحين الدينيين انفسهم كانوا مجبرين ، بفعل ممارسة السلطة القمعية من قبل الاتراك ، على التوقف عند اهمية العرب في الاسلام وتاريخه . بل ان واحدا من المصلحين الدينيين لم يتردد في تسمية كتابه (العرب والعربية بهما صلاح الامة الاسلامية وجميع الامم العربية) ومن الطريف ان هذا الكتاب لمؤلفه عبد الحق حقي الاعظمي قد طبع في مطبعة مجلة المنار لصاحبها الامام محمد رشيد رضا عام ١٩١٢(١٨) .

في الظاهر تظل الرابطة الاسلامية ــ لدى القومي العربي ــ رابطة مهمة ، ويظل الاسلام في جوهره دين تقدم ومعرفة ومساواة . ولكن في حقيقة الامر تغلب العصبية القومية العربية العصبية الدينية . ومنذ اللحظة التي يتحدث فيها القومي عن الاسلام وعدم انفصاله عن العرب ولغتهم وتاريخهم ، فانه يضيق من حدود النزعة العالمية الاسلامية ، ويقترب اكثر فاكثر من قومية الدين الخاص بالعرب ،والذي تفضل به العرب على الآخرين . لم يعد الاسلام في هذه الحالة ، دليلا على المساواة المطلقة بين الشعوب التي تدين به ، بل وتشتق من قلب الاسلام الحجج التي تبرر ضرورة سيادة العرب والعربية ، ولا سيما حيث يكون سبب انحطاط الامة ، والاسلام بالذات، العنصر غير العربي الذي اغتصب السلطة من العرب . فالسلطة بهذا المعنى يجب أن تكون للعرب ، بما لهم من فضل على جميع الشعوب ، وبما أن ازدهار الحضارة العربية قد ارتبط بسيادة العرب على السلطة(١٩) .

ولن يكون هناك فرق كبير من حيث النزوع القومي ، بين من يدعو الى دولة اسلامية يكون فيها العربي هو الحاكم او الخليفة ـ كما عند الكواكبي والاعظمي مثلا ـ وبين من يدعو الى دولة عربية خالصة لا دينية .

ولكن اذا كان النزوع القومي هو الذي يوحد بين هذين الشكلين من الدعوة الى الدولة العربية ، فان الفرق في المضمون الاجتماعي لكلا الدعوتين يقيم الفرق بينهما ، من حيث ان الدعوة الى دولة اسلامية حكامها من العرب ، هي نزعة قومية مطبوعة بطابع اقطاعي شرقي بوصفها تقيم ترابطا بين الدين والقومية في اطار الاعلاء من شان العرب والاقلال من شان الشعوب الاخرى . لكن العرب يظلون وفق هذا الطرح عربا مسلمين . اما الدعوة الى دولة قومية عربية علمانية تقوم على فصل الدين عن الدولة، فانها دعوة تنويرية لا دينية تزيل الاختلاف الديني بين العرب انفسهم ، وتؤكد وحدتهم الثقافية وبالتالي فهي مطبوعة بطابع برجوازي متقدم .

في النزعة الاولى يبرز مفهوم الخليفة العربي ، وفي الثانية يبرز مفهوم الدولة الديمقراطية والحاكم المنتخب وفق الدستور . الا ان الحدود بين هذين النمطين من النزعة القومية العربية ظلت حدودا مائعة . وهذا ان دل على شيء انما يدل على تعقد الشروط التي انتجت الفكر القومي العربي . واهمها متانة العلاقات الانتاجية الاقطاعية ، التي لم تستطع العلاقات الرأسمالية الوليدة ان تزعزعها زعزعة شديدة ، وبروز الصراع القومي وفق هذا الشرط قد اقام التداخل بين النزعة المعادية لاوربا ، والنزعة المؤيدة لطريق تقدمها ، بين النزعة السياسية للحفاظ على الدولة العثمانية تجاه عداء الغرب لها ، وبين النزعة التي نمت من خلال الاحساس القومي بالاضطهاد من قبل الاتراك والمعبر عنها باشكال الدعوة الى الاستقلال .

ولهذا كله مضى زمن قبل ان يتبلور الفكر القومي في صيغته العلمانية الصرفة والواضحة .

وباستطاعتنا ان نحدد صيغ الفكر القومي العربي حتى الحرب العالمية الاولى بثلاث صيغ رئيسية ولكنها ليست نظيفة تماما . صيغة **القومية العثمانية** وفي قلب هذا التيار نما وترعرع التيار القومي العربي في اشكال مختلفة اهمها المطالبة بحق الشعوب داخل الامبراطورية العثمانية ، وتاكيد حق العرب بالمساواة مع الاتراك ، ثم صيغة **القومية الاسلامية** التي يكون فيها للشعب العربي او للعرب مكانة خاصة من حيث هم حملة الرسالة وكتاب الله مكتوب بالعربية وتكون القيادة للعرب بدل الاتراك . واخيرا ، **صيغة القومية العربية العلمانية** ، التي تدعو الى الاستقلال السياسي الكامل عن السلطة العثمانية وتاسيس دولة عربية هي في الغالب ليست حدود الوطن العربي الراهنة ، بل حدود بلاد الشام والعراق .

الهوامش

(١) لمزيد من الاطلاع على نشأة الفكر القومي في سورية (بلاد الشام) راجع :
١ ــ كتاب المستشرق السوفييتي كوتلوف ، « تكون حركة التحرر الوطني في الشرق العربي » بيروت ١٩٧٨ ، ترجمة سعيد أحمد، وهو اهم ما كتب في الاتحاد السوفييتي حول هذا الموضوع .
٢ ــ كتاب ليغن ، ز.ل. « الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسورية ومصر »، بيروت١٩٨٢.لكن هذا الكتاب ينطوي على نزعة ماركسية ميكانيكية مبتذلة من حيث ربطه كل تيار فكري بطريقة محددة ، دون أن يرى التعقيد الذي يكتنف نشأة وتطور تيارات النهضة العربية . راجع نقدنا لكتابه : في « محاولة في قراءة عصر النهضة » ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ٣٤ ــ ٣٧ . وذات النقد يوجه الى كتاب عبد الله حنا « الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان » ، دمشق ، ١٩٧٣ .
٣ ــ كتاب البرت حوراني ، « الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ــ ١٩٣٩ » بيروت ١٩٧٧، ط ٣ .
٤ ــ كتاب انور عبد الملك ، « الفكر العربي في معركة النهضة » بيروت ١٩٧٤ .
٥ ــ كتابي عبد الكريم رافق ، « العرب والعثمانيون » دمشق ١٩٧٤ ، و « الشرق العربي في العهد العثماني » .

(٢) ان هذا لا يعني ان مصر لم تشهد تكونا لنزعة قومية عربية ، لكنها لم تكن بمثل التحديد والوضوح الذي شهدته بلاد الشام ، راجع حول هذا الموضوع ذوقان قرطوط « تطور الفكرة العربية في مصر » ١٨٠٥ ــ ١٩١٦ ، بيروت ١٩٧٢ .

(٣) انظر فرنسيس مراش « غابة الحق » ، حلب بلا تاريخ .

(٤) انظر منير موسى ، « الفكر العربي في العصر الحديث » (سورية من القرن الثامن عشر حتى العام ١٩١٨) ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٤٠ .

(٥) فرح انطون ، المؤلفات الفلسفية ، بيروت ١٩٨١ ، ص ١٦٤ .

(٦) وثائق المؤتمر العربي الاول ١٩١٣ ، بيروت ١٩٨٠، ص١٨ تقديم ودراسة وجيه كوثراني.

(٧) وثائق المؤتمر العربي الاول ص ٦٩ .

(٨) «الارث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي » ١٩٦٣ ، ص ٤٠ ــ ٤١ جمعه جودة الركابي وجميل سلطان .

(٩) وثائق المؤتمر العربي الاول ١٩١٣ ، ص٤٥ .

(١٠) عبد الغني العريسي «مختارات المفيد » ،بيروت ١٩٨١ ، ص ٤٩ جمعها وحققها ناجي علوش.

(١١) وثائق المؤتمر العربي الاول ١٩١٣ ص ٦١ .

(١٢) راجع وثائق المؤتمر العربي الاول ١٩١٣ ، مما قاله احمد طبارة في المؤتمر « فنحن قوم ولدتنا امهاتنا عثمانيين ونشأنا عثمانيين ونريد ان نبقى عثمانيين ،ولا نرضى عن دولتنا العثمانية بديلا ، ولا برهان على ذلك اقطع من طلبنا للاصلاح .. ولو كنا نبغي الانفصال عنها كما يرجف المرجفون لتركنا الحال تجري على ما نرى من سيء الى اسوأ وهي بطبيعتها سائرة في طريق الاضمحلال » ص٩١ . وقال اسكندر بك عمون « ان الامة العربية لا تريد الانفصال عن الدولة العثمانية ولا نصرة حزب على حزب أو جنس على جنس ، وانما تريد استبدال نظام الحكم الحاضر بنظام يناسب حاجة تلك العناصر على اختلاف شؤونها ... ويكون لمجموع الامة العثمانية سلطة عليا نيابية قائمة على النسبة الصحيحة لادارة الشؤون العامة. ومعنى ذلك اننا نريد حكومة عثمانية لا تركية ولا عربية » ص١٠٥ .

(١٣) وثائق المؤتمر العربي الاول ص ١١٨ .

(١٤) اديب اسحق ، الدرر ، بيروت ١٩٧٥ ص٥٠.

(١٥) الارث الفكري للصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي ، ص ٦٣ .

(١٦) اديب اسحق ، الدرر ، ص ٥٠ .

(١٧) فرح انطون ، المؤلفات الفلسفية ، ص ١٦٠. والحقيقة ان فكرة فصل الدين عن الدولة فكرة كان قد طرحها محمد عبده ولكنه لم يدفع بها الى حدها الاقصى . حتى جاء علي عبد الرازق وعرضها بصورة واضحة لا لبس فيها . انظر حول هذه المسألة أ ـ محمد عبده ، الاسلام بين العلم والمدنية ، القاهرة بلا تاريخ . ب ـ علي عبد الرازق ، الاسلام واصول الحكم ، بيروت ، بلا تاريخ ، جـ ـ هشام شرابي ، المثقفون العرب والغرب ، بيروت ١٩٧٨ ،ط٢، د ـ هـ.أ.ر. جب ، الاتجاهات الحديثة في الاسلام ،بيروت ١٩٦٦ترجمة هاشم الحسيني.

(١٨) انظر كتاب عبد الحق حقي الاعظمي ، العرب والعربية وبهما صلاح الامة الاسلامية وجميع الامم البشرية ،دير الزور ١٩٨٣ طبعة جديدة. وعبد الحق حقي الاعظمي ١٨٧٣ ـ ١٩٣٥، شاعر واديب عراقي من اهل الاعظمية ، لا يعرف الكثير عن حياته ، سوى انه كان يعمل في الكلية الاسلامية في عليكرة بالهند مدرسا للغة العربية .

(١٩) يعد الكواكبي اهم من تناول مسألة الخلافة العربية وضرورة ان يكون الخليفة عربيا وليس تركيا ، وكثيرا ما راى الباحثون في دعوته الى خليفة عربي بداية لنشوء الفكر القومي العربي . انظر بهذا الصدد « أم القرى » في، الكواكبي ، الاعمال الكاملة ، بيروت ١٩٧٠ ، مع دراسة عن حياته وآثاره بقلم محمد عمارة. وانظر كتابنا ،« محاولة في قراءة عصر النهضة» فصل الخلافة العربية والرابطة الاسلامية ، وكذلك مقالنا « الكواكبي والغرب» ، الهدف، العدد ٩١٧ ، ٣ تموز ، ١٩٨٨ السنة العاشرة.

* * *

جانب من فعاليات محب الدين الخطيب

(الجانب الصحفي)

د. سهيلة الريماوي
الجامعة الاردنيـــة

المقدمـــة :

محب الدين الخطيب (١٨٨٦ ــ ١٩٧٩) : من اوائل رواد الحركة القومية العربية الذين نسعى لاحياء نضالهم وتراثهم ، وشخصية متعددة الجوانب لها الجانب الفكري، والجانب الصحافي والجانب الادبـــي ، والجانب الديني والجانب السياســـي بصفتيه النضالية والتنظيمية . وقد ترك لنا مكتبة تضم زهاء خمسة وعشـــرين الف كتاب في مائة الف مجلد(١) وعددا كبيرا من الوثائق والاوراق والمخطوطات غير مصنفة ، ومنهـــا مذكراته الشخصية « سيرة جيل » التي تظهر فيها معالم شخصيته(٢) .

اردنا من هذه المقدمة التاكيد ان دراسة شاملة لحياة محب الدين الخطيب من جوانبها المتعددة ، هي في الواقع دراسة دقيقة للنضال العربي ومسيرته طوال اكثر من نصف قرن ، وهذا الكنز الوثائقي الذي تضمه مكتبته يعد ســـجلا امينا غنيا ونـــادرا للنضال العربي منذ مطلع القرن العشرين ، مما يجعله من اهم مصادر تاريخ الحركة القوميـــة (٣) .

شـــخصيته :

هو ابن الشيخ ابي الفتح الخطيب من علماء دمشق ومدرسيها وائمتها وخطبائها، ولد في دمشق الفيحاء ، أواخر شهر تموز / يوليو سنة ١٨٨٦ وتوفي في القاهرة أواخر كانون أول / ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، بدأ تعليمه في مدرسة الترقي النموذجية « نمونة ترقي » ، وكانت في البناء الكبير الذي تقوم في الجانب القبلي منه دار الكتب الظاهرية التي كان والده يتولى امانتها(٤) منذ انشائها سنة ١٨٧٩ حتى وفاته سنة ١٨٩٧ . وقد حصل محب الدين من هذه المدرسة على شهادة اتمام الدراســـة الابتدائية بدرجـــة « علي أعلي » أي جيد جدا ، مؤرخة في ٢٣ محرم سنة ١٣١٤ هـ الموافق ٥ تموز/يوليو ســـنة ١٨٩٦ . ثم التحق بالتعليم الثانوي في « مكتب عنبر »(٥) في دمشق ، غير ان وفاة والده في العام نفسه اضطرته الى ترك الدراسة ، والحقه الشيخ طاهر الجزائري

دراسات تاريخية ، ٣٣ و ٣٤ ، أيلول ــ كانون الاول ١٩٨٩

صديق والده بدار الكتب « فوجه وظيفة الوالد الى ابنه » وصار الشيخ طاهر يختار من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ما الف عن أعلام الاسلام ، ويكلف محب الدين الخطيب نسخها ، وتوجد حتى الآن في الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية رسائل بخط محب الدين الخطيب ، يعود تاريخها الى هذه الفترة(٦) .

التحق الخطيب مرة ثانية بالمدرسة الثانوية « مكتب عنبر » ثم انتقل الى بيروت فأكمل تعليمه الثانوي فيها وحصل على شهادته بتاريخ ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣هـ الموافق ٩ تموز سنة ١٩٠٥م بدرجة « اعلى » اي جيد ، التحق بعدها بكليتي الآداب والحقوق معا في استانبول . الا أن ظروفه اقتضت أن يترك استانبول الى دمشق ، ومنها الى الحديدة في اليمن ، وهناك تبلورت فكرة العمل الصحفي عنده كما سنرى(٧) .

ان الاحداث السياسية المتعاقبة في هذه الفترة ، وفي مقدمتها اعادة المشروطية (الدستور) سنة ١٩٠٨ ، اقتضت أن يعود الخطيب الى دمشق ، ثم الى القاهرة ، حيث ظهر نشاطه من خلال الاحزاب والجمعيات التي انتسب اليها أو أسسها مع غيره من السوريين ، كما قام بعدد من المهمات السياسية والحزبية ،في اليمن ونجد والعراق وباريس ، وهي على الرغم من أهميتها تخرج عن نطاق بحثنا(٨) والتحق في هذه الفترة بقلم تحرير عدد من الصحف المصرية ، فساهم في تحرير جريدة « المؤيد » ، من أول شهر أيلول سنة ١٩٠٩ الى ما بعد وفاة الشيخ علي يوسف سنة ١٩١٣* ، وفي هذه الاثناء ، اسس المكتبة السلفية . وعندما أعلنت الثورة العربية الكبرى ، توجه الى الحجاز ، وأصبح رئيس تحرير جريدة القبلة ، ثم توجه الى دمشق أيام الحكم العربي الفيصلي ، واشرف على تحرير جريدة العاصمة الرسمية ، وغادر سورية الى مصر بعد معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ ، فالتحق بقلم تحرير الاهرام من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٥ ، وبقي رئيس تحرير مجلة الازهر مدة خمس سنوات ، كما ساهم في تحرير جريدة الاخوان المسلمين اليومية ، وكان يراس فيها تحرير القسم الاسلامي ، كما كتب في كثير من المجلات مثل المقتطف ، والتمدن الاسلامي ، ومجلة « المسلمون » وكان يراس تحريرها سعيد رمضان ، كما أصدر عددا من الصحف في مصر ، مثل مجلة الزهراء ، ومجلة الفتح التي نالت شهرة صحفية مميزة بين صحافة تلك الفترة ، هذا بالاضافة الى ما يقوم به من تحرير بيانات الجمعيات التي انتسب اليها ، أو كتابة نداءاتها وصحفها ـ وكان يشغل فيها منصب أمين السر ـ وكان يتمتع بين الاعضاء بقدرته

(*) الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد المصرية ، في طليعة الصحفيين ويعتبره محب الدين الخطيب استاذه في الصحافة وقد توفي بتاريخ ٢٥ تشرين اول اكتوبر سنة ١٩١٣ .

العجيبة على نقل الخبر الصحيح ، عندما يتولى نشر اخبار هذه الجمعيات والاحزاب أو كتابة منشوراتها* .

هذا الوضع المميز لنشاط محب الدين الخطيب الصحافي ، جعل من بيته مركز استقبال وارسال وتجمع ، لعدد كبير من الصحف ، والاوراق الصحفية التي تحفل بها مكتبته ، سواء أكانت أوراق الصحف التي أصدرها أو ساهم في تحريرها ، أو الاوراق والقصاصات الصحفية المتفرقة التي تدور حول مواضيع متعددة . وكثيرا ما كتب محب الدين على هامش هذه الصحف والقصاصات شارحا ومعلقا ومحللا . وكان يحتفظ بعدد من المراسلات الصحفية المتبادلة والبرقيات التي كانت ترد الى الصحف، كما كان يحتفظ بعدد من المسودات التي نشرت في هذه الصحف ، بعد التعليق عليها سواء أكانت له ام لغيره من الكتاب الصحافيين .

البدايات الاولية :

وتدلنا هذه التعليقات الهامشية على الصحف ، الموجودة في مكتبة الخطيب على أن : « باكورة القلم » كانت في « تمرين قلمه » على ترجمة مقالات علمية وقطع ادبية « يعربها عن اللغة التركية في مجلاتها وكتبها » . وقد اخذ يرسل ما يترجمه الى جريدة « ثمرات الفنون » وكان يوقع هذه الكتابات الاولية بحرفي (م. خ) ثم بعد انتشارها اخذ يوقع باسمه الصريح(٩) .

ان انشطة محب الدين الخطيب في دمشق ، وتأسيسه حلقة دمشق الصغرى أسوة بحلقة دمشق الكبرى(١٠) واختلاطه بكبار علماء دمشق عن طريق هذه الحلقة ، ثم اطلاعه على المجلاب المصرية الكبرى مثل المقتطف والهلال والضياء في غرف القراءة التي أسستها جمعية القديس يوحنا الدمشقي الارثوذكسية(١١) ، بالاضافة الى مطالعاته المتواصلة في دار الكتب الظاهرية كما اشرت سابقا .. كل ذلك ، مهد له وضوح الرؤية لقضايا عصره ، العرب والعربية ، ورسالة العرب الخالدة ، وضرورة الاصلاح في الدولة العثمانية ومقاومة الاستبداد ، واللا مركزية ، ومعالجة الاوضاع الاقتصادية في الامبراطورية ، والدعوة لتأييد الثورة العربية الكبرى ، ثم تأييد الحكم العربي الهاشمي في سورية ، هذا بالاضافة الى المواضيع الدينية التي تبحث في قضايا الاسلام والمسلمين مثل : مزايا الصحابة والتابعين وحملهم لرسالة الاسلام ، وتعريف الانسانية بالاسلام الاول ، وتكوين العالم الاسلامي .. وهكذا وجد الخطيب في الصحافة ميدانا فسيحا للتعبير عن آرائه هذه منذ الصغر وكان « همه وهو في فترة الدراسة

---

* مقابلة شخصية في القاهرة مع عوني عبد الهادي ١٩٦٦ .

الثانوية ، تعريف الاذكياء من اترابه ولداته في المدرسة وخارجها بهذه الرسالة العربية والاسلامية »(١٢) عن طريق نشرها في نشرات مدرسية خاصة ، ثم نشرها في صحف عامة او مجلات معروفة . .

وتدل مذكرات الخطيب واوراقه على مدى تاثره بكتابات الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ رشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي وغيرهم ، الذين اتخذوا الصحافة ميدانا للتعبير عن آرائهم الفكرية والسياسية والدينية . . الخ فوجه الخطيب نظره الى الجمعيات السياسية وتأسيسها ، ونحو المطالعات الصحفية ثم الكتابة في هذه الصحف ، وترجمة المقالات الصحفية المفيدة(١٣)، وادرك الخطيب دور الصحافة وقوة تأثيرها في المجتمع منذ الصغر ، وبقي هذا الراي يكبر معه ، وعبر عنه في اكثر من مقالة صحفية في مجلتي الفتح والازهر وغيرهما كما سنرى .

وعندما اضطرته الدراسة للاتجاه نحو الاستانة ، وجد ابناء العرب ، من سورية وفلسطين والعراق والحجاز وغيرها ، يجهلون قواعد اللغة العربية وآدابها وثقافتها ، « قرر أن يتصل بصديقه محمد كرد علي ، وكان قد انتقل من دمشق الى مصر »(١٤)، وطلب منه ان يوافيه بجميع ما ينتهي من قراءته من الصحف المصرية ، وما يصل اليه من صحف سورية والمهجر ، ليقراها واترابه ، «وليستعين بذلك على تحويل من يتصل بهم من شباب العرب في استانبول عن التتريك » وليشعرهم بأن في دنيا العرب آدابا وصحافة وبيانا وشعرا قويا ، وان في « الدنيا » وفي « اللسان الانساني » شيئا اسمه: « عرب وعربية وعروبة » وان « الانسانية لا تسعد الا اذا بعثت العروبة من مرقدها وتجدد شباب الاسلام »(١٥) .

وقد كان محب الدين الخطيب يجتمع بزملائه في غرفتين للمطالعة ، اسسهما في استانبول مع الامير عارف الشهابي(١٦) والاعضاء الذين انتسبوا لجمعية النهضة العربية ، ويقرؤون الصحف التي تصلهم ، وقطع مختارة من الكتب العربية ، وابيات مختارة من الشعر العربي، فكان استدراج هؤلاء الشبان ،وترغيبهم في مطالعة الصحف والمطبوعات العربية خطوة أولى لرجوعهم الى انفسهم وعروبتهم ، وحبهم اللغة العربية . وقد اتجه أكثرهم نحو الصحف والصحافة والعمل السياسي فيما بعد ،وهي في نظر الخطيب هي « القوة الاولى التي يمكنها ان تقف في وجه التيار تدفعه وتغير مجراه »*.

---

* لقد كرر الخطيب في مجلتي الفتح منذ ١٣٥٢والازهر ، في اكثر من عدد قوله : « الصحافة قوة عظيمة لا شك في ذلك » .

المحاولات الاولية لتاسيس جريدة :

لم تكن محاولة الخطيب الاولى لاصدار جريدة في بلاد الشام كما كان يتوقع ، فان الظروف السياسية التي قادته الى اليمن(١٧) جعلت هذه المبادرة الصحفية في ذلك البلد ، فقد شعر الخطيب أن مدينة الحديدة بل وسائر بلاد اليمن بحاجة ماسة الى وجود مطبعة وصحيفة ، تسهما في نهضة فكرية وثقافية في المنطقة ، فبدا بمفاوضة اصدقائه من العسكريين والمدنيين والاعيان والتجار لتاسيس شركة لهذا الغرض ، يكون ثمن السهم فيها جنيها استرلينيا واحدا « ذهبا » . وقد وافق عدد كبير على تحقيق هذا الامر على أن يكون اسم المطبعة « مطبعة جزيرة العرب » وأن تصدر عنها صحيفة باسم : « جزيرة العرب » ايضا .

وقد كتب محب الدين الخطيب واصدقاؤه الى بعض سفارات وقنصليات الدولة العثمانية في البلاد الاوربية التي عرفت بصناعة آلات الطباعة مثل برلين وغيرها يطلب ارسال نماذجها الى الحديدة لانتقاء « ما يوافق الحال فيها » . ووصلت الاجهزة الى الحديدة ، ولكن قبل الدخول في دور التنفيذ ، تلقى محب الدين من دمشق رسائل تلح عليه بضرورة العودة لاصدار صحيفة باسم : « النهضة العربية » ، فتوقف مشروع المطبعة والجريدة في الحديدة(١٨) ، كما توقف فيما بعد تنفيذ اصدار جريدة النهضة العربية لاسباب سياسية تتعلق بسياسة الاتحاديين تجاه الاسماء ذات الطابع القومي، لان كلمة « عربية » لم تكن مرغوبا فيها في الدولة العثمانية حسب المادة الرابعة من الدستور(١٩) .

الصحافة الهزلية : طار الخرج*

لم ييأس الخطيب من محاولة اصدار جريدة تعبر عن آرائه وافكاره ، ولكن ذلك تأخر فعمل محررا في بعض الصحف ، ولعل الصدف هي التي وجهته نحو نوع من الصحافة لم يفكر فيه على الاطلاق . فقد كان في زيارة دار جريدة « القبس » اليومية التي كان يصدرها في دمشق الاستاذ محمد كرد علي ، وكان عدد اليوم التالي لما يتم اعداده ، فطلب كرد علي من محب الدين أن يحل محله في اصدار العدد ، فوعده خيرا ، وفي اثناء هذه المهمة ، حضر عمال الجريدة ومطابعها واطلعوا الخطيب على رسوم لجريدة فكاهية يريدون اصدار عدد منها على ان يكتب لهم محب الدين هذا العدد « باللغة العامية » ، أو بها وبالفصحى معا ، وان يكون عددا نادرا « ليروج بسرعة » .

---

* لم تحدد المذكرات تاريخ صدور هذا العدد ولكن يفهم من سياق الاحداث انه صدر في اواخر ١٩٠٨ على الارجح .

يخبرنا الخطيب كيف انه : « لم يترك شيئا في نفسه الا وعبّر عنه ووضعه في تلك الجريدة الصغيرة . . » بالعامية والفصحى عند اللزوم « وبقي مع العمال يؤدي لهم هذه المهمة ، فجاءت كل فقرة نقدا مرا لأمور واقعية »(١٩) .

وكان اسم الجريدة الذي اختاره العمال هو « طار الخرج »(٢١) وقد كتب محب الدين الخطيب مواد العدد الاول قطعة قطعة ، والعمال يجمعون حروف ما يكتب لهم بسرعة ، ثم اخذوا بطبع العدد ، فصدر في اليوم الثاني كنوع جديد من الصحافة هي (الصحافة الفكاهية) الانتقادية . ولاقت نجاحا جماهيريا كبيرا حتى كان العدد يباع بأضعاف ثمنه . وعندما حاولت الحكومة البحث عن الجريدة وكاتبها وطابعها ، باءت جهودها بالفشل لأن ذلك غير مذكور في الجريدة المطبوعة(٢٢) .

ان هذه التجربة في صحيفة (طار الخرج) نبهت الانظار الى موهبة محب الدين الخطيب الصحفية ، من حيث سيطرته على الخبر ونقله الى الجماهير ومخاطبتهم كل حسب موقعه ، سواء في ذلك الموقع الجغرافي ، أو الموقع الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي(٢٢) ، ومنذ الوهلة الاولى لصدور هذه الصحيفة الهزلية ، استطاع أن يوضح المعنى الذي يريده في الخبر المنقول للجمهور ، وأن يستقطب القراء لما يكتبه في هذه الجريدة . وكانت السلطة تلاحقه دون جدوى واستمرت تلك الملاحقة الى ما بعد سنة ١٩٠٩ ، أي بعد الانقلاب المضاد في الدولة العثمانية ، لمحاكمته بعد أن صدر في هذه السنة ، قانون الصحافة الثاني(٢٣) . وضاعفت من رقابة (المكتوبجي) في تلك الفترة بشكل واضح ونتيجة لذلك اقترح عليه اخوانه التوجه الى مصر بعيدا عن انظار السلطة في استانبول ودمشق ، فوصلها في النصف الثاني من شهر آب / اغسطس سنة ١٩٠٩ .

النشاط الصحفي من ١٩٠٩ ـ ١٩٢٠ :

تصعب متابعة نشاط محب الدين الخطيب في الصحافة قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها حتى سنة ١٩٢٠ ، لوفرة هذا النشاط ، ولكنه يمكننا القول ان الاتجاه العام لمقالاته الصحفية في هذه الفترة ينبع من منطلقات العصر وسماته على الشكل التالي :

اولا : من سنة ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ وهي فترة تسلط الاتحاديين :

وتبدأ بالتحديات التي اتبعها الاتحاديون ضد العرب : فقد وعى الخطيب منذ وقت مبكر ان التناقضات القائمة في الامبراطورية العثمانية تقتضي ايجاد حلول لها في داخل الامبراطورية نفسها سواء اكانت هذه التناقضات تتصل بنظام الحكم نفسه، مثل قضية الاستبداد والشورى واللامركزية ، أم تلك التي تتصل بحقوق القوميات

التي تتألف منها هذه الامبراطورية ، من حيث مشاركتها في الحكم او مدى ممارستها لحقوقها القومية ..

وقد زاد في تطور هذا الوعي القومي عند الخطيب وامثاله ، سياسة التتريك ، ومطاردة الرواد الاوائل وهجرتهم الى مصر ، ثم جاء ضياع طرابلس الغرب ليفجر الموقف العربي في مواجهة الاتراك ، فعقد المؤتمر العربي الاول في باريس سنة ١٩١٣ وركز الخطيب مقالاته حول تحقيق بنود هذا المؤتمر وفي مقدمتها : فتح المدارس والتعليم باللغة العربية ثم تطبيق اللا مركزية الادارية ، وحقوق ابناء القوميات في استلام وظائف الدولة اسوة بالاتراك ... وكانت هذه المقالات الصحفية ذات اتجاه اصلاحي ـ قومي في غالبيتها ، وظهرت في جريدة المؤيد بالدرجة الاولى .

ثانيا : من سنة ١٩١٦ الى ١٩١٨ فترة الثورة العربية الكبرى :

ركز الخطيب في صحافة الثورة على بعدين اساسيين قامت الثورة من اجل تحقيقهما وهما : البعد « الاسلامي » ، والبعد « القومي ـ العربي » ، وكانت جريدة القبلة جريدة الثورة ، هي الساحة التي انطلق منها الخطيب مبينا ان : بالاسلام كان دور العرب الكبير في التاريخ ، وبالعرب كان عز الاسلام وقيام دولة وحضارة .. هذا الاتجاه يمكن ان نطلق عليه اسم الاتجاه « الديني ـ القومي » ، بالاضافة الى تركيزه على « مثالب الترك » مثل قضية التتريك وغيرها ...

ثالثا : من ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ وهي فترة الحكم العربي الفيصلي :

عمل الخطيب محررا لجريدة العاصمة « الجريدة الرسمية » وكان اتجاهه الصحفي يعكس وجهات نظر هذه الدولة العربية الرائدة التي تدعو للتحديث والمعاصرة ، فتطرق الى مواضيع جديدة هي من سمات الدول الحديثة مثل : المواضيع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وكتب في قضايا الاقتصاد الوطني وافتتاح المصارف الوطنية ، وكذلك افتتاح المدارس العربية لمواجهة المدارس البشرية ، وتطرق الى قضايا العمال والفلاحين ، والتظيمات الشعبية وغيرها ... كما سجل اهم احداث هذه الفترة العربية .

١ ـ جريدة المؤيد :

لعبت جريدة المؤيد دورا بارزا في حياة الخطيب الصحفية ، اذ انضم الى اسرة تحريرها في مصر منذ الايام الاولى لوصوله سنة ١٩٠٩ ، وكان تيمور باشا مساهما في شركة جريدة المؤيد التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف ، وتم الاتفاق على ان يلتحق بقلم تحريرها من الصباح الى الساعة الواحدة ظهرا ، ليتفرغ بعد ذلك للاشراف على

المكتبة السلفية التي أسسها في مصر أيضا منذ الايام الاولى لوصوله(٢٥) . والمؤيد من أوائل الصحف التي وقفت ضد الاحتلال البريطاني منذ صدورها ١٨٨٩ وقد كتب فيها كبار رجال السياسة والفكر ، مثل الكواكبي والشيخ محمد عبده ، وكرد علي والزهراوي والمنفلوطي وغيرهم ... وامتلكها في بادىء الامر الشيخ على يوسف والشيخ أحمد ماضي ، ثم آلت الى علي يوسف عام ١٨٩١(٢٦) ، وبقي محب الدين الخطيب محررا في هذه الجريدة من أول أيلول / سبتمبر سنة ١٩٠٩ الى ما بعد وفاة الشيخ علي يوسف سنة ١٩١٣ ، ونال ثقة الشيخ وقراء الجريدة في فترة وجيزة ويعد محب الدين الخطيب الشيخ علي يوسف « أستاذه الاول في الصحافة المصرية » ، كما يعد صحيفة المؤيد المدرسة الاولى التي تعلم فيها فنون الصحافة ، (وقد كرر هذا المعنى عدة مرات في « سيرة جيل » وفي مجلتي الفتح والزهراء) .

وتنبع قيمة المقالات التي كتبها الخطيب في المؤيد ، من أنها نداءات قومية مستمدة من المبادىء التي نشرها في تنظيمه السياسي الاول وهو :« جمعية النهضة العربية»(٢٧) وكان يرد على كل شعوبي يدعي بأن القومية لم تعرف الا عن طريق الدول الاوربية وسفاراتها أو قنصلياتها في البلاد العربية ، وقد لفت اليه الانظار بحماسته في المناقشة وبموهبته الحقيقية في الجدل ، وبتركيزه على مواضيع الساعة ، وفي هذه الفترة التي شهدت كتاباته في المؤيد ، ازداد غلو جماعة الاتحاد والترقي في الدعوة الى الجامعة الطورانية والى «العصبية التركية» فأخذ الخطيب يشير الى هذا الاتجاه نحو التتريك، ووجد فيه مجالا واسعا لنشر عدة مقالات صحفية حول الموضوع ، نقلها الى جمهور القراء بعد تبسيط معنى « التتريك » وشرحه ، وقد عرض المشكلة بطريقة تتفق وقدرة الجماهير على الفهم والاستيعاب . ومما ذكره الخطيب مفسرا : ان المحرر الذي لا يفهم مضمون الخبر أو الحدث وتفاصيله لا يستطيع نقله وايصاله الى جماهير القراء*. ويمكن القول ان مقالات الخطيب في المؤيد كان لها الاثر الكبير في نشر فكر الحركة العربية وتشجيعها في مواجهة الحركة الطورانية خاصة في سورية والعراق ثم في سائر البلاد العربية العثمانية ، وقد صور محمد لطفي جمعة خطة المؤيد فقال : انتشر المؤيد في أنحاء الكرة الارضية مقروءا من طنجة وفاس كما كان يتلى في شنغهاي وهونولولو والفلبين ، وحيث وجد ناطق بالضاد ، فكان المؤيد من أدوات الحياة العقلية التي لا يستغنى عنها(٢٨) .

برزت مواهب الخطيب الصحفية من خلال عمله في المؤيد فركز على بعض النواحي الصحفية الهامة مثل : الافتتاحية ، وكثيرا ما كان يتخيرها بنفسه ، فيتأخر في دار

---

* عدة لقاءات شخصية مع محب الدين الخطيب رحمه الله في القاهرة سنة ١٩٦٥ وما بعدها .

المؤيد ليترجم مقالة تناسب الوضع ، من الصحف التركية كجريدة « اقدام لاحمد جودت بيك » ، أو غيرها من جرائد ذلك الوقت . . . او يقوم بكتابتها بنفسه بعد أن توثقت صلته بالشيخ علي يوسف صاحب الجريدة . كما لمس ايضا اهمية السرعة في نشر الخبر وتقديمه للقراء فور وقوع الحدث ، او « السبق الصحفي » فيحصل على البيانات اللازمة من مصادر متعددة او يتأكد منها بسرعة فائقة ، قبل ان يفلت منه الخبر الجديد وينشر في جريدة اخرى . وقد استخدم هذا الاسلوب في وقت مبكر عندما اصدر ملحقا صحفيا في الفترة التي وقع فيها الهجوم الايطالي على طرابلس الغرب(١٩) وعندما نشبت حرب البلقان . ونقل محب الدين الخطيب سكنه الى منزل قريب من دار المؤيد ، كي يستطيع متابعة الاخبار . ويقول في مذكراته : « كثيرا ما كان الباعة ينادون على الملحق في الشوارع والاسواق ، ويكون الشيخ علي يوسف في منزله، فيرسل من يقوم له بشراء الملحق ويطلع على ذلك كأي قارىء من جماهير القراء » . ويشير الخطيب الى أنه صار يتصرف بالجريدة حسب عقيدته وقناعاته ، وانه حول جريدة المؤيد الى جريدة عربية محضة : « كأنها جريدة المفيد التي كان يصدرها في بيروت عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس* أعضاء جمعية العربية الفتاة »(٢٩).

وقد جعل الخطيب من المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٣ حدثا صحفيا هاما ، وبدلا من اصدار ملحق صحفي حوله ، اصدر كتيبا سجل فيه احداث المؤتمر وقراراته بطريقة صحفية باهرة كملحق كبير لحدث هام ، فبين بشكل موضوعي أين تكمن اهمية هذا الحدث التاريخي ، وركز على مكان انعقاده وبرر ذلك، كما استرعى الانظار الى ضخامة « الجماهير » التي حضرت المؤتمر وايدى رايه حول هذه النقطة الهامة فيذلك الحين ،وسلط الاضواء على بعض شخصيات المؤتمر ومكانتهم العلمية والدينية والحزبية والاجتماعية بالنسبة الى القضية السورية ـ العربيه ،وهذا بالاضافة الى نشر مناقشات المؤتمر وما توصل اليه الحاضرون من مقررات تركها للقارىء كي يقوم بدراستها وتحليلها(٣٠) .

ويمكن القول باختصار ان مواهب الخطيب الصحفية قد تفتحت فيجريدة المؤيد، وان كتاباته كانت ذات سمة قومية اصلاحية واضحة ، يتعذر الفصل فيها بين المنطلق القومي والمنطلق الديني فصلا كاملا ، من ذلك انه عندما نشرت مجلة «العالم الاسلامي» الفرنسية الدراسة المتعلقة بأعمال المبشرين البروتستانت في العالم الاسلامي ، وفتحهم المدارس والجمعيات والمستشفيات في البلاد . . . قام هو واحد زملائه بترجمة هذه

---

* توفي فؤاد حنتس خلال الحرب العالمية الاولى اما عبد الغني العريسي فهو احد شهداء ٦ ايار سنة ١٩١٦ .

المقالات ونشرها في المؤيد بشكل متتابع ، ونقلت هذه الفصول الى مجلة « المنـار » في القاهرة ، والى جريدة « الاتحاد العثماني » اليومية في بيروت ، مما أثار جدلا وحوارا على صفحات الجرائد بين ناشري هذه الدراسة من الاجانب،وبين محب الدين الخطيب بوصفه مترجما وناشرا لها(٣١) .

وعلى الرغم من أن محب الدين الخطيب كان يتحدث في بعض مقالاته التي كـان ينشرها في المؤيد عن (أمة المسلمين) و (شؤون المسلمين) ، الا انـه كان يدعو قومـه العرب الى تحمل هذا العبء الاصلاحي ، ويطرح حلا لمعالجة « هذه الاوضاع في البلاد العربية الاسلامية ، بضرورة ربط آمال الامة العربيـة الاسلاميـة بالجزيرة العربيـة وامرائها » ولذلك انتسب الى جمعية الجامعة العربية التي اسسها الشيخ رشيد رضا سنة ١٩١٤(٣٢) وسافر في مهمة رسمية الى الجزيرة العربية لطرح هدف هذه الجمعية وتحقيقه ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، اذ قبض عليه الانكليز في ميناء البصرة . ولـم يتحقق له الوصول الى الجزيرة العربية الا عندما أعلن الشريف حسين بن علي الثورة العربية الكبرى ، واستدعى الخطيب ليتولى تحرير جريدة القبلة الرسمية فيها .

٢ ـ جريدة القبلـة :

صدرت جريدة القبلة منذ بداية الثورة العربية الكبرى أي في شهر حزيران سنة ١٩١٦ ، وجعلت شعارها الآية الكريمة : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه»(٣٣)، وتدفق احرار العرب نحو الحجاز ليشاركوا في هذه الثورة(٣٤) ، واسهم بعضهم في الاشراف على صحافة الثـورة بشـكل خاص ، ومنهم الخطيب بعد ان طلبه الشريف (شخصيا) في تموز١٩١٦ فسافر في اليوم الثالث من أيام عيد الفطر سنة ١٣٣٤هـ الى مكة المكرمة . (تموز ١٩١٦) . ويذكر الخطيب هذا الطلب باعتزاز في مذكراته(٣٥) .

كان العمل الظاهر لمحب الدين الخطيب ، تأسيس المطبعة الاميرية لحكومة الحجاز العربية ، واصدار جريدتها الرسمية « القبلة » ، وقد ظهرت في عددها الثاني تحمل اسم المدير المسؤول : محب الدين الخطيب(٣٦) .

اتبع الخطيب في جريدة القبلة أسلوبا صحفيا مميزا ، يعتمد بالدرجة الاولى على « نوع الخبر » واهميته ، ويحدد له ، تبعا لذلك ، مكانه من الجريدة والمساحة الورقية التي سيحتلها ، ومكانه بين الموضوعات الاخرى .. وقرر محرر « القبلة » منذ البداية أن هذه الجريدة ستكرس جهدها لخدمة الاسلام والعروبة معا ، وانها : تسـعى وراء خدمة الاسلام في اقطار المعمورة وتجدّ في سبيل ترقيهم وتقدمهم ، وتجاهد لاعلاء شأن الامة العربية »(٣٧) ، ولا عجب في ذلك ، لأن شعار الثورة العربية الكبرى هو الدفاع

عن العروبة من جهة ، وعن الاسلام من جهة اخرى ، وقد ظهر ذلك في المنشور الاول للثورة الذي صدر بتاريخ ٢٦ حزيران سنة ١٩١٦، الموافق ٢٠ شعبان ١٣٣٤ هـ ـ اي قبل وصول الخطيب الى مكة ـ وبقيت الجريدة محافظة على ابراز هذه المحاور الرئيسية والسمات البارزة للحوار السياسي الدائر في ذلك العصر بين العرب والترك، وكان لا بد من محرر يؤمن بهذه المحاور ويتفهمها جيدا ، ليستطيع نقلها الى الجماهير واقناعهم بها . وكان الخطيب هو هذا الرجل فعالج في القبلة قضايا العصر ، ومنها قضية استبداد الاتحاديين ووصفه بانه :« استبداد مقنع بالدستور » .. واستنكرت الجريدة تهجم الاتراك على العرب ودورهم التاريخي ، وبيّن الخطيب شارحا ومحللا ان خدمة الاسلام تأتي عن طريق نهضة العرب وعزتهم : « فالعنصر العربي لا يزال اصلح العناصر الاسلامية للقيام بأمر الاسلام واعادة مجده الى الانام » .

وقد شغلت قضية « التتريك » لاهميتها ، حيزا مهما في الجريدة في ذلك الوقت، « اذ خص الاتحاديون العرب ولغتهم بالاضطهاد » ، وشرح الخطيب في افتتاحيات القبلة ومنشورات الثورة المتتالية كيف حاول الاتحاديون قتل اللغة العربية في جميع الولايات العثمانية بابطالها من المدارس ومنع استعمالها في الدواوين والمحاكم ، وبرر الاسباب التي دعت شريف مكة ومن ورائه العرب لاعلان الثورة على الاتراك وهو : « اشد الناس بغضا للحرب وحبا للسلم »(٣٨) وادت هذه الطريقة الواضحة في نشر الخبر وشرحه وتعديله الى وصول انباء الثورة بطريقة مبسطة ومقنعة للمسلمين من غير العرب ، وللعرب والمسلمين المغتربين في المهجر ، كما سجل الخطيب بدقة كيفية قيام الثورة وانتشارها والعلاقات الخارجية التي حاولت أن تقيمها ، ودعم ذلك ببعض الصور والامثلة المقارنة ولا سيما في « الافتتاحية » التي كان يحرص على كتابتها .

ولعل القضية الكبرى التي تبناها الخطيب وشرحها شرحا وافيا في الجريدة هي الدعوة للوحدة العربية : وتحقيق أهداف الثورة وآمال العرب ، بقيام الدولة العربية المشرقية الكبرى التي تضم بلاد الشام والجزيرة العربية والعراق(٣٩) وقد أيد الخطيب في دعوته هذه عدد كبير من احرار العرب الذين شاركوا في تحرير جريدة القبلة غير أن كتابات الخطيب « والحزبيين » منهم كانت مميزة لانها تنبع من ايمانهم بضرورة الثورة ، ومن ايمانهم باهداف التنظيمات العربية المنتسبين اليها ، السرية منها والعلنية مثل : جمعية العربية الفتاة وجمعية الجامعة العربية وحزب اللامركزية .. واذا كان الخطيب قد ركز على تنفيذ مقررات المؤتمر العربي الاول الذي عقدته الجمعيات في باريس سنة ١٩١٣(٤٠) فانه لم ينس الاشارة الى مطالب « جمعية العربية الفتاة » التي جاءت في صرخاتها الثلاث(٤١) ، فاشار الى هذه المطالب في جريدة القبلة، وكذلك شرح وأكد اهداف ومطالب جمعية الجامعة العربية التي تتمثل في ربط آمال الامة العربية الاسلامية بالجزيرة العربية وامرائها : فقد صرح في اكثر من مكان في

الجريدة أن على العرب اليوم أمراء وافرادا وشعوبا أن يعلموا انهم في « فاتحة دور جديد من انقلاب العالم » ودعاهم الى تحقيق الوحدة ، ضرب مثلا بالوحدة الايطالية والوحدة الالمانية في القرن الماضي ، وطالب الناطقين الضاد أن يعملوا مع اخوانهم في كل مكان لهذه الوحدة ، « وان لهم في سائر الاقطار العربية اخوة تربطهم بهم رابطة اللغة والجوار والمصلحة والعاطفة والدين ، وعليهم أن يضعوا نصب اعينهم جمع كلمة هذه الامة . . . فانهم ان فعلوا ذلك مشوا بهذه الامة العربية الى احب أمانيها »(٤٢).

ولسنا هنا بصدد اثبات ان جريدة القبلة هي جريدة الثورة العربية الكبرى الرسمية أم لا . . . ولسنا كذلك بصدد اثبات انها جريدة جمعية العربية الفتاة أم لا . . ولكننا نشير الى الاسلوب الصحفي الجريء الذي استعمله المدير المسؤول للجريدة وبقية المحررين ، لدرجة انه عندما اتهمت الجريدة بأنها تتكلم باسم شخص معين ،ردت الجريدة بأن المسألة : « ليست مسألة أمير نادى باستقلاله ، بل هي أكبر من ذلك بكثير » وبينت ان المسألة الاساسية هي : « هل يكون العرب أو لا يكونون » وتجيب الجريدة بثقة أن العرب : « قد أجابوا تحت راية الامير الشريف قائلين : اما ان نكون أعزة أو نموت شرفاء »(٤٣) .

وتعد هذه المقالات الصحفية في القبلة دليلا على تجاوب شريف مكة مع ما طرحه أحرار العرب واعضاء الجمعيات من أفكار قومية وحدوية ، ويمكننا القول ان الجريدة انطلقت تحمل الاراء القومية والاسلامية ، وبقي اسم محب الدين الخطيب يتصدرها حتى تاريخ ٢٠ أيلول ١٩٢٠ ، وعلى الرغم من أن الخطيب توجه الى دمشق بعد اعلان الحكم العربي الفيصلي ، فبقيت دون محرر مسؤول طيلة سنة ١٩١٩ الى أن استلم تحريرها حسين الصبان حتى توقفها سنة ١٩٢٤(٤٤). وهذا دليل على تمسك شريف مكة وحكومة الحجاز بشخصية الخطيب باعتباره صحفيا مميزا .

نجح الخطيب بوساطة القبلة في نقل أخبار الثورة العربية الى المجال العالمي عن طريقين : الاول اتصاله بالحركة الاشتراكية الجديدة ومطالبة قادتها بالوقوف الى جانب الثورة في مواجهة الاتحاديين ، والثاني : اتصاله بعرب ومسلمي المهجر . وكانت الاشتراكية ، هي الحركة الجديدة أو الحدث العالمي الجديد في ذلك الوقت . وقد اعجب بها الخطيب وأحب أن يقدمها للقراء ، وان يطلب مساعدتها للعرب من خلال مؤتمر استوكهولم الذي دعا اليه الاشتراكيون، وقد طلب من اعضاء المؤتمر الذي: « سيكون جامعا للاشتراكية كلها : المعتدلة منها والمتطرفة » أن لا يأخذوا بأقوال الاتحاديين : « بعد أن انتدبوا اسماعيل جانبولاد بك معتمدا لهم في استوكهولم، ليكونوا على مقربة من زعماء السياسة ، وعلى بينة من تقلباتهم ، لعلهم يدفعون عنهم غائلة البوار وجائحة الدمار » واخذ يشرح على صفحات القبلة عيوب الاتحاديين وكرههم

للعرب « وما يبطنون من الدخائل والاحقاد » ووصف هذه الفئة الاتحادية « الباغية » بانها « لم تصدق في قول ولا في عمل » بل كانت شرا على العالم وعلى نفسها وعلى كل حر تحت الشمس » . وناشد الخطيب جماعة الاشتراكيين بقوله : « من العار على الاشتراكية ، خاصة والمدنية عامة .... ان يقبل لهم (أي للاتحاديين) رأي ويسمع لهم صوت » (٤٥) . ويتساءل : « أليس لعمري من المقتضيات السياسية والاقتصادية والتاريخية ان يستريح العالم من شر الطورانيين ، فتخلفهم تلك الامة التي شهد لها التاريخ بالفضل والسبق في عالم الحضارة والعلم وفي مجال الاصلاح والعمل » أويكون الجواب « اللهم نعم »(٤٦) . ويشير الى العلاقة بين العروبة والاسلام بقوله : « خاصة وان الاسلام في حقيقته دين عربي ، وان الله سبحانه وتعالي قد اشار الى ذلك في اماكن متعددة من القرآن الكريم »(٤٧) . هذا مع العلم ان الخطيب لم يشرح على صفحات القبلة السمات الرئيسية للحركة الاشتراكية الجديدة .. والاسباب التي دعت لقيامها ... الخ .

لقد تمكن محب الدين الخطيب بأسلوبه الصحفي المتميز ، ومناقشة الافكار الجديدة على صفحات القبلة ، والتي كانت مواضيع جديدة بالنسبة للصحافة المعاصرة من تنمية الوعي القومي ، والحوار السياسي داخل الوطن العربي وخارجه ، وتمكن من نقل القضية العربية واخبار الثورة العربية الكبرى من الساحة العربية المحلية ، الى الساحة العربية في المهجر ، فأصبح المغتربون يكتبون للقبلة معبرين عن شعورهم تجاه الثورة ورجالها ، ويحيون القائمين عليها بقولهم « لتحيى دولة العرب وليحيى ملك الحجاز .... مالك قلوب الناطقين بالضاد في الجزيرة والقطرين وفي اطراف المعمورة ايضا »(٤٨) .

ولعل صدى هذه المقالات الصحفية ، وما افرزته من ادبيات خاصة بالثورة العربية ، بحاجة الى بحث مفصل ، غير انه لا بد من الاشارة الى العلاقة الطيبة التي قامت في الحجاز بين محب الدين الخطيب وصحافة المهجر ،وتبادل الاراء حول النهضة الجديدة ، وبدأ الخطيب يعالج المسائل الهامة في ذلك الوقت بالنسبة لعرب المهجر ، والمسلمين من غير العرب ، فعالج قضية الهجرة ، وقضية الدين والدولة ، داعيا لاستعادة مجد العرب ، مقارنا بينهم وبين الترك ، وغيرهم من الامم ، وتطرق الى الخلافة والسلطة في مقالاته ، مما اقنع عرب المهجر بأن المهاجر : « ما كان يهجر وطنه لو كانت فيه الكلمة للعرب وللدولة العربية » . وكرر المهاجرون تحيتهم لكل رسول يحمل من الحجاز بشائر الحياة للدولة العربية(٤٩) .

٣ ـ جريدة العاصمة :

عندما دخل فيصل الى سورية بجيشه العربي في أواخر ١٩١٨، استأذن الخطيب

من الملك حسين أن يزور اهله في دمشق ، فوصلها في شهر تموز ١٩١٩ . وقد استقبله هناك اعضاء جمعية العربية الفتاة ، ليكون عضوا في لجنتها المركزية التي تشرف على ادارة الدولة من وراء ستار(٥٠) ، ونيط به ادارة وتحرير الجريدة الرسمية للحكومة العربية وهي جريدة « العاصمة » وابيح له ان يكتب فيها مقالات توجيهية كما يشاء بلا مراقبة ، فوجه اهتمامه الى العلاقات العقائدية في المجتمع واثرها السياسي ، وناقش الافكار التي ترتبط بالانسان والمجتمع والتاريخ بوجه عام ، ويوضح انه لا بد من البدء باصلاح الفرد لأن : نظام الدولة في كل امة من الامم منتزع من نظام الجماعة ، وقائم على اساسه ، ونظام الجماعة منتزع من خلق الفرد وقائم على اساسه .

كان الخطيب في جريدة العاصمة مفكرا ومصلحا ، يضع النقاط على الحروف ، ويرد على قضايا ومشكلات ما بعد الحرب العالمية الاولى ، من قضايا اقتصادية واجتماعية وفكرية . . . وقد استنكر على صفحات العاصمة ، كيف ان بعض المدارس الفكرية تحاول ان ترسخ في نفوس ناشئتنا غلطة من غلطات التاريخ تفسد علينا عقيدتنا في قوميتنا وتوهمنا ان هذه الدماء تجول في عروقنا ، انما هي دماء غريبة عن الدم العربي ، ويستغرب قول هؤلاء : « بأننا من الفينيقيين والاراميين » ويتساءل : « ولا ادري ما سوف يقولون لنا غير هذا في الايام الاتية »(٥١) .

وكانت هذه المواضيع الجديدة تتناولها الصحف ذات الاتجاه الفكري العربي الواحد ، والبعد القومي الواضح ، فلم تلبث جريدة « المفيد » ان تناولت هذا الموضوع تحت عنوان « حياتنا القومية » ، وصحيفة الاستقلال بمقالة عنوانها « نحن العرب ليحي العرب »(٥٢) ، مما ساعد على تكوين الوعي العام العلمي والاجتماعي والقومي ، بالاضافة الى الوعي الاقتصادي ، ونشاط الحوار السياسي . وطرح الخطيب العلاقات الاقتصادية وأثرها السياسي ، فبحث في التكوين الطبقي ، وفي الفلاح والارض ، وناقش قضية العامل والسخرة والرشوة . وقدم في اعداد العاصمة تحليلا تاريخيا لتطور العلاقات الانتاجية بصورة عامة، ابرز فيها اثر حاجات الانسان المادية على الحياة الانسانية وتطورها .

كانت قضية العمال تشغل بال محب الدين الخطيب ، وفي رايه ان « ليس سواد الامة قاصرا على طبقة المتعلمين والاعيان وتجار الحواضر « الذين يقرؤون الصحف اليومية . . . » بل سواد الامة في رايه « . . . هو المتكون من جماهير العمال وسكان القرى والجبال والعاكفين على شق الارض واستنباتها ، فهؤلاء هم الذين يجب على المتعلمين ان يصرفوا هممهم الى تنوير قلوبهم وعقولهم ، وترقية مواهبهم ومداركهم ليتكون للامة راي عام بوساطتهم »(٥٣) .

ومن هذا المنطلق ، اتجه الخطيب نحو التنظيم الشعبي ، فاسس مع كامل

القصاب اللجنة الوطنية العليا ،وفروع اللجنة الوطنية العليا ،وهي خارج نطاق بحثنا، غير انه لا بد لنا من الاشارة الى ان شباب هذه اللجنة ، هم الذين قاوموا الجيش الفرنسي في ميسلون ، وكانوا بمثابة الجيش الشعبي في سورية ايام الحكم العربي الفيصلي(٥٤) واعتنت اللجنة كذلك بالوضع الاقتصادي وتامين الحبوب لأفراد الشعب، وقد بين محب الدين الخطيب على صفحات جريدة العاصمة اهتمام اللجنة الوطنية العليا بهذه الناحية ، عندما شكلت وفدا توجه الى الحاكم العسكري العام يرجوه عدم تصدير الحبوب الى خارج المنطقة الشرقية رحمة بالفقراء ، فوعدهم خيرا(٥٥) .

ولعل محب الدين الخطيب اول من طالب « بتأسيس مصرف مالي عربي » من منطلق أن المصارف الوطنية عنوان الاستقلال الاقتصادي ، والاستقلال الاقتصادي دعامة الاستقلال السياسي ، وفي رايه انه : « ما نشبت مخالب الاستعمار في بلد من بلاد الشرق الا على ايدي المتمولين من الاجانب » . ويشير محب الدين الى العلاقة بين وجود المصارف الاجنبية فيبلد من البلاد وجود«الجند الاجنبي» بقوله : « ان وجود المصارف الاجنبية هو مقدمة لوجود الجند الاجنبي في يوم ما داخل قلاع ذلك البلد » وقد تكلم الخطيب عن بنك مصر وفوائده المتعددة ورفع اقتراحه بتأسيس مصرف مالي عربي الى رئيس الوزراء ، ووزير المالية وكبار التجار والاعيان(٥٦) .

بقي الخطيب في دمشق يشرف على جريدة العاصمة ، وكانت تصدر بمعدل مرتين في الاسبوع ، طيلة العهد الفيصلي ، يدافع عن استقلال البلاد «وضرورة الالتفاف حول سمو الامير المعظم » ، ويدعو الامة العربية عامة والشبيبة منها خاصة « أن تبقى مستظلة بالراية التاريخية المربعة الالوان»(٥٧) ، وبقي مخلصا للعهد العربي الفيصلي، حتى كانت موقعة ميسلون في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ وانهيار الحكومة العربية امام جيش فرنسا ، فخرج محب الدين الخطيب متوجها نحو مصر ، ليبدا حياة صحفية جديدة، بمضامين جديدة ذات طابع اسلامي ، وسمات اصلاحية واجتماعية جديدة .

اما على النطاق الرسمي فقد سجل الخطيب على صفحات العاصمة بدقة صحفية العلاقات الخارجية التي بنيت عليها هذه التجربة الفيصلية ، والعلاقات الدولية التي حاول الحكم العربي الفيصلي أن يقيمها مع الدول الكبرى وغيرها .

وعلى النطاق الداخلي ، سجل الخطيب اهم احداث العهد ، وركز على افتتاح المؤتمر السوري ، وسجل جماهيرية هذا المؤتمر ، وعدد الحضور والشعور الشعبي ، والتاييد الجماهيري ... ونقل صورة واضحة على صفحات العاصمة لتتويج الامير فيصل ملكا على سورية في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ .

وهكذا ترك الخطيب على صفحات الجريدة الرسمية في الحجاز ودمشق سجلا

وثائقيا وافيا حول الاحداث الوطنية العامة والقرارات الرسمية لحكومات تلك الفترة ايضا .

نشاط محب الدين الصحفي من سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨ :

اذا كان الخطيب قد ركز على شرح البعد القومي والنزوع الى القومية العربية والعروبة في صحافة الربع الاول من القرن العشرين ، فانه ركز كذلك على البعد العقائدي الاسلامي في صحافة الربع الثاني لهذا القرن بل وحتى وفاته سنة ١٩٦٩ .

وكانت منطلقاته الفكرية تتركز على مقاومة الاستعمار السياسي والاقتصادي والفكري الذي وقعت المنطقة العربية ، بمشرقها ومغربها ، تحت تأثيره من خلال الانتدابين البريطاني والفرنسي وتسويات ما بعد الحرب العالمية الاولى .

ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى فترتين زمنيتين :

الاولى من سنة ١٩٢٤ الى ١٩٢٩ وهي فترة الاتجاه الادبي ـ الاجتماعي، ويتمثل في مجلة الزهراء التي اصدرها الخطيب في هذه الفترة بالاضافة الى دعوة واضحة لمزج الاصالة بالتحديث .

والثانية : من سنة ١٩٢٦ الى ١٩٤٨ ثم من ١٩٥٢ الى ١٩٥٨ وهي فترة الاتجاه الديني ـ الاسلامي ، ويتمثل في مجلتي الفتح والازهر اللتين اصدرهما في خلال هذه السنوات . وقد تطرق من خلالهما الى اهم قضايا هذه الفترة ، مثل قضية فلسطين ، وقضية التحرر العقلي من الاستعمار . ويشير : لا يمكن ان يتصور امكان تجرد ثقافة عربية من روح الاسلام : « لأن العروبة والاسلام شيء واحد ، وماضيهما ماض مشترك ومتلازم »(٥٨) ويكرر ذات المعنى في مقالات اخرى في مجلة الازهر .

مجلة الزهراء والاتجاه الادبي :

تعكس مجلة الزهراء ، التي اصدرها الخطيب في مصر ، التطور الذي طرأ على تفكيره هو وامثاله في هذه الفترة .. فقد شهد هؤلاء الرواد آمالهم القومية الوحدوية تخبو امام الضغوط الاجنبية ومصالح الدول الاستعمارية المنتصرة ، التي قضت على الدولةالعربية الفيصلية الوليدة ،واخذت فرنسا وانكلترا تطبقان معاهدة سايس ـ بيكو وتجزئان المنطقة ، كما هو معروف ..ووقعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي، وسورية الجنوبية والعراق تحت الانتداب البريطاني ، وكان الخطيب في هذه الاثناء قد اتخذ من مصر وطنا ثانيا له ، يرقب الاحداث والاضطرابات ، والتقسيمات التي قام بها الجنرال غورو في سورية(٥٩) ، وما وصل اليه الامر من سوء ، وكيف اصبحت

البلاد المقدسة في فلسطين لاول مرة بعد الحروب الصيلبية بأيد أوربية ، وعاصمة الامويين والعباسيين تحتلها قوات أجنبية .

في هذه الاجواء المضطربة أصدر الخطيب مجلة الزهراء سنة ١٩٢٤م لتاخذ طابعا ادبيا أكثر منه سياسيا ، وصدر العدد الاول منها يوم ١٥ محرم ١٩٤٣ هـ لتستمر في الصدور خمس سنوات متتالية ، تحمل الجملة التي ثبتها على الغلاف : مجلة علمية أدبية اجتماعية . . . ويمكن القول ان الزهراء كانت المجلة ـ الجسر ـ بين الصحافة التي كان الخطيب يشارك في تحريرها قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها ، ذات الاتجاه القومي والطابع العربي ، وبين الصحافة التي أصدرها او ساهم في تحريرها في فترة ما بين الحربين ، وهي صحافة ذات اتجاه ديني وشمول اسلامي ، يتمثل في مجلات الفتح والازهر « والشبان المسلمون » وغيرها .

ونلمس في مجلة الزهراء دعوة واضحة الى مزج الاصالة بالتحديث وضرورة ذلك عند العرب للحفاظ على حضارتهم ، ويؤكد الخطيب في عدة اماكن انه : لا بد لنا من « الاحتفاظ بتقاليدنا القومية » من ناحية ، و : « المحافظة على لغتنا العربية الاصيلة » من ناحية اخرى . وقد دعا الخطيب الى : « المرونة في الاقتباس » من حضارات الامم المجاورة لنا ، فهي حضارات معاصرة ، تقدمت خطوات وسبقتنا في مجالات القوة ، والنظم الادارية والممارسات السياسية وغيرها(٦٠) . ولا بد لنا من الاستفادة من هذه الوسائل العصرية شريطة الابتعاد عن السفاسف والقشور الغربية التي قد تكون سببا لتنفير الشرق حتى من النافع(٦١) .

وقد لمس الخطيب اهمية هذه المواضيع الجديدة التي كانت مدار بحث ونقاش في هذه الفترة ، فكان يناقشها في « الافتتاحية الصحفية » ، واجهة المجلة أو الجريدة ، كما ادخل الخطيب في مجلته الجديدة هذه عدة ابواب صحفية تلبي متطلبات العصر وتتناول اهم الانباء العالمية ، سواء اكانت انباء سياسية أم ادبية أم رياضية ، ويقول الخطيب ان النبأ المهم او « الساخن » (باللغة الصحفية) ليس بالضرورة النبأ السياسي فقط .

وركز الخطيب في هذه المجلة ايضا على انباء العالم الاسلامي بشكل خاص ، وكانت لها ابواب معينة على صفحات خاصة في المجلة ، الا ان الزهراء ظلت ، طيلة فترة صدورها تركز على سمات العرب الحضارية وآدابهم ، وانهم أغنوا الحضارات العالمية بتراثهم العلمي وتشيد متفائلة باهمية النهضة الحاضرة في مصر والاقطار العربية الاخرى .

ويبرز الخطيب تاخر الشرق وضعفه بان يلقي اللوم على فريقين: الاول الحكومات الاسلامية ، التي شهدت تطور أوربا وما ترتب على هذا التطور من نتائج سياسية

وعمرانية فمرت بذلك كله كما يمر به من لا يعنيه أمره ،والثاني عقلاء الامة وقادة الراي منها الذين سكتوا عن هذا الوضع لأن الحكومات تستمد قوتها من سلطة شعوبها (٦٢). فاذا تنبه قادة الشرق من غفلتهم وكانوا « بعيدي النظر نافذي البصيرة ، فانه بامكانهم ان يبدؤوا للشرق عصرا جديدا »(٦٣) .

وعزز الخطيب هذا البعد الادبي في مجلته عندما اخذ ينشر شروحا وافية لأهم المؤلفات الادبية والتاريخية ، ووجه عناية خاصة لحركة التأليف والنشر بشكل عام واعتنى بالمؤلفات الصادرة على المستوى العالمي ، واخذ يدعو الى « محاولة الاقتباس» منها « حسب ما يتناسب والثقافة العربية والاسلامية »(٦٤) .

التزم الخطيب بهذا الخط الادبي الذي اشترط في امتياز الزهراء ولم يتدخل في الدين والسياسة ، وبرر الاسباب التي دعت الى اصدار جريدة الفتح سنة ١٩٢٦ الى جانب الزهراء ، ثم اضطراره للتوقف عن اصدارها .. ويلخص ذلك بقوله : ان الاوضاع العامة التي كانت تمر بها المنطقة (تحت الانتداب) كانت تستدعي الاتصال بالشباب ، والراي العام ، والشباب المثقف ، لمقاومة التيارات السياسية والثقافية الدخيلة « تيار الالحاد والتغريب » وامتياز الزهراء لا يسمح بذلك فكان لا بد من اصدار صحيفة جديدة(٦٥) .

ويشير الخطيب على صفحات الفتح الى الاوضاع السيئة التيكانت تمر بها البلاد من : الغاء تركية الحديثة للخلافة الاسلامية ، والتجزئة السياسية التي اصابت المنطقة والغزو الفكري ... « فكان على هذه الصحيفة الاسبوعية الصغيرة ان تقف في وجه تيار عظيم ، يدفعه موج من خلفه موج ومن بعده موج ..»(٦٦) وشرح الخطيب أوضاع الوطن العربي ، ولكنه وجه نظره نحو قضايا العالم الاسلامي « الذي انصرف عنه الناس » . ووظيفة الفتح في رايه : «ان تزن الحوادث بميزان هداية الاسلام»(٦٧).

ومع بداية السنة السادسة لصدور الفتح، (العدد ٢٥١) حدد الخطيب ما اسماه « مبادىء الفتح » على الشكل التالي :

١ ــ الفتح لأهل القبلة جميعا والعالم الاسلامي وطن واحد .

٢ ــ المسلمون الى خير ولكن الضعف في القيادة .

٣ ــ انت على ثغره من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك .

٤ ــ اعمل يراك الله وحده وتوار عن انظار الناس .

٥ ــ الفتح رسالة الاقطار العربية بعضها الى بعض .

٦ ــ الفتح رابطة روحية بين قرائه(٦٨) .

والتزم الخطيب بهذه المبادىء حتى توقفت الفتح عن الصدور سنة ١٩٤٨م .

أما بالنسبة لقضايا الوطن العربي فقد وجه الخطيب عناية خاصة لقضية فلسطين وحذر من تهويدها بقوله « فلسطين ستكون يهودية بعد اربعة عشر عاما » ان لم يغير عرب فلسطين ما هم فيه(٦٩) كما خصص عدة مجلدات من الفتح لهذه القضية العربية الاسلامية وذلك منذ سنة ١٩٣٥ حتى ١٩٤٨ واصدر عددا خاصا وهو عدد ايلول سنة ١٩٣٨ للقضية الفلسطينية ، قدمت من خلاله دراسات لعدد من كبار الكتاب من مختلف الاقطار العربية .

وفي سنة ١٩٤٦ اصدرت المجلة عددا خاصا عن فلسطين بمناسبة وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ، ولم ينس صاحب الفتح احداث فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فكتب عدة مقالات عن احداث ١٩٤٦ و١٩٤٧ . وعندما قامت الدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ ناقشت الفتح هذه القضية في مجلدين (السابع عشر والثامن عشر) مرورا بتقسيم فلسطين ، وقيام الحرب بين العرب واليهود ، وجرائم اليهود المتعددة في فلسطين ، وقضية فلسطين في ضوء انتصار الحلفاء ، وانحياز امريكا السافر الى جانب اليهود ...

واما بالنسبة للقضايا الاخرى فقد تطرق في المجلدين الاخيرين المشار اليهما ، الى قضايا العصر مثل : بروتوكول جامعة الدول العربية ، والجلاء عن سورية ، كما تطرق لقضايا العروبة ومفهومها الاسلامي الاصيل ، وضرورة العناية بتعليم اللغة العربية في مواجهة التحديات الاوربية ، مثل فرض التعليم باللغات الفرنسية او الانكليزية وادارتها من قبل الاجانب (المدارس التبشرية) وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ووجه اهتمامه الى اهمية القرآن الكريم وتفوق اللغة العربية على لغات الدنيا(٧٠) .

وتناول الخطيب موضوع العلاقات الاقتصادية ، وبين اثرها السياسي على أوضاع البلاد بشكل عام ، وقد وضح هذا الاثر بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان لا بد من وضع خطة لمواجهة هذه الاوضاع . وقد اشار الخطيب الى انه : « اذا اردنا ان نكون اصحاب اوطاننا والمتصرفين في انفسنا (يخاطب اخوانه العرب) فيجب علينا اولا وقبل كل شيء ان ننظم حياتنا الاقتصادية تنظيما جديدا ..» ثم يحدد الخطيب اسس هذا التنظيم وقواعده بقوله : « نجعل معه ثروتنا في خدمة سعادة بلادنا ، ونهيء كل يد عاملة للعمل الحلال حتى يكون ميسورا امامها ، وهكذا نفتح الابواب لخير البيوت منفردة ولخير الوطن مجتمعا »(٧١).

وهكذا كانت مجلة « الفتح » منبرا لقضايا واخبار دنيا العروبة والاسلام ، وكان الخطيب يصدر منها خمسين عددا في السنة ، أرخ فيها تاريخ الحركة الفكرية

والاجتماعية منذ صدورها في سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م . غير ان الاوضاع الصحفية قد تطورت في زمنه ،واصبحت تعبر عن اغراض خاصة بدلا من الاغراض العامة ،واصبحت الكتابة تجارة ونهم ، واصبحت الاقلام تسخر لخدمة الجشع المادي والاسفاف ، غير ان المجلد السابع عشر جاء غنيا ببحوثه الدينية والقومية والسياسية وكان المجلد الثامن عشر (ذي الحجة سنة ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م) المجلد الخاتم لهذه المجلة الرائدة في الدعوة للاسلام والعروبة .

ويصور الخطيب الوضع الصحفي في مجلة الازهر ،ويشير الى ان الصحافة كانت ايام المؤيد واللواء « اداة ارشاد» ترى من واجبها ان تأخذ بيد الشعب لتنهض بمستواه القومي والملي والعقلي والثقافي(٧٢) . وبين التحولات التي طرات على الصحافة بين الحربين ، وبعد الحرب العالمية الثانية ، فغدت : « صناعية تجارية تدفع الضرائب وتستلهم اهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم من عناوين خداعة ، وتشجيع للملاهي » ودعا اصحاب الاقلام الى ان يكونوا « ابرياء من الغرض ، اوفياء للحق ، وان يأخذوا انفسهم بشيء من ادب القول حتى يكون لكلامهم قوة الصدق ، فلا يرميهم رام بأن كتابتهم تجارة وحتى لا تجري فيهم الالسن بانهم وراء المادة وحدها ، لا انصار فكرة ولا دعاة الى مبدا . ولا عليهم ان يغالطوا الناس فيما يعرفه الناس منهم»(٧٣). ودعا الخطيب حملة الاقلام الى معالجة القضايا الاجتماعية ، وخاصة قضية التعليم في الازهر ، ورفع هو شخصيا الى شيخ الجامع الازهر تقريرا حول مناهج الدراسة الازهرية ، وطلب منه تعديل المناهج : « ليؤدي الازهر رسالته نحو الاسلام وتراثه الثقافي ، ونحو اهله في نهضتهم الاجتماعية والخلقية والدينية ، ليثبتوا مكانه اللائق بهم في طليعة الامم المعاصرة لنا »(٧٤) .

كان الخطيب يدعو الى التحرر العقلي من الاستعمار وما طرحه في بلادنا من عادات وتقاليد واساليب تعليم غريبة عن محيطنا ، ويرى انه لا بد لكل امة تحررت من الاستعمار السياسي والعسكري ان تتحرر من الاستعمار العقلي والثقافي بحزم واجتهاد عظيمين ولو بالتدريج : « الى ان تكون لها ثقافة قومية مستقلة نستمدها من آدابها وتراثها العقلي والفكري » ويشير الخطيب الى ان هذا يحتاج الى وقت طويل ولكن في رايه : « يجب ان ترسم له الخطط من هذه الساعة »(٧٥) .

وكان الخطيب على مستوى من الجراة الصحفية عندما طرح في مجلة الازهر قضية العروبة والاسلام في وقت مبكر ، وقد اخذ هذا العرض منه وقتا طويلا وعلى مدى عدة مجلدات ويؤكد الخطيب اننا عرب عريقون في عربيتنا وعروبتنا بل « نحن اعرق فيها من تركيا في تركيتها ، ومن جرمانيا في جرمانيتها(٧٦) .

واذا علمنا ان الصحافة المصرية في هذه الاثناء كانت صحافة حزبية تتكلم باسم

الاحزاب الوطنية المصرية المتعددة ، أو صحافة انكليزية مؤيدة للاحتلال(٧٧) ، علمنا ايضا مدى جراة محب الدين الخطيب الصحفية ومهاجمته للاحتلال الذي كان يطلق عليه اسم « الاستعمار » وكان يميز على صفحات الجرائد بين الاستعمار العقلي والاستعمار العسكري ، مهاجما اساليب التعليم التي نشرتها بريطانيا وفرنسا في مصر وغيرها من البلدان العربية ويشير الى ان : « الاستعمار العقلي شر على الامم الاسلامية من الاستعمار العسكري ، ولا يشعر به عامة الناس ، وكثيرا ما يلتبس امره على خاصتهم ، فيحسبون ما فيه من سم دسما ، وهذا ينطبق على المثقفين ايضا ، ويؤكد قائلا « بل راينا الوفا من المثقفين يمجدونه ويدافعون عنه ، ويسمونه تقدما وارتقاء، ولذلك كان التخلص من الاستعمار العقلي اصعب من التخلص من الاستعمارالعسكري، لانه تختلط فيه الوسائل بالغايات ، وقد يباح في الوسائل ما لا يباح في الغايات»(٧٨).

ثم يشير الخطيب الى ان أخطر آثار الاستعمار العقلي ، الايحاء بان الكلام عن العروبة واصالتها وعراقتها في الانسانية ، قد يحمل على العصبية الجنسية ، وقد يتنافى مع الدعوة للاسلام والمسلمين ، بينما الواقع ان العروبة هي : ظئر الاسلام وان العروبة والاسلام كليهما : « من كنوز الانسانية وينابيع سعادتها ، اذا عرف اهلهما قيمتهما ، واذا اتيحت لهما أسباب الظهور للناس على حقيقتهما » .

ويؤكد الخطيب على ان الحضارة : « بوتقة تذوب فيها الانساب وتبقى فيها التقوى الاسلامية والآداب الفاضلة ولغة القرآن والجامعة وتعاون جميع ابناء العروبة والاسلام على العمل الصالح لبناء الكيان الصالح في الدنيا والاخرة »(٧٩) .

ابتعد الخطيب عن المهاترات الصحفية التي سادت النصف الاول من القرن العشرين في انحاء العالم ، وخاصة في مصر ، كما ابتعد عن الصحافة الهزلية وصحافة الكاريكاتور ، وسخر قلمه لاعلاء شأن العروبة والاسلام ، مبينا ان الاسلام قد جمع قلوب اهله على محبة العربية والعرب ، كما فتح قلوب العرب لمحبة اخوانهم في الاسلام جميعا (٨٠)، فكان بذلك حامل لواء العروبة والاسلام . وان مقالاته الصحفية ـ وان دارت مع الاحداث في معظمها ـ كانت مناهج ثقافة وبرامج نهضة وتاريخ أمة ، وقد طوعت الصحافة بنان قلمه ، فكان سهل الاسلوب بغير غموض ولا تعقيد ، وكانت المجلات التي يصدرها تتخاطفها الايدي من الباعة بعد ان احتلت مكانا بارزا بين مجلات العصر ، حتى ليمكننا القول بأن محب الدين الخطيب كان من ابرز كتاب الامة العربية الاسلامية ومفكريها واكثرهم شمولا في النصف الاول من القرن العشرين (٨١) .

الحواشـــي

(١) تقع مكتبة محب الدين الخطيب في حي الدقي في مدينة القاهرة (٤٦ ش عمان).

(٢) اطلعت على مذكرات الخطيب « سيرة جيل » سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ وهي مخطوطة لم تطبع بعد ، ثم اطلعت على جزء مطبوع نشرتهجمعية التمدن الاسلامي في دمشق عام ١٩٧٩ ، اي بعد عشر سنوات من وفاته . الا ان المذكرات المخطوطة اكثر شمولا ، وقد زادتها تعليقاته الهامشية ثراء وثائقيا وتاريخيا .

(٣) للباحثة بحثان عن الخطيب : الاول « أوراق محب الدين الخطيب » ضمن كتاب : **بحوث في تاريخ العرب الحديث مهداة الى الاستاذالدكتور احمد عزتعبدالكريم** جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٧٦ ، يعرف بمكتبته وما تضمه من أوراق بأنواعها ،والثاني « رواد اليقظة القومية ـ المناضل محب الدين الخطيب » في **مجلة البحث التاريخي** ، الجمعية التاريخية في حمص (سورية) يتناول الجانب السياسي من حياته ، مستمدا من مذكراته المخطوطة « سيرة جيل » والوثائق الحزبية بشكل عام .

(٤) يشير محب الدين الخطيب في مذكراته الى ان الشيخ طاهر الجزائري توصل الى امنيته العظمى وهي جمع المكتبات الموقوفة علىالمساجد والمدارس وكانت معرضة للسرقة والاختلاس فجمعت في قبة الملك الظاهر وعرفت بالمكتبة الظاهرية وعين لها امينان : احدهما والده الشيخ ابو الفتح الخطيب ، وكانت مدرسة (نمونه ترقي) أي مدرسة الترقي النموذجية تقوم في الجانب القبلي من البناء .

(٥) مكتب عنبر هو المدرسة الثانوية في دمشق وكان العثمانيون يطلقون اسم مكتب على المدرسة ، وعنبر ثري اسرائيلي حولت داره الى املاك الدولة العثمانية اواخر القرن ١٩ وجعلتها مدرسة ثانوية وكان التعليم فيها سبع سنوات ولغة التعليم اللغة التركية . راجع: ظافر القاسمي ، مكتب عنبر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

(٦) لقد اطلعت على هذه المخطوطات في دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٦٦ ، وكانت بحي باب الخلق ، اما الان فقد نقلت دار الكتب الى (حي ماسبيرو) على النيل .

(٧) راجع حول البدايات الصحفية المخطوط الذي يحمل عنوان « الجيل الذي عاصر بعث العروبة وهو بخط محب الدين الخطيب » في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الاردنية.

(٨) اشرت الى هذه النشاطات بمدة بحوث بعنوان « صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام» في**مجلة دراسات تاريخية،جامعة دمشق**،(لجنة كتابة تاريخ العرب (العدد ٧ ، كانون الثاني ١٩٨٢ ، العدد ٩/١٠ ، تشرين الاول ١٩٨٢.

(٩) محب الدين الخطيب ، المذكرات **سيرة جيل** المطبوعة ، جمعية التمدن الاسلامي (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) ص ١٣ .

(١٠) راجع د. سهيلة الريماوي مجلة **دراسات تاريخية** ، العدد السابع ، كانون الثاني ١٩٨٢ ص ١٣٤ وما بعدها « من الجمعيات العلمية الىالجمعيات السياسية» حلقة دمشق الكبرى وحلقة دمشق الصغرى التي اسسها الخطيب مع « زملاء المدرسة » في دمشق ١٩٠٣ أسوة بحلقة دمشق الكبرى التي اسسها الشيخ طاهر الجزائري قبل ذلك .

(١١) لقد تأسست هذه الغرف في مدخل حي النصارى بدمشق ، أواخر القرن ١٩ فاستقطبت هواة المطالعة من الشباب العرب في هذه الفترة وخاصة طلاب مكتب عنبر ـ تعليق على هامش المذكرات (تاريخه غير محدد) .

(١٢) راجع كتاب محب الدين الخطيب ، **مع الرعيل الاول** ، ص٣٠ وما بعدها مقالة بعنوان « في نادي الكلمة ، أماني الطفولة وأحلامها » يصور هموم محب الدين الخطيب نحو هذه الامور وكيفية نقلها الى أترابه منذ دراسته الثانوية لانها في يقينه رسالة عظيمة . (ط١١

القاهرة ، المكتبة السلفية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

(١٣) كانت أولى الجمعيات جمعية النهضة العربية التي أسسها الخطيب سنة ١٩٠٦ في استانبول ولن نتطرق هنا لهذه الجمعيات التي أسسها أو شارك في تأسيسها .راجع **دراسات تاريخية** « صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام» ٢ كانون الثاني ١٩٨٢ ص ١٤٥ وما بعدها .

(١٤) التحق كرد علي بقلم تحرير جريدة الظاهر التي كان يصدرها محمد ابو شادي المحامي ، ثم بقلم تحرير المؤيد لصاحبها الشيخ علي يوسف (تعليق على هامش المذكرات) .

(١٥) محب الدين الخطيب : **سيرة جيل** ، المذكرات المخطوطة .
وراجع أيضا : « الجيل الذي عاصر بعث العروبة » مخطوط في مكتبة الخطيب ، يتكلم الخطيب عن نفسه في المذكرات بصيغة الغائب : يقول مثلا « رأي صاحب الترجمة » .

(١٦) من هؤلاء لطفي الحفار وشكري القوتلي في دمشق ومظهر رسلان وفايز العظم وعبد الكريم الخليل وشكري الجندي في الاستانة ، **سيرة جيل** ـ المذكرات المخطوطة .
وراجع الفتح مجلد ٩ عدد ٤٠٣ تاريخ ٣٠ ربيع أول ١٣٥٣ هـ ص ٦٣ .
والامير عارف الشهابي من اعضاء جمعية العربية الفتاة واحد شهداء أيار ١٩١٦ كان يكتب في صحيفتي المفيد ولمرات الفنون تحت توقيع عبد الله بن قيس .

(١٧) ليعمل مترجما في القنصلية البريطانية بعد ان نصحه الاصدقاء بترك استنبول والتوجه لليمن فوصلها في شهر تشرين أول سنة ١٩٠٧ وبقي فيها الى ما بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ بعدة اشهر .

(١٨) محب الدين الخطيب **سيرة جيل المذكرات** ، اي تاسيس صحيفة تحمل اسم « جمعية النهضة العربية » التي اسسها محب الدين الخطيب ورفاقه في استامبول ودمشق : راجع د. سهيلة الريماوي **دراسات تاريخية** العدد السابع (سبق ذكره) .

(١٩) عرض الاتحاديون المادة الرابعة من الدستور في مجلس المبعوثان ونوقشت بتاريخ ٧/٧/ ١٩٠٩ وتنص على انه : يمنع قيام الجمعيات ذات الاهداف السياسية والتسمية القومية في الدولة العثمانية ، وقد فازت عندما عرضت على الاقتراع فنالت تأييد ٩٠ صوتا ومعارضة ٦٠ صوتا .

(٢٠) مثل نقد الوالي ناظم باشا ونقد مدير المعارف وكانت الاوضاع غير مستقرة والراي العام في بلبلة بسبب سياسة الاتحاد والترقي غير الواضحة عقب الاشهر الاولى من اعلان الدستور ، لمزيد من التفاصيل راجع « الجيل الذي عاصر بعث العروبة » مخطوط بقلم محب الدين الخطيب .

(٢١) كان الناس في ذلك الوقت يستعملون كلمة « حط بالخرج » ، للدلالة على عدم اهمية الحدث الذي يخشونه .

(٢٢) وثيقة من وثائق محب الدين الخطيب ،والجيل الذي عاصر بعث العروبة .

(٢٣) المصدر السابق .

(٢٤) كانت الدولة العثمانية قد اصدرت قانون الصحافة الاول ١٨٦٤ وبعد فشل الانقلاب الذي دبره انصار السلطان عبد الحميد في آذار ١٩٠٩ ويعرف « بالانقلاب المضاد » اصدر الاتحاديون قانون الصحافة الثاني .

(٢٥) كانت المكتبة السلفية في بداية تأسيسها في مدخل خان الخليلي ثم انتقلت الى شارع الروضة في حي المنيل ، وقد اختار لها هذا الاسم الشيخ طاهر الجزائري ، ومما تجدر الاشارة اليه ان الخطيب طلب في وصيته المخطوطة بان لا يطرأ على المكتبة السلفية ومطبعتها اي تقسيم او تجزئة ، وان لا تشجع اي كتاب او نشرة فيها مساس بالاسلام والعروبة ولو كان ذلك فيه الثروة والغنى والجاه العام . **الوصية** « مخطوط في مكتبة الخطيب بالقاهرة » .

(٢٦) راجع د. عبد اللطيف حمزة : **ادب المقالة**

الصحفية في مصر جـ٤ (الشيخ علي يوسف). طبعة ١٩٦٠ .

(٢٧) راجع **دراسات تاريخية** العدد السابع ... سبق ذكره .

(٢٨) جريدة **البلاغ** بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩٣١م .

(٢٩) المذكرات : «سيرة جيل» ، المخطوطة ، وراجع أيضا : « الجيل الذي عاصر بعث العروبة » (مخطوط) .

(٣٠) راجع كتاب : **المؤتمر العربي الاول** ، المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية التاريخية بشارع سان جرمان في باريس ، جمعه محب الدين الخطيب وكتب المقدمة الشيخ رشيد رضا ، وقد صدر الكتاب سنة ١٩١٣ عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية الذي تبنى المؤتمر وعدد صفحاته ٢٤٠ صفحة ويعد هذا الكتاب أهم مصدر حتى الان عن المؤتمر .
المؤتمر .

(٣١) يشير الخطيب الى أن المبشر « لوشاليليه » كان قد كتب بقلمه هذه الدراسة ، أما الحوار والمناقشات فقد كانت بين الخطيب وبين (مسيو مسنيون) أحد ناشري هذه الدراسة وكان في ذلك الحين بالقاهرة ، وقد نشر الخطيب هذه المناقشة في مجلة الفتح .

(٣٢) كان من أعضاء هذه الجمعية أيضا الامير عبد الله بن الحسين انتسب اليها سنة ١٩١٤ .

(٣٣) كانت الجريدة تصدر مرتين في الاسبوع وتعد جريدة الثورة الرسمية ...لمزيد من التفاصيل راجع : اعداد القبلة المتوفرة في مكتبة الجامعة الاردنية على « ما يكرو فيلم » : محمد عبد الرحمن الشامخ : نشأة الصحافة في المملكة السعودية ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .

(٣٤) يشير الخطيب في مذكراته الى ان رفاقه حاولوا الالتحاق بالثورة ولكن الحقوا بالجيش العثماني بعد ان اعلنت الدولة العثمانية النفير العام وكانوا يسمونه « سفر برلك »المذكرات المخطوطة. مع العلم انه لا يذكر اسماء الرفاق.

(٣٥) لقد طلب شريف مكة من السيد شريف الفاروقي ، رئيس الوكالة العربية التي اقامها في القاهرة ١٩١٦ ، ارسال عدد من الشباب العرب ورجالاتهم ،وطلب.محب الدين الخطيب بالاسم .

(٣٦) انظر أعداد الجريدة في مكتبة الجامعة الاردنية « مايكرو فيلم » .

(٣٧) افتتاحيات الاعداد الاولى وقد اخذ النص من افتتاحية العدد الثالث .

(٣٨) **القبلة** ، افتتاحية العدد الثالث . وفي هذا العدد وصف كامل لمجريات القتال بين العرب والاتحاديين .

(٣٩) راجع حدود الدولة العربية المشرقية في كتاب عبد الله بن الحسين ، **المذكرات** ص١٠٢ ط١ عام ١٩٤٥ .
وهو خط يمتد من الاسكندرونة الى رفح ، ثم الى العقبة ويشمل حدود الجزيرة العربية تاركا عدن ، وينطلق من البصرة حتى ديار بكر في الشمال ثم يتجه غربا الى الاسكندرونة .

(٤٠) ظهرت مقررات المؤتمر العربي الاول في بيانات الثورة وقد نشرتها جريدة القبلة في اعداد متفرقة . (للاطلاع على المؤتمر ومقرراته راجع **كتاب المؤتمر العربي الاول** ، جمع محب الدين الخطيب) . أصدره سنة ١٩١٣ وقدم له الشيخ رشيد رضا .

(٤١) الصرخات الثلاث : هي البيانات التي أصدرتها الجمعية العربية الفتاة خلال الحرب العالمية الاولى وقد طالبت من خلالها « بالاستقلال صراحة » عن الدولة العثمانية .
راجع د. سهيلة الريماوي ، **جمعية الفتاة السرية ـ دراسة وثائقية** ، دار مجدولاي ، عمان ١٩٨٨ .

(٤٢) **القبلة** ، الاثنين ٧ شعبان سنة ١٣٣٥ .

(٤٣) راجع **القبلة** ،الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٣٤.

(٤٤) راجع حول هذه النقطة د. محمد عبد الرحمن الشامخ **نشأة الصحافة في المملكة السعودية** ، ص١٠٤ وما بعدها .

(٤٥) **القبلة** ، الخميس ٢ رمضان سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧م .

(٤٦) المصدر السابق .

(٤٧) ويستشهد بسورة الرعد « وكذلك انزلناه حكما عربيا» وبسور اخرى ،في اماكن متعددة.

(٤٨) **القبلة** ، الخميس الواقع في شوال سنة ١٣٣٥هـ .

(٤٩) راجع **القبلة** ، ٧ شوال سنة ١٣٣٥ عن مقالة كتبتها جريدة **مرآة الغرب** التي تصدر في نيويورك باللغة العربية عدد ١٣٥ من سنتها الثامنة عشرة بعنوان « حي على الفلاح » من مكتبة محب الدين الخطيب .

(٥٠) **سيرة جيل** ، « المطبوعة » ص ٧٢ .

(٥١) جريدة **العاصمة** ، العدد ٤٢ بتاريخ ٧ آب/ اغسطس سنة ١٩١٩ مقالة بقلم الخطيب بعنوان « قوميتنا العربية » .

(٥٢) ان تفاصيل المقالين خارج عن نطاق موضوعنا ، ولمزيد من الاطلاع راجع اعداد الجريدتين خلال شهر آب من سنة ١٩١٩ اعداد متفرقة .

(٥٣) راجع جريدة **العاصمة** بتاريخ ١٦ تشرين أول سنة ١٩١٩ المقالة بعنوان « وظيفة الارشاد ».

(٥٤) قدمنا دراسة وافية للجنة الوطنية العليا ولجانها في كتابنا **جمعية الفتاة السرية** ، عمان ١٩٨٨ ، اذ كانت اللجنة بمثابة الواجهة الشعبية للجمعية .

(٥٥) راجع جريدة **العاصمة** ، ٥ كانون ثاني سنة ١٩٢٠ .

(٥٦) **العاصمة** ، ١٩ نيسان سنة ١٩٢٠ .

(٥٧) **العاصمة** ، ١١ آب سنة ١٩١٩ ، « حي على الفلاح » .

(٥٨) الفتح ، المجلد ١٤ ، العدد ٦٦٦ ، ٢٤ جمادى الاخرة ١٣٥٨هـ ، ص ٣٨٠ .

(٥٩) تجزئة سورية الى أربع دويلات ، وسنجق الاسكندرونة .

(٦٠) انظر فاتحة السنة الاولى لمجلة **الزهراء** بقلم محب الدين الخطيب ،١٥محرم سنة ١٣٤٣هـ.

(٦١) **الزهراء** م٢ ج١٠ ، شوال ١٣٤٤هـ ، ص٥٩٥.

(٦٢) **الزهراء** م٢ ج١٠ ، شوال ١٣٤٤هـ ، ص٥٩٤.

(٦٣) **الزهراء** ، المصدر السابق .

(٦٤) **الزهراء** مجلد ٤ ، جزء ٤ ، جمادى الثانية ١٣٤٦هـ ، ص ١٩٤ .

(٦٥) مجلة **المسلمون** م٩ ، ع٦ ، ذو الحجة ١٣٨٤هـ ص٥٨٢ .

(٦٦) **الفتح** م٦ ، ع٢٦٢ ، ٢٢ ربيع اول ١٣٥٠هـ ، ص ١٧٨ .

(٦٧) **الفتح** ، فاتحة السنة الخامسة م٥ ،ع٢٠١، ١ محرم سنة ١٣٤٩ هـ ، ص٢ وما بعدها .

(٦٨) يرى الزائر لمكتبة الخطيب في القاهرة ملفات متعددة ، بينها ملفات جريدة الفتح ، ومنها ملفات للاشخاص ، وملفات للاقطار الاسلامية ، وملفات فكرية بعضها يتعلق بالفرق الاسلامية، او ترجمة القرآن ، واوراق تبحث في الانساب ملصقة بشكل طولي ويبلغ طول بعضها ١٠ او ١٥ م راجع « أوراق محب الدين الخطيب »، مرجع سبق ذكره (حاشية ٣) .

(٦٩) **الفتح** ، « تهويد فلسطين » م٨ ، ع٣٦١ ، ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ص ٢٠٥ .

(٧٠) كان عبد العزيز فهمي قد تقدم الى مجمع اللغة العربية في مصر لكتابة العربية بالحروف اللاتينية وقد ووجهت هذه القضية بحملة شديدة كتب حولها محب الدين الخطيب والشيخ احمد محمد شاكر وغيرهما من كتاب « الفتح » .

(٧١) **الفتح** ، المجلد السادس عشر ١٩٤١ ـ ١٩٤٢.

(٧٢) **الازهر** ، « بناء كياننا النفسي » بقلم محب الدين الخطيب ، م٢٦ ، عدد١ و ١٣٧٤هـ ، ص ٥

مجلة الازهر : اختارت مشيخة الازهر ،محب الدين الخطيب لتحرير مجلتها العلمية مجلة الازهر ،فنشر فيها روحا جديدة«تصل العربي المسلم بأحداث حاضره » وجعلها من أشهر المجلات الموثوقة الصادقة بمواردها ومصادرها، وقد استلم تحريرها من سنة ١٩٥٢ ـ ٥٣ الى ١٩٥٨ .

(٧٣) **الازهر** م٢٦ عدد٧ ص ٤٠٣ ، ١٣٧٤ هـ .
(٧٤) **الازهر** م٢٥ عدد ٢ ص ١٥٧ ، ١٣٧٣هـ ،مقالة لمحب الدين الخطيب بعنوان « السيرة النبوية».
(٧٥) **الازهر** « الثقافة الاجنبية والاستعمار العقلي» م٢٧ سنة ١٣٧٥هـ .
(٧٦) **الازهر** ، المصدر السابق .
(٧٧) راجع انور الجندي ، **الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها الى الحرب العالمية الثانية**، مطبعة الرسالة ١٩٦٢ .
(٧٨) راجع مجلة الازهر ، محب الدين الخطيب « وسائل وغايات »م٢٥ عدده ص ٥١٦ سنة ١٣٧٣هـ
(٧٩) **مجلة الازهر** محب الدين الخطيب « معدن العروبة ومكانة العرب » م٢٩ عدد ١٠ ، ١٢٧٧ هـ ص ٨٨٤ .
(٨٠) **الازهر** م٣٠ عدد ٦ ، ١٣٨٣هـ ، ص ٤٧٨ .
(٨١) لقد أصدرت مجلة التمدن الاسلامي عددا خاصا بمناسبة وفاته أواخر سنة ١٩٦٩ كتب فيه عدد كبير من مفكري العروبة والاسلام .

* * *

نموذج في دراسة

تاريخ واصول العشائر الاردنية (معان)

في الوثائق العثمانية

د. سعد ابو دية
جامعة اليرموك

مقدمة :

تركز الدراسة على موضوع العشائر في مدينة معان بالاعتماد على سجلات الوثائق والاعلامات والاحكام وحصر الارث ، الموجودة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الاردنية ، في اطار زمني محدد ، هو الفترة التي شهدت تنظيمات الدولة العثمانية للمنطقة (من منتصف القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين) :

١ ـ السجلات العثمانية(١) :

ـ سجل الوثائق الشرعية في قضاء معان (١٣١٦ ـ ١٣٢٦ هـ ١٨٩٨ ـ ١٩٠٨) سنة ١٣١٦ هـ (رقم ١) عدد صفحاته ١٨١ .

٢ ـ السجلات الاخرى :

ـ سجل حصر الارث رقم ٢ ، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٣ هـ (١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ م) معان ١٩٧ صفحة .

ـ سجل الاعلامات الشرعية (سجل ٨ معان) ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ هـ (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ م) ٢٥٣ صفحة .

ـ سجل الاحكام الشرعية ، ١٣٤٠ ـ ١٣٤٢ هـ (١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ م) معان . ١٧٩ صفحة .

ـ سجل الطلاق (رقم ٢ معان) ١٣٥٩ ـ ١٣٧٧ هـ (١٩٤١ ـ ١٩٥٧م) . ١٨١ صفحة .

---

(١) هذه السجلات مصورة على الفوستات ، عن السجل الشرعي .

ـ سجل الوثائق الشرعية الهامة في لواء معـان لسنة (١٣٤٨ ـ ١٣٥٩ هـ) (١٩٣٠ ـ ١٩٤١ م) (١٨٦) صفحة .
٣ ـ السالنامات العثمانية .
٤ ـ كتب الرحالة الذين زاروا المنطقة قبل تدوين تلك السجلات او اثنائها .
٥ ـ المقابلات الشخصية .

يركز البحث على دراسة عشائر (معان) في اطار زمني محدد ، هو الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين ، التي شـهدت تنظيمات الدولة العثمانية للمنطقة .

التقسيمات الادارية في السالنامات العثمانية : في عام ١٨٨٤م كانت معان ناحية تتبع لواء البلقاء(١) ولم تكن لها اهمية الا في كونها تقع على طريق الحج . في عام ١٨٩٢م اصبحت لواء (سنجاقي) . ضم معـان والطفيلة والكرك والسلط(٢) . غـير ان هذا الوضع لم يستمر اذ تقهقر وضع معان واصبحت قضاء تابعا للواء الكرك(٣). وفي اواخر القرن التاسع عشر شهدت معان حدثا تاريخيا هاما بوصول الخط الحديدي الحجازي اليها في ١٩٠٤/٩/١م ، واقام الاتراك فيهـا مركزا لاصلاح الورش مما استلزم بقـاء الفنيين والعمال ، وانعكس ذلك على الحركة التجارية وتدفق المهاجرين . واشـار سجل الوثائق الشرعية لمهاجرين من مصر وسورية وقطاع غزة .

وكما ساهم الخط الحديدي الحجازي في البداية في الهجرة الى معان ، ساهم في الهجرات الى الشمال . اما التقسيمات الادارية في معان فانها لم تساهم في الهجرات لعدم استمراريتها .

الموقع والتسمية : معان الحجازية ومعان الشامية تشير الوثائق العثمانية وكتب (الرحالة) في العهد العثماني الى (معان الحجازية) و (معان الشاميـة)(٦). وتسمى معان الحجازية احيانا معـان المصرية ، وتسمى معـان الشامية احيانـا (المفارة)(٧). ويذكر سجل الوثائق الشرعية(٨) بأن معان الشامية تتبع معان الحجازية التي يوجـد بها دوائر الحكومية . واطلق (موزيل) احيانا على معان الحجازية معان الكبيرة (٩). ذلك لان معان الحجازية هي الاقدم والاكثر سكانا .

هنالك امـر يتعلق بموقع (معان) الاصلي وهو المكان المعـروف بالحمام ولقـد اشار له الرحالـة (داوتي) البريطاني (انظر الخارطة) وهو دارس الان ولم يبق منه سوى بركة ماء رومانية قديمة .

الارجح والاقـرب للتصور ان معان الحجازية دعيت بهـذا الاسـم نسبة الى سكانها الذين تعود اصولهم الى الحجاز ، وان معان الشامية تأسست في فترة لاحقـة وسكنتها جماعة من اصول شامية (سورية) اشار لها جورج اوغست فالن .

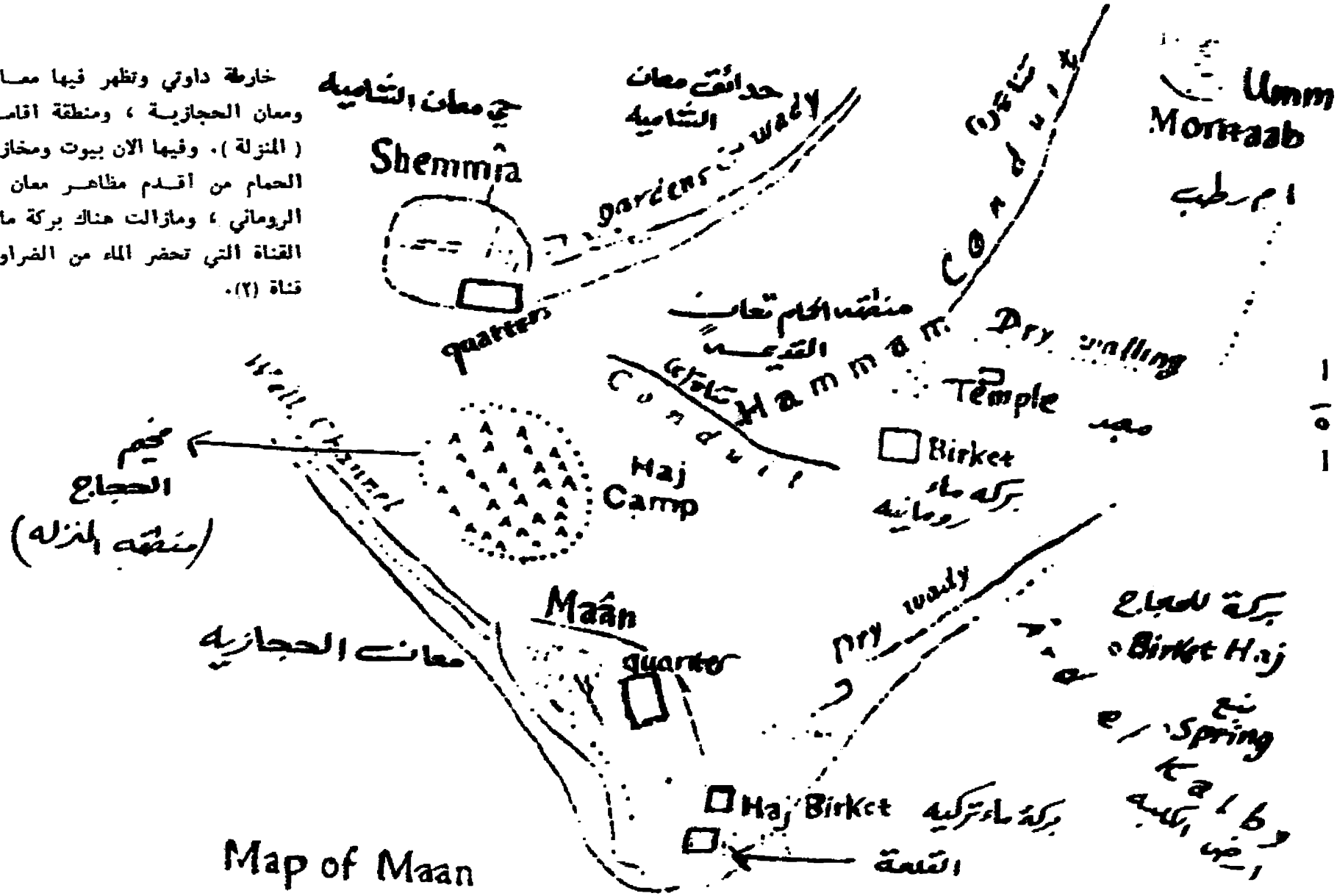

خارطة داوتي وتظهر فيها معـان الشامية ومعان الحجازيـة ، ومنطقة اقامـة الحجاج (المنزلة). وفيها الان بيوت ومخازن .ومنطقة الحمام من اقـدم مظاهـر معان في العهـد الروماني ، ومازالت هناك بركة ماء رومانية، القناة التي تحضر الماء من الضراوي . انظر قناة (٢).

المدينة وتقسيماتها ـ لمحة تاريخية : لم تكن معان قسمين على النحو الذي يلاحظ في القرن التاسع عشر اذ ان العثمانيين بنوا قلعة معان على طريق الحج الشامي عام ١٥٥٩ م ، وكانت قبل قدوم العثمانيين قد اصبحت خرابا بعد ان كانت عامرة في عهود بني امية وسكنها الامويون ومواليهم حتى بعد زوال عهدهم . وقد اشار ابو الفداء الى ذلك (١١) « ومعان مدينة صغيرة سكانها بنو امية ومواليهم وهو حصن من الشراة اقول وهو الان خراب ليس به احد وهو على مرحلة من الشوبك »(١٢). ويورد نجم الدين الغزي قصة بناء قلعة معان يقول « وصل امر شريف من قبل المرحوم السلطان سليمان الى دمشق بتعمير قلاع بطريق الحج الشامي وتعيين صنجق لكل قلعة وفي صحبته سباهية ومعلمون وفعول ومعهم ما يكفيهم من الزاد واحدة بالقطرانة وثانية بمعان وثالثة بذات حج ورابعة بتبوك »(١٣) .

العثمانيون ومعان : شجع العثمانيون الناس على الاقامة حول القلاع مقابل اعفائهم من الضرائب . وقد اهتموا ببناء القلاع جنوب دمشق في القرن السادس عشر أكثر منها على الطريق بين دمشق وحلب ، كما اهتموا بالحضر . واستمر امير دمشق يجبي الضرائب من أهل غزة والبلقاء وحوران ، أما معان فلم يعرف عنهم شيئا (١٤) ، شأنها شأن الكرك والشوبك .

وفي القرن السابع عشر سيطرت قبيلة عنزة بعد ان نزحت شمالا على طريق الحج ، واظهرت احداث السابع عشر ، بخاصة حادث ١٧٥٧م ، ان العثمانيين غير قادرين على السيطرة على طريق الحج حتى باستحداثهم منصبا جديدا يعادل منصب (أمير العرب) الذي عرف سابقا ، فان امير دمشق وامير الحج واجها مشكلة حماية القوافل (١٥) . ويتحدث المرادي عن حادث نهب الجردة(١٦) وكانت بقيادة موسى باشا المعراوي ونهبت في القطرانة .

ويلاحظ في مشاهدات الرحالة في القرن الثامن عشر ان معان كانت بلدة واحدة ويظهر ذلك في حديث الخياري المدني(١٧) وبعده عبد الغني النابلسي(١٨) اذ ذكر الاول قرية وذكر الثاني قلعة ، ولم يظهر في حديث الرجلين وجود معان اخرى . ويبدو ان معان الشامية قد ظهرت في الفترة التي صاحبت الصراع على النفوذ في بلاد الشام ١٧٥٨م عندما قام عبد الله البجتهجي بتامين سلامة طرق الحج وكانه فتح بلاد الشام من جديد واستولى على قلعة الكرك(١٩) .

غير ان اول من اشار لوجود **معان الشامية** (بيركهارات) عام ١٨١٢ ، الذي ذكر انها قد بنيت على تلين(٢٠) ثم ذكر (فالن) ان معان الشامية تقع في الشمال من مدينة معان وان فيها عشرين اسرة سورية(٢١) وبعد ذلك بفترة ذكر الرحالة (داوتي) معان الشامية(٢٢) وفي عام ١٨٨٢ جاء السنوسي(٢٣) وذكر معان الشامية وان اهلها

ينتسبون الى الشام وينتسب اهل معان الى الحجاز . ومع مطلع القرن الحالي وبعد انتهاء الحرب الاولى فان خير الدين الزركلي تحدث عن عشائر معان الحجازية والشامية (٢٤) .

وتدريجيا اخذت معان الشامية تتصل مع معان الحجازية وظهرت المنازل في (المنزلة) وهو المكان الخالي الذي كان ينزل به الحجاج بين الشامية والحجازية . وبالرغم مما تقدم فان الحديث عن عشائر معان سيكون من خلال التقسيم الجغرافي بحيث يبدأ البحث بمعان الحجازية وتقسيماتها الجغرافية « التحاتا » أي عشائر التحاتا (من كلمة تحت لان هذه العشائر سكنت قرب القلعة وقرب بركة الماء (العثمانية) وهذه الاماكن موجودة في الجزء المنخفض من المدينة ، ثم ينتقل لعشائر معان الحجازية الاخرى ثم عشائر معان الشامية .

عشائر معان :

اولا عشائر معان الحجازية وتقسم لثلاثة اقسام رئيسية هي:

١ ـ عشائر التحاتا .
٢ ـ عشائر الكراشين .
٣ ـ عشائر العقايلة .

ثانيا عشائر معان الشامية وتقسم لثلاثة اقسام رئيسة هي: :

١ ـ عشائر القرامصة .
٢ ـ عشائر الحصان (ابن الحصان) .
٣ ـ عشائر المحاميد .

ويمكن تصوير هيكل هذه العشائر على النحو التالي :

عشائر معان

عشائر معان الحجازية
١ ـ القسم الاول :
عشائر التحاتا وهي :
١ ـ الفناطسة وهم ثلاث جماعات
الجماعات الاولى :
أ) عيال شويطر (شطورة)
ب) عيال إعمر (عمر)

عشائر معان الشامية
١ ـ القسم الاول :
القرامصة ومنها :
أ ـ الرشايدة ومنهم ابو عورة .
ب ـ عيال جمعة ومنهم المحيسن .
جـ ـ الخورة (الخوري) ومنهم زنوني والجمل .

جـ) عيال داود (الدر)
د) عيال المعاني
هـ) عيال ابو خنسة
و) عيال ابو ذوابة
الجماعات الثانية :
ا) الخطيب (الخطبة)
ب) المعاقلة (معتوق) ومنهم :
١)ابودية ٢) قطوش .
الجماعة الثالثة : الصوالحة (ابو صالح) ومنهم ابو طويلة .
ب ـ البزايعة ومنها :
١) البواب
٢) ابو رخية
٣) دويرج
جـ ـ عيال ام خطاب (خطاب) ومنها :
١) الخوالدة
٢) الحمادين ومنهم:
أ ـ عيال قباعة ومنهم الديخ
ب) عيال ابو عودة .
٣) الشراري الشلبي
٤) خطاب ـ عليدي ابو جري

د ـ الجريات (ابو جري)
هـ ـ عوجان (عواجين)

٢ ـ القسم الثاني :
عيال الحصان ومنهم :
أ ـ عيال عبد الله ومنهم :
١ ـ النسمة
٢ ـ بدر
ب ـ الثوابتة (الثبتي)
١ ـ الجفايين
٢ ـ فريج
جـ ـ المصاروة والكراجكلي
د ـ الحياني
هـ ـ عساف
و ـ مطر

٣ ـ القسم الثالث :
المحاميد ومنهم :
أ ـ ال ابو كركي
ب ـ البحري

٢ ـ القسم الثاني :

(٢) الكراشين ومنهم :
أ ـ الهوارين (نسبة لهارون)
ب ـ الهلالات (ابو هلالة)
جـ ـ عيال مرعي
د ـ الرواد
هـ ـ ال ابودرويش
و ـ الصلاحات (صلاح)
ز ـ المحتسب

٣ ـ القسم الثالث :

(٣)العقايلة ـ ومنهم :
ا ـ عرار
ب ـ عيال سليمان
جـ ـ التلهوني (التلاهنة)

الباب الاول :

ولاعطاء صورة واضحة عن تقسيمات هذهالعشائر سنبدأ بعشائر معان الحجازية

١ ـ القسم الاول : عشائر التحانا :

أ ـ الغناطسة : تتردد تسميات حول اصل تسمية الغناطسة(٢٥) ، فمثلا يتردد ان الاصل هو الغناطسة والغناطسة عشائر موجودة ومنتشرة في شمال غرب العراق وشمال سورية ، سميت بذلك لارتباطها باسم الشيخ محمد الغنطوس من الحديدين (الحديديون) ، والحديديون يعتقدون انهم من اعقاب رجل معتقد بولايته وكراماته ويزعمون انه عجن الحديد وسمي عجان الحديد وضريحه في مدينة الحديثة على شواطىء الفرات . وتسعفنا الوثائق الشرعية لمعان في تقسيمات هذه العشيرة في اواخر القرن التاسع عشر بحيث يستطيع الباحث ان يبين علاقات هذه العشائر بعد انتفرعت وتكاثرت . وعندما زار «موزيل»(٢٦) المنطقة فانه ذكر ان الغناطسة تضم عيال شويطر. والخطبة وعيال اعمر وداود اما الان فان العشيرة تفرعت وضمت اعداد جديدة من العائلات والجماعات . تضم الغناطسة ثلاثة جماعات هي :

الجماعة الاولى ومنها : ا ـ عيال شويطر (شطورة) : هم من عشائر الغناطسة التي ذكرها موزيل ولقد رحل بعض هؤلاء الى قرى شمال الاردن قبل مائة وخمسين سنة عندما غادر معان شمالا محمد بن شويطر وتوجه باغنامه الى الحصن وسكن هناك ومن ذريته جماعة الحجية الان . رحل محمد غربا الى (جمحا) وتوطن فيها قبل ان يتوجه الى راسون اثر خلاف دب بين جماعته وبين (الطاهات)(٢٧) .

ب) عيال اعمر : يردون الى قبيلة عتيبة واعمر وداود هم ابناء شخص واحد من عتيبة جاء لمعانوخلف داود واعمر ومن ابناء اعمر (ابو خنسا) والاعور وسكر(٢٨).

جـ ـ عيال داود : انفصلوا من عيال اعمر ويقال لهم عيال (الدر) وهم قلائل وذكرهم سجل الوثائق حسين بن محمد بن أحمد بن داود الغناطسة ويذكرهم سجل حصر الارث عيال داود(٢٩) .

د ـ عيال المعاني : من عيال داود تسموا بهذا الاسم بسبب هجرتهم للطفيلة بعد حادث قتل واصبحوا ينادونهم باسم (معاني) .

هـ ـ عيال ابو خنسة : من عشائر معان الحجازية وهم من عيال اعمر ورد ذكرهم في سجل الوثائق « فياض بن سليمان بن محمد ابو خنسة من سكان معان الحجازية» (٣٠) .

و ـ عيال ابو ذوابة : يرد ذكرهم في سجل الوثائق كاسم شخص (ابراهيم بن محمد ابن حرب ابن ذوابة مع عبد الغني بن محمد بن عبد الله حرارة معرفان من سكان معان الحجازية (٣١). هم من عيال داود .

الجماعة الثانية ومنها : ا ـ الخطيب ـ الخطبة : ورد ذكر اسمهم عند موزيل وهم من عشائر معان التي ما زالت تحتفظ باسمها الاصلي طوال عقود عديدة من السنين ـ انتقل بعض منهم الى الشوبك الان . يبدو ان اسم الخطيب جاء من لقب كان يطلق على كل من يقرا او يكتب .

ويذكر سجل الوثائق (الخطيب) في نهاية الاسم وتذكر حارة الخطبا(٣٢) وهم وثيقو الصلة بالمعاتقة (معتوق). كان (هو يمل الخطيب) شيخ الفناطسة والبزايعة(٣٢)

ب ـ المعاتقة ـ معتوق : هم اقرب الناس الى الخطبة ووثيقو الصلة بهم يذكر سجل الوثائق وثائق معان « معتوق » كاسم عائلة مثلا يذكر الحاج قاسم بن محمد بن ابراهيم معتوق عن قصبة معان الحجازية(٣٤) عشيرة معتوق او المعاتقة هي من حمولة الفناطسة . ومن المعاتقة تتفرع عشائر ابو دية وقطوش .

١ ـ ابو دية : لقب اطلق على بعض المعاتقة وبالتحديد قاسم عطا واولادهم واصبحوا الآن عائلات عديدة تنتشر في معان وعمان وتبوك . ورد في سجل الوثائق جمع بين لقب ابو دية ومعتوق مثلا الحاج قايم ابن محمد معتوق ابودية(٣٥) . وفي سجل اعلامات معان يذكر عطا ابو دية(٣٦) .

٢ ـ قطوش : كلمة قطوش هي لقب لأحد افراد عشيرة المعاتقة . يذكرهم سجل حصر الارث مثلا (خليل بن حسين الملقب بقطوش من حمولة المعاتقة من اهالي معان الحجازية)(٣٧) .

الجماعة الثالثة من الفناطسة :

آ ـ ابو صالح (الصوالحة) : يذكر سجل الاحكام لقب ابو صالح مثلا الحاج صالح بن عبد الله ابو صالح من عشيرة الفناطسة من اهالي معان الحجازية(٣٨) .

ويرد ذكر لقب الصوالحة(٣٩) .

يشير نعوم شقير الى الصوالحة في سيناء بانهم من عرب الحجاز رحلوا الى ضبا ثم بلاد الطور وهذا الكلام يبدو معقولا اكثر من غيره بالنسبة لنسب الصوالحة(٤٠) وهناك من يذكر بانهم قدموا لمعان من الشوبك(٤١). وقد يكونوا جاؤوا للشوبك اولا. ومن الصوالحة عائلة **ابو طويلة** ، لقب لأحد اولاد ابو صالح وهو محمد بن عبد الله ابو صالح

الملقب بأبي طويلة حيث تظهر التسمية في المجلس الشرعي في دار علي محمد ابو طويلة بمحلة الفناطسة بمعان الحجازية لحصر ارثه الشرعي ويذكر سجل عام ١٣٥٤ انه توفي قبل ذلك التاريخ بعشرين سنة اي في فترة ١٣٣٤م . يختلف لقب الطويل عن ابو طويلة حيث يرد اسم (الطويل) في سجل الوثائق مثلا سليم بن فرج الطويل من تبوك(٤٢) .

وهناك عائلات اخرى (**سقا الله**) انضمت للفناطسة وهم من مدينة غزة في فلسطين اصلا .

ب ـ البزايعة(٤٣) : (ولهم صلة بالفناطسة) ومعظم الروايات ترى ان البزايعة فناطسة . قسمهم موزيل الى قسمين :

ا ـ البواب ـ البوابين ، ب ـ عيال محمد ، ابن محمد ، ج ـ عيال مهاية .

يشير سجل الوثائق للبزايعة بالبزايعي احيانا وهذا خطأ في الكتابة على ما يبدو ، ذلك ان سجل الوثائق يشير للنسعة تارة بالنسعي وتارة بالنسعة وهو الادق وكذلك الحال بالنسبة للخوالدة ، اذ ان سجل الوثائق يشير اليهم تارة بالخوالدي .

ويظهر في سجل الوثائق ان للبزايعة محلة « وحيشان البزايعة » « وزقاق البزايعة قرب دايرة الحكومة السنية »(٤٤)(اي ان زقاق البزايعة يقع قرب مركز ممثل الحكومة : مدير قضاء معان آنئذ التابع للواء الكرك التابع لولاية سورية) .

ومن عشائر البزايعة :

١ ـ البواب : ذكرهم موزيل (البواب والبوابين) وذكرهم سجل الوثائق مثلا (عبد الله بن محمد البواب من اهالي قصبة معان الحجازية)(٤٥) . وهكذا فان اسم البواب يرد كلقب دونما الاشارة الى عشيرة او عائلة على النحو الذي نلاحظه في سجل الوثائق الشرعية .

٢ ـ ابو رخية : يذكر سجل الوثائق هذه الكنية مثلا (محمد بن الحاج احمد ابو رخية من البزايعة) ولا تزال جماعة آل ابو رخية تعرف في معان بهذا الاسم او الكنية ووضح سجل الوثائق ارتباطها مع البزايعة .

٣ ـ دويرج : هم من البزايعة مثل آل ابو رخية ولا يعرف ارتباطهم مع آل دويرج الذين ذكرهم حمد الجاسر ونسبهم الى السليم من الفليحان(٤٦) ولا تسعفنا الوثائق الشرعية بشيء عن علاقاتهم بغيرهم .

ج ـ عيال ام خطاب (خطاب) : من عشائر التحاتا وتضم عديد من العائلات والجماعات والعشائر ومن ابرز العشائر :

١ ـ **الخوالدة** : ذكر موزيل وغيره هذه العشيرة ولم يذكر عيال أم خطاب لأن هذه التسمية تسمية حديثة ولا تعود لأكثر من مطلع هذا القرن وقبل ذلك فان عشائر الخوالدة كانت تذكر منفصلة. اما الآن فان الخوالدة تضم لعشائر عيال أم خطاب وذكر سجل الوثائق الخوالدة بـ الخوالدي وذكر ماء الخوالدة(٤٧) . ولقب الخوالدة منتشر في المنطقة تجدهم في الطفيلة وغيرها(٤٨) ولا يبدو أن هناك ارتباطات بينهم وبين الخوالدة في المنطقة(٤٩) .

٢ ـ **الحمادين** : من أبرز عشائر عيال أم خطاب وأعرقها في مدينة معان ، ذكرها موزيل مع الخوالدة والفناطسة والبزايعة ويتفرع من الحماديين **١ ـ عيال قباعة ٢ ـ عيال ((أبو عودة))** .

ويشير سجل الوثائق لعشائر عديدة تتفرع من الحماديين . بيد أن قباعة وابو عودة تعتبران من أقدم العشائر في معان وفي الحمادين .

ومن الحمادين هناك عائلات وعشائر يتردد اسمها الآن أكثر من غيرها مثلا :

١ ـ **قباعة** : ومنهم آل الديخ .

٢ ـ **أبو عودة** : الذين أشار لهم موزيل بعيال عودة أو عودة . ورد في أحد وثائق سجل الوثائق اسم (محمد بيك ابن ابراهيم ابو عودة)(٥٠) .

الديخ : ورد في سجل الوثائق الديخي(٥١) وهذا خطأ فهو الديخ وهم من عيال قباعة . وتعد عيال قباعة وابو عودة من أقدم عشائر الحمادين .

٣ ـ **الشراري** : اشارت السالنامات العثمانية للشراري بالشلبي ويتردد اسم خليل شلبي وفي سجل الوثائق الشرعية فان الاسم نفسه يرد شراري وشلبي معا مثلا (خليل افندي الشراري احد اعضاء مجلس الادارة)(٥٢) ويرد في السجل : (خليل افندي ابن الشيخ محمد الشلبي)(٥٣) ثم يرد خليل افندي الشراري(٥٤) ويبدو أن اسم الشراري هو (لقب) . وينضوي تحت اسم الشراري : عبكل ايضا ، والشراري شلبي وآل عميرة كذلك .

٤ ـ **خطاب / عليدي ـ ابو جري (الجريات)** : هذه الجماعة من عيال أم خطاب. الاصل أن جماعة من ابو جري هاجرت الى معان الشامية بعد حادث دم وانضموا الى (الخوالدة)(٥٥) ، لذلك فان اسمها يتكرر عند عشائر معان الشامية والحجازية . يرتبط آل ابو جري مع آل عليدي . وضح سجل اعلامات معان ارتباط اسم آل عليدي مع آل ابو جري(٥٦) .

وهناك علاقة بين خطاب وعليدي . ورد في سجل حصر الارث : خليل بن خطاب عليدي(٥٧) .

في الآونة الاخيرة زاد آل ابو جري على اسمهم لقب الشمري نسبة الى قبيلة شمر من طي (حيث ينتسبون الى هذه القبيلة) .

٥ ـ **الخوري** : هم من جماعة الشراري /الشلبي ، والخوري في معان الحجازية يتبعون عيال ام خطاب الآن . لقب الخوري يوجد في معان الحجازية ومعان الشامية وهم المعروفون بالخورة ايضا . يرد في سجل اعلامات معان اسم الخوري في معان ولا يوضح السجل ارتباطه مع آل حمادين(٥٨) . وقد هاجر آل الخوري في معان الشامية بعد حادث قتل ، كما هاجر آل عبد الدايم الى معان الحجازية لاسباب اقتصادية .

٢ ـ القسم الثاني من عشائر معان الحجازية : الكراشين ، ومنهم :

آ ـ الهوارين ، ب ـ الهلالات (هلال) ، جـ ـ عيال مرعي (ابن مرعي) ، د ـ الرواد ، هـ ـ أبو درويش ، و ـ الصلاحات ، ز ـ المحتسب ، ح ـ جماعات اخرى.

في مخطوط علي نصوح الطاهر ينسب الكراشين الى جد اسمه كريشان اصلا من قرية باقة الحطب في نابلس ومن احفاد الشيخ صلاح الباقاني وهم اقارب آل صلاح من نابلس(٥٩) . وفي كتاب نعوم شقير يرد ذكر كريشان في حروب التياها والترابين في سيناء بشأن الحدود ونصرة العزازمة للترابين يقول :

يا ريح قل للقديرات حماد وفى كلامه
بيرين لابن كريشان والتمر لابن جهامه(٦٠)

والواقع ان اصل التسمية قد يرتبط بآل كريشان على النحو المسلسل ادناه(٦١):

آل كريشان هم من

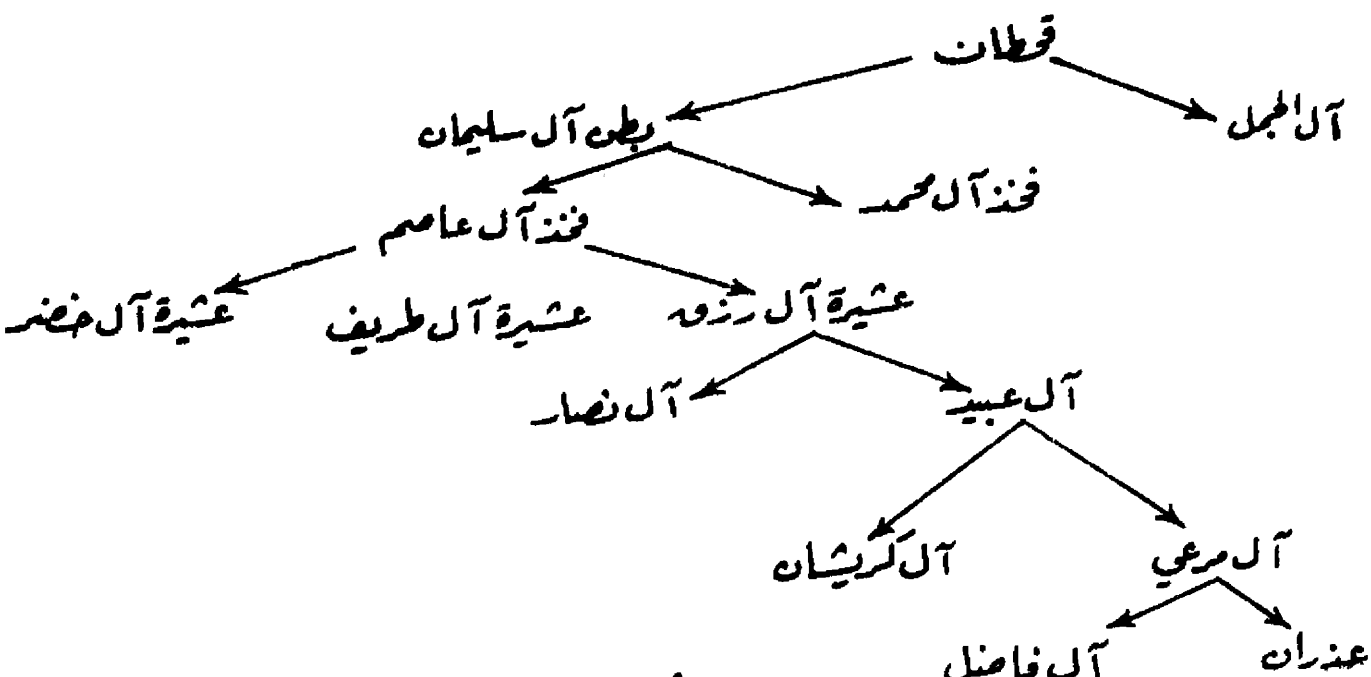

آ ـ الهوارين : يذكر سجل الوثائق المرحوم الشيخ محمود بن هارون كريشان والهوارين نسبة لهارون ورد ذكرهم في سجل حصر الارث (صبح بن احمد الهوارين من عشيرة الكراشين(٦٢) . هم ابرز عشائر الكراشين تسموا بهذا الاسم نسبة لهارون.

مسلم كريشان

وتقسم الكراشين كما يلي(٦٣)

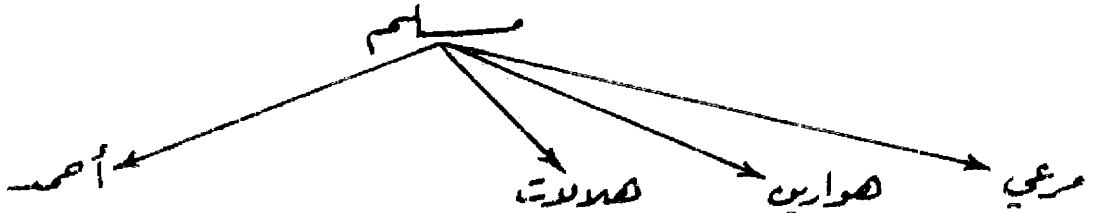

ب ـ الهلالات : اعتقد نصوح أنهم من بقايا بني هلال وهذا مجرد اعتقاد . يذكر فؤاد حمزة انهم من بطن عمرو بن تميم . بيد انهم من الاصول انفسهم التي ينتمي اليها الكراشين . ليس هناك من صلة بين هلالات وادي موسى(٦٤) ومعان .

هاجر بعض الهلالات شمالا الى المزيريب وجيرود بسبب المحل (قلة المطر)(٦٥) وسكن عبد الرحيم وعبد الرحمن الهلالات في جيرود وسكن حسين من اولاد هلال في المزيريب . هاجر الهلالات الى الكرك بعد حادث دم بينهم وبين آل قباعة (٦٦) ويذكر سجل حصر الارث الهلالات كعشيرة من فرقة الكراشين من اهالي معان الحجازية(٦٧).

جـ ـ عيال مرعي : يشير لهم سجل حصر الارث بعشيرة عيال مرعي من الكراشين(٦٨) .

د ـ الرواد : يذكرهم سجل الوثائق مثلا (الحاج خليل بن محمد بن محمد الرواد) ويذكر السجل حارة الرواد بمحلة الجامع الشمالي غرب قصيلة محمود ابو هلالة وحسن معتوق(٦٩) ويذكر حمد الجاسر (رواد) كمكان من بلاد سكان من عسير الاقرب الى الصحة هو حديث نصوح الذي يرى بأنهم من مصر ويخطيء في التسمية اذ يقول عيال رواضي ويبدو انه ترجمها عن « موزيل »(٧٠) .

هـ ـ ابو درويش : ذكر نصوح بأنهم من نسل رجل من قبيلة عباد البلقاوية ينضون تحت لواء الكرشين . هم من احفاد عبد أبو درويش بن الحاج خليل بن عوض(٧١) .

و ـ الصلاحات : الصلاحات او (صلاح) فقد ذكرهم موزيل وهم ينتمون الى الكراشين ، ويذكر نصوح انهم من غزة . وتشير الوثائق الشرعية في قضاء معان بأنهم

وثيقة تتعلق بتكليف الشيخ علاء الدين المحتسب
الخليلي تعاطي الاحكام الشرعية في معان .

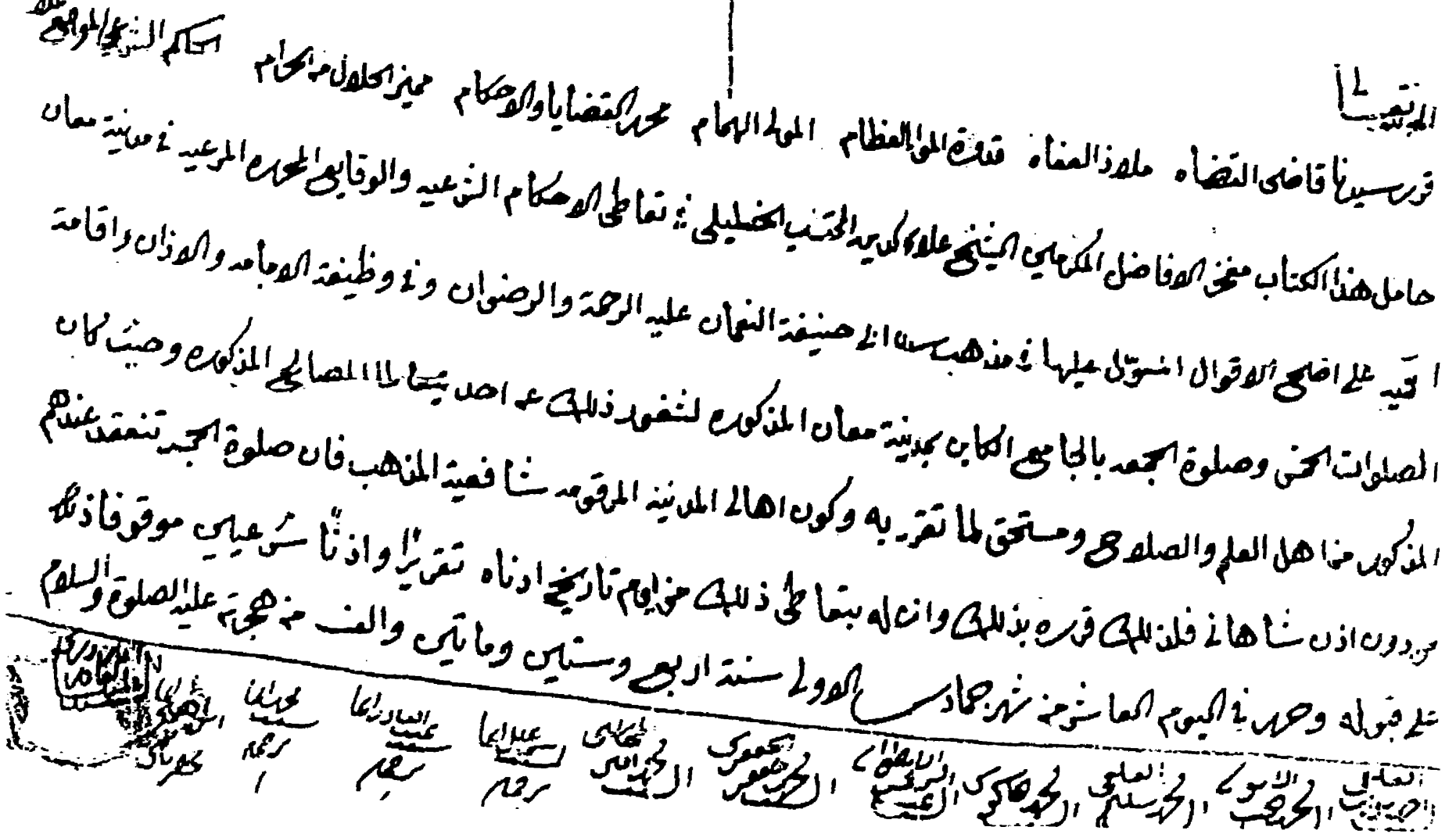

من مدينة غزة وانهم مقيمون ومتوطنون منذ القديم في معان يشير السجل « الغزاويان الاصل المتوطنان منذ زمن قديم في قلعة معان الحجازية »(٧٢) ومثلهم مثل عائلة زغلول يعتبرون من الكراشين وهم من الخليل كما تشير الوثائق الشرعية(٧٣) ، ويشير سجل الوثائق لـ (عودة بن الحاج داود صلاح المسلم العثمانيمن أهالي غزة هاشم)(٧٤)،وهناك عيال عوض من غزة أيضا وينتمون الى الكراشين(٧٥) .

ز ـ المحتسب : من عائلة المحتسب ، كان يرد وراء اسمه (خليلي)(٧٦) والحقيقة ان احفاد عائلة المحتسب هم احفاد رجل واحد هو علاء الدين المحتسب ارسلته الحكومة عام ١٢٦٤ (١٨٤٨م) تقريبا لاقامة الصلوات الخمس والامامة بمسجد معان موفدا من قبل الحاكم الشرعي العثماني كما تدل الوثيقة المرفقة ويظهر من الوثيقة بأن اهل معان شوافع المذهب وان الهدف من ارسال الشيخ علاء الدين هو تعاطي الاحكام الشرعية على المذهب الحنفي (مذهب أبي حنيفة النعمان) الذي تسير عليه الدولة العثمانية(٧٧) . والواقع ان في كلام نصوح خلطا بيّناً :

يذكر نصوح بأن الكراشين تشتمل على : **الهلالات ،و الهوارين :** وليس الحوارين ويخطىء نصوح في التسمية ايضا . فهم الهوارين وليس الحوارين .

عيال المرعي : يذكرهم سجل الوثائق بـ (مرعي)(٧٨) ويذكرهم (يوسف وسارة ولدا محمد بن مرعي الكراشين)(٧٩) .

عيال آل رواد وليس الرواضي ، ويخطىء في التسمية أيضا لعله ترجمها عن الانكليزية التلاهنة وليس الطلاحنة : ويخطىء (بيك في التسمية فهم التلاهنة) (التلهوني) .

٣ ـ القسم الثالث من عشائر معان الحجازية : العقايلة(٨٠)

من عشائر معان الحجازية الوثيقة الصلة بالكراشين لدرجة أن وضعها كثيرون تحت لوائهم . ويبدو أن تحالفات هذه العشيرة كانت قوية جدا مع الكراشين . ومن العقايلة : عرار ، وعيال سليمان والتلاهنة (التلهوني) .

يرتبط بالعقايلة جماعة التلاهنة ولقب تلهوني مثلا ورد في سجل الوثائق (خليل افندي ابن المرحوم الحاج علي التلهوني العقايلة) ووضع نعوم شقير العقايلة ضمن عشائر مديرية الشرقية في حين وضع عشائر ترهونة في الصحراء الغربية وصحراء ليبيا في مصر(٨١) .

ويرى نصوح بأن تلهوني مشتقة من ترهونة وهم كعوب من جماعة سليم بن منصور مثل العقايلة(٨٢) وينسب نصوح سليم بن منصور الى قيس بن عيلان(٨٣) .

والشيء المعقول ان العقايلة من عقيل والعقيليون من جذام من كهلان وان جذورهم في المنطقة مثل جذور الحمادين والهلالات ويشير سجل الوثائق الشرعية في قضاء معان ١٣١٦ بأن **سكر** ينتمون الى العقايلة فيذكر مثلا اسم الحاج عبد الله بن محمد سكر العقايلة مسلم عثماني . . .(٨٤) ويشير سجل الوثائق ان عرار ينتمون للعقايلة مثلا (سليمان ابن احمد عرار العقايلة) من قصبة معان الحجازية(٨٥) .

الباب الثاني

عشائر معان الشامية :

١ ـ القسم الاول ـ القرامصة : هم فرق مختلفة الاصل وكانوا الاكثر عددا في معان الشامية فهم :

آ ـ الرشايدة : يشير لهم سجل اعلامات معان ومنهم ابو عورة(٨٦) . **ب ـ عيال جمعة :** ومنهم المحيسن (وهم وثيقو الصلة بابي الزيت) وهم من الطفيلة ، **ج ـ الخورة :** ومنهم زنوني(٨٧)وآل الجمل (جمل العيلة) ، **د ـ الجريات:** ابو جري: هاجروا لمعان الحجازية بعد حادث قتل ومنهم عليدي وانضموا للخوالدة ، **هـ ـ وهناك العواجين :** (عوجان) والطحان ويعتقد انهم من قطاع غزة ويبدو ان معظم القرامصة من قبيلة عنزة(٨٨) ومن شمر وشمر من طي (ربيعة) .

راى موزيل عندما زار معان في اواخر مطلع القرن الحالي ان القرامصة هم الاكثر عددا ، ويرى نصوح بانهم فرق مختلفة الارومات وان منهم العواجين من عشيرة الجمافرة من عنزة اصلا ومنهم جماعة في الطفيلة ومنهم :

آ ـ الرشايدة : ومنهم ابو عورة .

ب ـ عيال جمعة : ومنهم عيال محيسن وهم من بلدة الطفيلة(٩٠) . ومنهم عيال ابو زيت وهم من منطقة بير زيت(٩١) .

ج ـ الخورة : تسمية الخورة ترتبط بالخور على الارجح والنسبة اليها الخوري. يذكرهم سجل الوثائق بالخورة ويذكر شخترة الخوري(٩٢) . ويتحدث داوتي عن هجرة لحوران والارجح ان المهاجرين من الخورة اشتروا في الشجرة واربد(٩٣) ويرى نصوح بانهم غير منسوبين وقد يكونوا من بقايا الصليبيين الذين اسلموا .

ومن الخورة آل الجمل يذكرهم سجل حصر الارث مثلا : (جويدان بن ابراهيم جمل العيلة)(٩٤) . وتعرف جماعة الخورة بلقب الخوري . ويذكر سجل الوثائق

الشرعية في قضاء معان (الخوري) ويذكر (شيخ طرة) محمد جعفر محمد ابو شيخ طرة)(٩٥) . وشيخ الخورة والمحاميد والقرامصة كان (داود بن رشيد) ومن الخورة زنوني (زنونة) .

د ـ الجريات : (ابو جري) يذكر سجل الوثائق (ابو جري) « مثلا سالم بن احمد ابو جري »(٩٦) ومنهم فريق هاجر لمعان الحجازية وانضوى تحت لواء (عيال ام خطاب والخوالدة) . كانوا تابعين للخوالدة ثم عيال ام خطاب .

هـ ـ عوجان : يذكر سجل الوثائق عوجان (ابراهيم بن حسين عوجان) من اهالي معان الشامية وتذكر « عوجان » « العواجين » مثلا (ابراهيم بن حسين ابن عوجان العواجين)(٩٧) . والعواجية من عنزة وأميرهم العواجي ويذكر نصوح(٩٨) ذلك ايضا .

وينضوي تحت اسم القرامصة : ١ ـ عيال ابو الزيت ـ وهم من بير زيت(٩٩) . ٢ ـ عيال الطحان ـ وهم من غزة(١٠٠) .

ويبدو ان هجرة القرامصة لمعان الشامية جاءت في وقت لاحق لهجرة عيال الحصان ذلك ان الانطباع كان سائدا عند فالن بأن أهالي معان الشامية يذكروه بسورية في كل شيء من المساكن وطراز البناء . . . وتنضوي جماعات اخرى منها :

ابو الفيلات : يذكر البعض انهم من الخليل . **والمغربي :** وهم من تونس اصلا كما يذكرون .

٢ ـ القسم الثاني :

عيال الحصان (ابن الحصان) : يخطىء نصوح اذ ينسبهم الى قرية بورين من قضاء نابلس وانهم من تركمان اصلا ، تنقلوا مع الامامية في مواكب الحج واستقروا في معان وان لهم اقارب في بورين يعرفون بآل حصان . . ويذكر بانهم قد يكونون عربا من عشائر الحصانية الصخرية او من الحصنة وكان فريق منهم يتبع الجرادات في القرن السابع عشر . . يتبع هذه العشيرة فرقة العساف والثوابتة والنسعة والمصاورة والحياني (عيال حياني)(١٠١) ويذكر الجاسر ان الحصنة من طفح من البطنين من بني سعد من عتيبة والبطنين مثنى بطن من فروع عتيبة وبلاد البطنين جنوب الطائف بجوار بلحارث من بني سعد(١٠٢) .

ويحدد احسان بأن آل الحصان في معان الشامية من آل الحصان في بورين من جبل قبال (جورة وعمرة) ويؤكد بأن آل كريشان في معان الحجازية وفرعهم من بني

زيد في قلقيلية وقد نزلوا في قرية باقة الحطب ثم صوفين فقلقيلية . يذكر احسان بان آل كريشان وعيال الحصان من حراس القلعة ورجال الحج سابقا(١٠٣) .

يروي الشيخ حسن النسعة بأن عيال الحصان قد يكونوا جاءوا من بورين/نابلس هاجروا الى معان لعدة اسباب ابرزها الفرار من الخدمة العسكرية ذلك ان الاتراك لم يجندوا احدا من معان وانهم بعد ذلك الفرار استقروا في معان وان الاتراك لم يصلوا لمعان في التجنيد .. ويروي بأن ، ليس كل من انتسب للحصان من بورين فهناك المصاورة مثلا(١٠٤) .

لكن يبدو أن (عيال عبد الله) قد جاءوا من سورية وانهم من احفاد عبد الله الباشا الذي جاء في حملة مكوناتها : ١ ـ عرب بقيادة يوسف آغا وعثمان آغا اولاد عبد الله باشا ، ٢ ـ تركمان : بقيادة مصطفى بك شهسوار ، ٣ ـ الانكشارية : جعفر الانكشاري ، ٤ ـ تركمان : بقيادة الامير عساف فروخ واصبح امير للحج الشامي(١٠٥).

خولت الدولة العثمانية عبد الله باشا تامين طرق الحج في آخر ١٠٦٦هـ بعد توتر الوضع وضعف المماليك الذين امنوا طريق الحج الشامي والمصري مدة نصف قرن . فكون عبد الله باشا اربع كتائب (اليرلية : الوطنيين) ، الاولى من آل المهايني من آل النمر ، والثانية من التركمان وامراؤها من غازي باشا شهسوار ، والثالثة من الاكراد وامراؤها من آل بيرم ، والرابعة من المماليك وامراؤها من المماليك النقاريين .

تولى عبد الله النمر تشكيل الحكومة الادارية في نابلس قبل ان يخرج الى الكرك ويصاهر آل عمرو ويذهب الى معان ليبني معان الجديدة .

رواية (احسان) تتوافق مع راي (جورج فالن) الذي راى ان اهل معان الشامية سوريو الملامح وان شكل البناء ونوع الطعام يذكره بسورية(١٠٦) .

آ ـ **عيال عبد الله** : ومنهم (من آل عبد الله النمر) الذي بنى قلعة معان الشامية ومن جماعته : ا ـ النسعة ، ذكرهم موزيل ونصوح ويتردد اسمهم في سجلات الوثائق العثمانية والسالنامات بكثرة ويذكر منهم (عبد النبي سليمان النسعة)(١٠٧) . ب ـ بدر: وهم وثيقو الصلة بالنسعة .

ب ـ **الثوابتة** : (الثبتي) ينسب الانصاري الثوابتي والثوابتة الى قبيلة الثوابت من (حرب) ويسميهم بيت الثابتي ويروي بأن كثيرين في المدينة المنورة كانوا ينسبون اليهم ومن اشهرهم (سعد بن مسعود الثابتي الحربي) وانه كان نازلا في حماة حينما

أخرج من المدينة المنورة في الفتنة التي وقعت سنة ١١٥٦هـ ومن اولاده علي وجمعة وحسين وحسن . وقد يكونون من آل ثابت من آل سالم من شمر من طي وهو الارجح(١٠٨) .

وفريج : يذكرهم سجل الوثائق افريج (علي ابن احمد افريج)(١٠٩) .

ويذكر سجل الوثائق اسم سليمان خلف فريج وخلف عساف مثلا تذكر الوثيقة (اشترى حسن ابن أحمد فريج بن سليمان من اهالي سكان معان الشامية ومن تبعة الدالة السلية بماله وبنفسه من الحاج محمد العبد بن الحاج سليمان بن جفيمان) (١١٠).

ج ـ المصاورة وكراجكلي : يذكر نصوح بانهم من (مصر) لان اسمهم يدل على ذلك وانهم (تركمان) قدموا من مصر . قرة جكلي (قراجكلي) ويذكر سجل الطلاق (محمد كره جعلي(١١١). والكراجكلي كلمة من مقطعين تعني(الرجل الاسود) بالعثمانية. حدثني احد افراد هذه العائلة بانهم اصلا من تركيا وعرفوا هناك بذلك الاسم والسبب سمرة بشرتهم)(١١٢) .

د ـ الحياني ، ابو حيانة ، عيال حياني : يذكر سجل الوثائق الحيانة كما يلي : (اسماعيل بن محمد ابو حيانة من أهالي قصبة معان الشامية)(١١٣) ويذكر (محمد بن احمد ابو حيانة ابن خليل)(١١٤) . و (الحيانيون) من طي من ربيعة من كهلان من افخاذ زريق بن ثعلبة(١١٥) ويذكر احد المعمرين انهم من (بني عطية)(١١٦) . ويبدو ان التسمية الادق لهم (ابو حيانة) وارجح الراي الاول انهم من طي لأن سكان معان الشامية من طي عموما .

هـ ـ عساف : يبدو ان التسمية هي عساف وليس العساف وهي العشائر المعروفة في البلقاء .في سجل الوثائق يرد ذكرهم (عساسفة) تارة وتارة (عساف)(١١٧) ولقد ذكر الزركلي عساسفة قريبين من المنطقة هي الحباشنة (مع الرماضين الجمافرة، الرهايفة ، العويسات)(١١٨) . واذا تقيد الباحث بالتسمية (عساف) فانهم من بطن عرمة بن تميم (بنو تميم) واذا كانت التسمية العساف فانهم من الحمام من اللحيوات من زوبع من شمر وقد يكون هذا النسب صحيحا لأن في معان الشامية جماعة من شمر مثل الجريات وغيرهم .

و ـ مطر : من ابرز عشائر معان الشامية وهم وثيقو الصلة بالمصري والكراجكلي، وراي نصوح في اصولهم لا يختلف عن رايه في آل المصريمن حيث اعتبارهم من القادمين لحماية قوافل الحج . ولاحسان النمر الراي نفسه .

تعزز روايات المعمرين ارتباط آل مطر مع عشائر خارج معان ولا يعني ذلك ان آل مطر جاؤوا من تلك المنطقة . مثلا يروي الشيخ حسين النسمة عن تعارف تم بين

المرحوم عمر مطر عندما كان حاكما عسكريا لنابلس مع جماعة في نابلس وان هذا التعارف كشف عن العلاقة السابقة في الصلة(١١٩) .

ارجح ان آل مطر في نابلس وآخرون جاؤوا لمعان في حملة عبد الله النمر الذي اسس معان الشامية .

القسم الثالث :

المحاميد : ومنهم ابو كركي ومنهم البحري ولا تعكس الوثائق شيئا واضحا عن صلاتهم بغيرهم .

ملاحظات :

١ ـ يلاحظ ان اهالي معان الحجازية ينتسبون الى عشائر الفناطسة والبزايعة والحمادين والكراشين ، انضوى تحتها عشائر اخرى ليست من الارومة نفسها .

٢ ـ يبدو معقولا ان اصول الكراشين تعود لآل عبيد وعشيرة آل رزق من فخذ آل عاصم من آل سليمان من قحطان ، اذ ان آل مرعي وآل كريشان من (آل عبيد) .

ويبدو أن الهلالات الذين ينضوون تحت اسم كريشان والكراشين هم من الجماعة نفسها . وهكذا فان العشائر الثلاث عيال مرعي ، وآل كريشان والهلالات يعودون بأروماتهم للجزيرة العربية .

ويلاحظ في دراسة عشائر معان ما يلي :

١ ـ ان اصول عشائر معان الحجازية هي من الجزيرة العربية وشمال الحجاز ، ولا سيما عشائر التحاتا والكراشين ، واصول الكراشين تعكس الصلة بينهم وبين عشائر الجزيرة .

٢ ـ يبدو ان عشائر الكراشين استقطبت مجموعات اخرى لتعزز من موقفها وقوتها (أمام عشائر التحاتا) فانضوى تحت لوائها عشائر (الصلاحات)و(ابو درويش)، ويبدو ان تحالفا قام في البداية بين الكراشين والعقايلة جعل الكثيرين يعتقدون بأنهم منهم ، لانهم ينضوون تحت لواء واحد ، ولكن لا يبدو ان اصولهم واحدة . كما ان ارومات الكراشين مختلفة فبعضهم من المحتسب وبعضهم من الصلاحات الذين تختلف اصولهم عن الهلالات وابو مرعي .

ويظهر ان الكراشين كانوا اكثر تساهلا في فتح الباب للآخرين للانضواء تحت لوائهم ، لخلق توازن بينهم وبين عشائر التحاتا . فانضوى تحت لوائهم: المحتسب وهم من الخليل ، والصلاحات وهم من غزة ، وزغلول وهم من الخليل ايضا .

وانضوت تحت لواء التحاتا بعض العائلات في مطلع هذا القرن كما يبدو ، فظهرت أسماء ذات أصول سورية مثلا (شموط) و (القهوجي) ، الا انها لم تكن كبيرة ولم تؤثر في موازين القوى والتوازن العشائري ، وانضواؤها كان لتيسير مصالحها وليس كما هو الحال عند الكراشين .

عشائر معان الشامية : يبدو أن هذه العشائر سكنت بعد تأسيس معان الشامية . وقد خلت المصادر التاريخية من تاريخ تأسيس معان باستثناء بعضها التي اشارت أن عبد الله النمر الذي شكل حكومة ادارية في نابلس برئاسة علي آغا وشكل مجلس الشرع الشريف برئاسة عبد القادر العلمي وترك نابلس للوالي الجديد علي كيوان وخرج الى البلقاء وبنى قلعة ثم رحل للكرك وصاهر (العمرو) وعهد اليهم بحراسة طرق الحج ثم عاد لمعان وبنى معان الجديدة وانه اشتهر بين البدو هو ورجاله باسم الامامية* (ويبدو أن غيرهم قد تسمى بهذا الاسم في معان الحجازية) .

ويظهر أنه بعد بناء معان الجديدة جاءتها هجرات جديدة من مناطق مجاورة ، وظهر فيها أصول جديدة للعشائر ، فمن قبيلة عنزة تظهر أسماء عائلات ومنها آل رشيد ، وعوجان(١٢٠) . ومن قبيلة طي تظهر أسماء عائلات من عيال الحصان وهم الثوابتة ومنهم فريج والجفامين .

وقد تكون هناك علاقة بين عيال عبد الله ومنهم (النسعة وبدر) الذين جاءوا في حملة عبد الله النمر وكانوا عربا بقيادة عربية (يوسف آغا وشقيقه) واولاد عبد الله النمر . وقد انضوى الجميع تحت اسم عيال الحصان ، معهم جماعات اخرى مهاجرة من مصر يعرفون بالمصاورة ومنهم الكراجكلي . . . وهؤلاء لا يؤثرون على التحالفات كثيرا . وفي معان الشامية انضوت عائلات غريبة مثل المغربي وابو الفيلات مع القرامصة .

الخلاصة : يلاحظ ان اصول معان الشامية اختلفت عن أصول معان الحجازية التي كانت في معظمها من قبائل الحجاز ، مثل : جذام وبلي سكان المنطقة القدماء . ومنهم الحمادين والعقايلة ، وهناك عشائر من عتيبة مثل بعض ارومات الفناطسة .

أما عشائر معان الشامية فانها من أصول سورية كما يتبين في عيال عبد الله وعيال مطر المعروفون بعيال الحصان ويبدو أن تسمية الحصان تعود لقوتهم ومنعتهم وعدم امكانية غزوهم ، أي من كلمة (الحَصَان) ، وما بقي من عشائر معان الشامية فمن عنزة وشمر في هجراتها اللاحقة وهي :

* احسان النمر ، جبل نابلس والبلقاء (مطبعة ابن زيدون دمشق ١٩٣٨) ص ٧٢ ـ ٧٦ . هذه الرواية وان لم اجد ما يؤيدها فانني أعتقد أن فترة بناء معان الشامية كانت في ذلك الوقت تقريبا وأن بيركهارات اشار لها عام ١٨١٢ ويبدو انها بنيت قبل ذلك بفترة ـ في رواية احسان النمر فان فترة بناء معان الشامية هي ١٠٦٦ هـ

١ ــ طي ــ ربيعة ــ على نحو لاحظناه في عشائر المحاميد وآل ثابت (ان كانت اصول الثوابتة مرتبطة بآل ثابت) . والجريات من شمر من طي .

٢ ــ عنزة : راينا عشائر القرامصة ترد الى الجعافرة من عنزة مثل العواجين . وكان لها التفوق العشائري هناك .

وعند تاسيس امارة شرق الاردن عام ١٩٢١م استقرت معان على وضعها السابق، واقتسمت عشائر معان الحجازية (التحاتا والكراشين) المناصب فمن التحاتا اخذ (حامد الشراري) رئاسة البلدية ومن الكراشين اخذ (محمود كريشان) النيابة واستمر هذا التقسيم لمنتصف الخمسينات تقريبا عندما ظهرت زعامات جديدة من معان الشامية فظهر (عمر مطر) وتقلد مناصب رسمية عديدة .

تذكر السالنامات العثمانية أسماء أعضاء مجلس الادارة من عائلات معان الحجازية وهي (كريشان) و (التلهوني) و (الشراري/الشلبي) وتذكر من معان الشامية (النسعة) فقط .

وما زالت معان الى اليوم قوة طاردة كما كانت في أواخر القرن الماضي ، وما زالت تقسيماتها العشائرية كما هي . وقد اتفقت فيما بينها على جعل رئاسة المجلس البلدي دورية ، تتولاها عشيرة بعد أخرى .

(١) سالنامة ولاية سورية ١٣٠٢هـ ص ١٨٠ .

(٢) سالنامة ولاية سورية ١٣١٠هـ ص٢٣٩ . سالنامة ولاية سورية١٣١١ــ١٣١٢هـ ص٢١١.

(٣) سالنامة ولاية سورية ، ١٣١٣هـ ، ص٢٢٣ ــ ٢٢٦ ، ١٣١٦ هـ ص ٢٢٩ــ٢٣٦ .

(٦) Georqe August Wallin, **Travels in Arabia** 1845 - 1848 Falcon : Orleander, 1979, P. 123.
Alois Musil, **the Northern Hejaz** (New york , the American Geographical society 1926). p. 234 .
وجورج أوغست فالن هو استاذ اللغة العربية في جامعة هيلسنجفور بفنلندا ، اسلم واصبح وهابيا ولقب نفسه بعبد الولي . يمثل هذا الرجل نمطا « اوربيا » غير متعصب مر بالمنطقة خلال ١٨٤٥ ــ ١٨٤٨ .

(٧) Wallin, op. Cit, p. 11.

(٨) سجل الوثائق الشرعية في قضاء معان سنة ١٣١٦ هـ (الجامعة الاردنية ــ مركز الوثائق والمخطوطات) ص ٦ ــ سوف نشير اليه بسجل الوثائق .

(٩) Musil. op. Cit, p. 234.

(١٠) Chares Doughty , **travels in Arabia Deserta** (N.Y.Dover pub. 1979) Vol. 1,p. 72.

(١١) ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (الكرخي) ت : ٩٥٠م **مسالك الممالك** (ازاء انتشارات كتابخانة صدر) ص ٩٥ .

(١٢) ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢هـ **تقويم البلدان** (باريس : دار السليمانية ١٨١٥م) ص ٢٢٩ .

(١٣) الشيخ نجم الدين الغزي (٩٧٧ ـ ١٠٦٦هـ) **الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة** ج٣ تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور (بيروت : دار الافاق ١٩٧٩) ص١٥٧ . والغزي مولود بغزة في بيت علم ووجاهة وادب ، وهاجر لدمشق .

(١٤) Karl Barbir, **Ottoman Rule in Damascus 1707 - 1758** (Princenton Univ. Press 1980) pp.99, 100, 104, 105, 126, 128.

(١٥) Ibid

وبعد ١٦٧١ جمع امير الحج بين امارة الحج وامارة دمشق مدة قرنين .

حمد الجاسر ، **في سراة غامد وزهران** ، الرياض ،دار اليمامة ١٩٧١، ص٤٢٩ـ٤٣٠.

(١٦) قافلة تحمل مؤنا تخرج للاقاة الحجاج . واذا سلك الحجاج الطريق السلطاني فان الجردة تخرج للاقاته في معان قادمة من غزة. محمد خليل المرادي ، **سلك الدور في اعيان القرن الثاني عشر** م٢ (بغداد ، مكتبة المثنى) ص ٦١ـ٦٢ .

(١٧) الخياري المدني : ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني ، **رحلة الخياري ، تحفة الادباء وسلوة الغرباء**.تحقيق رجاء السامرائي (القاهرة : وزارة الثقافة والاعلام مديرية الثقافة العامة) ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(١٨) عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ ـ ١٧٣١م) **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز** ، نسخة مصورة من مكتبة اسعد افندي ٢٣٧٦ يوجد صورة عنها في مركز الوثائق والمخطوطات / الجامعة الاردنية رقم ٥٧٣ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(١٩) عبد الكريم رافق ، **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت** ١٥١٦ ـ ١٧٩٦ (دمشق ١٩٦٧) ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(٢٠) يوهان بيركهارت ، **رحلات بيركهارت في سورية الجنوبية** ج٢ ترجمة انور عرفات ، عمان ـ دائرة الثقافة والفنون . ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢١) Wallin, op. cit, pp. 125-126.

(٢٢) Doughty , op. Cit , pp. 71 - 74.

(٢٣) محمد بن عثمان بن محمد السنوسي، **الرحلة الحجازية** ، تحقيق علي الشلنوفي (تونس ـ الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨١) ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(٢٤) خير الدين الزركلي ، **اعلام في عمان** (القاهرة ١٩٢٥) ص ٢١ وذكر معان في الفترة ذاتها بولس سلمان (الارشمندريت بولس سلمان، **خمسة اعوام في شرق الاردن** ، ابحاث ادبية قضائية دينية ـ القدس ١٩٢٩) .

(٢٥) تتردد تسميات مثل فنظو لان المصريين سموا سكان عرب جنوب الجزيرة فنظو اي سكان الفنط والفنط سكان الجنوب من الجزيرة العربية. اما عرب الشمال فهم شاسو وتتردد تسميات اخرىفيسجل الوثائق مثل (فنجص). انظر سجل الوثائق وثيقة رقم (٤٢) ص٨٥ حيث يذكر السجل اسم تمام بنت داود عبد الواحد فنجص . ويعتقد ان فنجص هي اصل فناطسة ولا ارجح لذلك لان سجل الوثائق كان يكرر كلمة فناطسة وهي قد تكون تحريفا لكلمة فناطسة ، وفي الكتابة يسهل الخلط بين الفا والغين بحيث تصبح الفناطسة : الغناطسة . من عشائر الغناطسة انظر وصفي زكريا ، **عشائر بلاد الشام** (دمشق : دار الفكر ١٩٨٣ ص ٣٤٣) .

(٢٦) Alois Musil, Arabia petroea win Kaiserliche Akademie der wissenshaften 1908 p. 56.

تمت في راسون دعوة مجموعة ابناء الفناطسة الى لقاء يوم ١٧ـ٤ـ١٩٨٧م . بلغ عدد الحضور من ابناء الفناطسة في معان وراسون حوالي ٣٥٠شخصا . القيت كلمات الترحيب من الطرفين .

(٢٧) مقابلة مع السيد منير شويطر من مديرية تربية عجلون . اللقاء يوم ١١ـ٢ـ١٩٨٨ في

وزارة البلديات والشؤون القروية الساعة ١١ ظهرا .

بيّن السيد منير سبب الهجرة الى راسون بأنها جاءت بعد معركة تمت بين محمد بن مصلح شويطر واهل راسون اثناء مرور محمد بهم وهو في طريقه لزيارة اخواله (آل المومني). وتزوج محمد من فتاة من راسون . ونظرا لان راسون عانت كثيرا من غزوات العبابيد فان مجيء جماعة مصلح شويطر الى راسون رجحت الكفة . قدم بنو اسماعيل لجماعة محمد شويطر ارضا . بقيت جماعة من آل شويطر في جمحا وعددهم الان (٥٠) رجلا وفي كفرنجه يوجد جزءا منهم وفي راسون عددهم ١٥٠ رجلا تقريبا .

يروي السيد منير قصة تمكن دهاء محمد شويطر في تضليل (العبابيد) الذين جاءوا لراسون في عملية استطلاع تسبق الغزو وانه أعطى البندقية الوحيدة لكل من دخل يسلم على العبابيد مما اوحى لهم انهم لديهم بنادق عديدة بعدد الشباب الذين كانوا يدخلون للسلام .

(٢٨) الشيخ سليمان عبد القادر سالم مصطفى أحمد الفناطسة ٨٧ سنة يوم ٢٢-٩-١٩٨٧ الساعة الخامسة مساء منزل السيد صقر محمد سالم المعاني جبل الحسين - عمان .

(٢٩) سجل الوثائق (٥٢ ص ٢٠ وفي ص ٤٧ يشير لاسم : العبد بن داود مختار عشيرة عيال داود) .

(٣٠) سجل الوثائق ص ١٠ .

(٣١) سجل الوثائق ص ٢٢ .

(٣٢) سجل الوثائق ص ٤٣ ولقد لاحظت تردد لقب (الخطيب وممتوق) في سجلات المحاكم الشرعية لحلب في القرن السابع عشر (الشريط موجود في مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الاردنية رقم ١١٦ ، ١١٧) .

(٣٣) **Max Freiherr, von oppenheim Die Beduinen,** BAND II (Otto Harrassowitz leipziq , 1943 p. 290.

(٣٤) سجل الوثائق ، ص ٤٨ .

(٣٥) سجل الوثائق ، ص٦٠ .

(٣٦) سجل اعلامات معان ص ١٧ .

(٣٧) سجل حصر الارث ص ٦٣ .

(٣٨) سجل الاحكام ص ٦٣ .

(٣٩) سجل اعلامات معان ، مصدر سابق ص٦٦ .

(٤٠) نعوم شقير ، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها (المركز العربي للبحث والنشر ١٩٧٦) ص ٦ .

(٤١) سليمان الفناطسة ، مقابلة سابقة الذكر .

(٤٢) سجل الوثائق ، مصدر سابق (١٠) .

(٤٣) سجل الوثائق الشرعية يذكر حيشان البوايعة (ص٦٠) ، (الحيشان : جمع حوش وهو فناء الدار الواسع) .

(٤٤) المصدر نفسه ص٦ .

(٤٥) المصدر نفسه ص ٣٤ .

(٤٦) حمد الجاسر ، **في شمال غرب الجزيرة** (الرياض : اليمامة ١٩٧٠) ص ص٤٥ ، ١٧٩ .

(٤٧) سجل الوثائق ص ١٦ وذكر حمد الجاسر الخوالدة ونسبهم الى الدحو من (البادية) من بني عمرو من حرب منازلهم نويبع شرق رابغ . حمد الجاسر ، **معجم قبائل المملكة العربية السعودية** (الرياض دار اليمامة) ص ٢١٥ .

(٤٨) انظر سليمان القوابعة ، **الطفيلة : تاريخها وجغرافيتها** ج٢ (الطفيلة ١٩٨٦) ص١١٠ -١١١ . فاروق نواف السريحين ، **تاريخ مدينة الرمثا ولوائها ، دراسة تاريخية اقتصادية انثروبولوجية** . ص٢٦٠ ذكر المؤلفان عشائر الخوالدة في الطفيلة والرمثا.

(٤٩) الشيخ يونس ابو هلالة ٦٠ سنة (معان) مقابل في منزله بمعان ١-٣-١٩٨٨ .

(٥٠) سجل الوثائق ص ١٢٥ .

(٥١) سجل الوثائق ص٢ مصدر سابق ص٦ .

(٥٢) راجع سجل الوثائق ، مصدر سابق ص٢٨ .

(٥٣) راجع سجل الوثائق ، ص ٣٥ .

(٥٤) المصدر نفسه ص ٣٦ .

(٥٥) مقابلة مع هارون نصار (مدير ايتام وزارة

الاوقاف ـ اربد) في مكتبة باربد ١٠ـ٢ـ ١٩٨٨ .

(٥٦) سجل اعلامات معان ص ١٤٤ ـ ١٤٦ .

(٥٧) سجل حصر الارث ص ٥٤ .

(٥٨) سجل اعلامات معان ص ١٧٣ .

(٥٩) علي نصوح الطاهر ، **تاريخ القبائل العربية في شرق الاردن** ج١ ١٩٦٩ ، ص ٢١٨ .

(٦٠) نعوم شقير ، مصدر سابق ص ٥٨٦ .
ابن كريشان شيخ العزازمة وابن جهامة هو ترباني . وحماد يقول : حماد الصوفي . والكراشين منشرون في سيناء . وزارني في منزلي السيد عبد الرحمن حسن كريشان من صفاقس في تونس حيث اعلمني في ٢٥ـ٣ـ ١٩٨٨ أن هناك مجموعة في صفاقس من آل كريشان والجازي ايضا وانه بصدد اطلاعي على باقي المعلومات عندما تنجلي المعلومات عن هجرتهم واسبابها .

(٦١) راجع : فؤاد حمزة ، **قلب جزيرة العرب** ، (الرياض : مكتبة النصر الحديثة ١٩٦٨) ص ٩٧ وحمد بن ابراهيم الحقيل ، **كنز الانساب ومجمع الاداب** ، ١٩٧٣ ص ٢٠٢ . وعلي نصوح الطاهر ، **جوامع النسب في قبائل العرب** (ج٢ ، ص ـ ي) . ص٥٨٠ ـ ٥٧٧ .
نصوح يميز آل كريشان عن كريش والكريشان هم نصيرات من الحناجرة ويروي عارف العارف بأن النصيرات يروون بأنهم من الخزرج وانهم كانوا ثلاثة اخوة جاءوا من مكة الى ضانا وهم نصير ويسن وناصر تشاجروا مع احد السكان فقتلوه ثم ذهبوا لكفر قدوم (نابلس) وتشتتوا بعد مشاجرة. بقي يسن في كفر قدوم وذهب ناصر لعتيل وذهب نصير الى عين الدقيق (دير البلح) وظهرت منه ذرية النصيرات .
انظر عارف العارف ، **بئر السبع وقبائلها** ، ١٩٣٤ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٦٢) سجل الوثائق ص ٣٨ وفي سجل حصر الارث ص ١١٥ .

(٦٣) لقاء مع محمد الصغير كريشان (وهو من آل مرعي) ١٩٨٨/١/٢٨ م .

(٦٤) قسم الشيخ يونس الكراشين كما يلي :
١ ـ الهوارين ومنهم قاسم وولده حسين وحفيده الشيخ محمود كريشان .
٢ ـ مرعي ومنهم خليل وولده احمد وحفيده الشيخ فارس كريشان .
٣ ـ الهلالات ومنهم هارون واولاده حسن وحسين ومن اولاد حسن محمد ثم يونس ومن اولاد حسين علي . انظر فؤاد حمزة ، مصدر سابق ص ١٤١ .

(٦٥) الشيخ يونس ابو هلالة ـ مقابلة سابقة الذكر .

(٦٦) اشتكى الشيخ احمد قباعة على الشيخ حسن ابو هلالة وسجن حسن في دمشق . استمر الخلاف حتى تطور لحادث قتل . اشار جورج فالن لهذه النزاعات في حديثه عن معان . بعد حادث الدم حصلت مصاهرة بين الهلالات وقباعة والهلالات هم اخوال آل الديخ من آل قباعة .

(٦٧) سجل حصر الارث ص ٦٣ .

(٦٨) المصدر نفسه ص ٤٦ ومنهم عيال الصغير .

(٦٩) سجل الوثائق ص٤٤ وص٢١ وص٣ .

(٧٠) يؤكد هذا الكلام الشيخ يونس ابو هلالة ، مقابلة شخصية الساعة ١٢ ، ١٩٨٨/٣/١ بمنزله في معان ، انظر نصوح **تاريخ القبائل** ص٢١٨ ، وانظر حمد الجاسر ، **المعجم الجغرافي** (ا ـ ض) مصدر سابق ص٥١٦ .

(٧١) انظر سجل اعلامات معان ص ١٤٩ . حصر الارث ص ٢٤ تم تغيير اسم عشيرة عيال عوض باسم عشيرة ابو درويش بتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٦ ، انظر الجريدة الرسمية عدد ١٧٠١ تاريخ ١٩٦٣/٧/٢٥ .

(٧٢) نصوح ، **تاريخ القبائل** ، ص٢١٨ ـ سجل الوثائق الشرعية في قضاء معان ١٣١٦ ص١٠، ١٠٧ . يشير السجل للحاج خليل موسى الحاج صلاح وحامد داود يوسف صلاح .

(٧٣) سجل اعلامات معان ص ١٤٩ و ١٥١ .

(٧٤) سجل الوثائق الشرعية ص ١٤٤ .

(٧٥) يونس ابو هلالة ـ مقابلة سابقة الذكر .

(٧٦) سجل الوثائق الشرعية ص٢٦ (كان يذكر في

توقيعه علاء الدين المحتسب ـ خليلي ـ).

(٧٧) انظر الوثيقة المرفقة .

(٧٨) سجل الوثائق الشرعية ص ٢١ .

(٧٩) المصدر نفسه ص ٣ .

(٨٠) سجل الوثائق ص ٢٧ .

(٨١) (اسم العقايلة) يتردد بين عشائر المملكة العربية السعودية وفي كتاب حمود بن ضاوي القثامي ، **شمال الحجاز ج٢** ، معجم المواضع والقبائل والحكومات (جدة : دار البيسان العربي ١٩٨٥) ص٢٢٤ ـ ٢٢٦ . تتردد عشائر العقايلة في قبيلة عتيبة على هذا النحو :

أ ـ مع الجبرة من برقا من عتيبة (يتردد الاسم مع عشائر اخرى منها الدهسة والدوانية والخماش والقشمة والفشاشمة.

ب ـ مع العمرية من العصمة من عتيبة (مع الركيبات ، النباعين ، الحسنات ... الخ).

(٨٢) نصوح ، حوار مع النسب (من ص ـ ي)ص ٩٢ .

(٨٣) المصدر نفسه ص ٣٢٠ .

(٨٤) سجل الوثائق ورد في كتاب ذكر عشيرة العقايلة واضحا .

(٨٥) المصدر نفسه ص ٣٥ .

(٨٦) سجل الاعلامات الشرعية ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ معان ص ٨٦ .

(٨٧) المصدر نفسه .

(٨٨) القرامصة (بالصاد) انظر سجل الوثائق الشرعية في قضاء معان ١٣١٦ ص ٧٣ حيث يذكر (عبد الدايم ابن أحمد بن عبد الدايم القرمصي) يذكر نصوح القرامصة: القرامسة (بالسين)الارجح ان القرامصة بالصاد .
انظر نصوح ، تاريخ قبائل ، مصدر سابق ص ٢١٧ ويورد موزيل عيال الشليخ ضمن القرامسة .
عنزة من القبائل العدنانية ومنها ولد سليمان منازلهم شمال الحجاز غرب نجد بين شيماء وخيبر وبيضاء نشيل وأميرهم المواجي وهم ينقسمون لقسمين : الجعافرة ـ السليمانية ومن عزة الحناتش (حنتوش) من جماعة ابن مهيد . انظر سمير القطب ، **انساب العرب** (بيروت : مكتبة الجامعة) ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٨٩) مقابلة مع الشيخ حسن النسعة في منزله ١٢/١١/١٩٨٧ (الساعة ١٥ر١٢ ظهرا) .

(٩٠) نصوح ، **تاريخ القبائل العربية** ، مصدر سابق ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٩١) نصوح ، **جوامع النسب** ، مصدر سابق ص ٢١٠ . مقابلة مع الشيخ يونس ابو هلالة سابقة الذكر .

(٩٢) سجل حصر الارث ص ٧٥ ، سجل الاعلامات الشرعية ص ٨٦ .

(٩٣) مقابلة مع السيد احمد محمد عوض الله (٦٤ عاما) يتحدث عن هجرة جماعته بعد شق قناة السويس وهذا يتناسب مع حديث داوني . هناك هجرة الى طفس جنوب سورية وهجرة الى درعا من جماعة الخوالدة .
المقابلة في ١٠/٢/١٩٨٨ م وفي اليوم نفسه مقابلة مع السيد هارون انصار الخوالدة ايضا .

(٩٤) سجل حصر الارث ١/٦/١٩٣٧ .

(٩٥) سجل الوثائق الشرعية في قضاء معان ص١٥ والادق شختورة ولا يعرف سبب اللقب .

(٩٦) سجل الوثائق ـ ص ٢٦ .

(٩٧) المصدر نفسه ـ ص٦٦ .

(٩٨) نصوح ، **تاريخ قبائل** ، ص ٢١٧ .

(٩٩) يونس أبو هلالة ، مقابلة سابقة ، حضر المقابلة الشيخ احمد بريغيث .

(١٠٠) ذكرهم د. عبد الكريم رافق في كتابه : **غزة ، دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية ١٢٧٣ ـ ١٢٧٧ هـ / ١٨٥٧ ـ ١٨٦٠م .**
(بحث أعد للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام فلسطين ، ١٩ ـ ٢٤ نيسان ١٩٨٠) . « وقدرت ثروة سالم الطحان بـ ١٧٠٦ قرشا .. الخ » ، ص ٦٤ .

(١٠١) علي نصوح الطاهر ، **جوامع النسب** ص٥٠٩.

(١٠٢) حمد الجاسر ، **معجم قبائل المملكة العربية السعودية** (الرياض ، دار اليمامة ص١٦٥).

(١٠٣) احسان النمر ، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**، ج١ ط٢ (نابلس ١٩٧٥) ص٨٦ .
احسان النمر ، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء** ، ج٢ احوال عهد الاقطاع (نابلس ، ١٩٦١) ص ٢٠ .

(١٠٤) الشيخ حسن النسمة ، مقابلة في منزله الساعة ٢ ظهرا يوم ١٩٨٧/١١/١٢م .

(١٠٥) احسان النمر ، **جبل نابلس والبلقاء** ، (دمشق : مطبعة ابن زيدون ١٩٣٨) ص ٦٧ ـ ٧٦ يتحدث عن الفترة التي عم فيها الاضطراب حتى مات رضوان امير الركب الشامي عام ١٠٦٦ هـ . رضوان جاء ليخلف الامير بهرام الفقاري في هذه الفترة التي مات فيها رضوان عم الاضراب فثارت نابلس وطردت المماليك في هذه الظروف خروج (عبد الله النمر) .

(١٠٦) W allin , op. Cil , pp. 125 - 126.

(١٠٧) علي نصوح ، **حوار مع النسب** ، ص ٦٥١ . سجل الطلاق ص ١٨٢ ـ من اقاربهم آل مهايني في دمشق .

(١٠٨) عبد الرحمن الانصاري ، تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب (تحقيق محمد المروس المطوي) ، تونس نهج جامع الزيتونة ، المكتبة العتيقة ، ١٩٧٠ ص ١٤٣ .

(١٠٩) انظر عبد الرحمن بن حمد بن زيد المفيري ، **المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب** ، ط٢ (بيروت : الكتب الاسلامي للطباعة والنشر ١٩٦٥) ص ١٣٩ ومن طي آل عبده من المحاميد . سجل الوثائق ص ١٦٣ .

(١١٠) سجل الوثائق ص ١٤ ، ويشار اليهم بخغيمان ، انظر سجل اعلامات معان ص ١٤٢ .

(١١١) علي نصوح ، مصدر سابق ، **جوامع النسب** ص ٦٥١ سجل الطلاق ص ١٨٢ .

(١١٢) المهندس محمد عطية حسين المعاني من ابناء مدينة معان .

(١١٣) سجل الوثائق ص ١٦٣ .

(١١٤) سجل الوثائق ص٦ .

(١١٥) القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢) ص ٨٤ ـ ٨٥ .
تردد ذكر الحيانة كقلعة شمال مدينة حائل انظر : حمد الجاسر ، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية شمال امارات حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات** ، (الرياض ، دار اليمامة ١٩٧٧) ص ٤٧٧ .

(١١٦) الشيخ يونس ابو هلال ، مقابلة سابقة الذكر .

(١١٧) سجل الوثائق ص١٦٤ ، سجل حصر الارث ص ٣٥ .

(١١٨) انظر الزركلي ، مصدر سابق ص١٠٢ .
الجاسر ، **معجم القبائل** ص ٢٥٢ .

(١١٩) حسن النسمة ، مقابلة سابقة .

(١٢٠) قد يكون أفراد هذه العشائر جاءوا مع هجرة قبيلة عنزة شمالا في القرن السابع عشر ميلادي بعد اندثار قبيلة الموالي وهذه الرواية تحتاج الى اسانيد .

علم التاريخ عند المسلمين وتطوره

في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

د. محمد رجائي ريـان
جامعة اليرموك

مقدمـة :

مما لا شك فيه ان القرن الثالث الهجري يعتبر خاتمة طور خاص بالنسبة لعلم التاريخ عند المسلمين ، وفي أواخره بلغ هذا العلم سن الرشد ، وخير من يمثله من المؤرخين الطبري (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م) ، ففي كتابه « تاريخ الرسل والملوك » بلغ التدوين التاريخي ذروته ، واعتمد المؤرخون عليه ، مثل مسكويه وابن الاثير وابن خلدون والذهبي .

ومن الملاحظ ان الجزء الاخير من تاريخ الطبري ينم عن ضعف في المادة وينذر بان اساليب المحدثين لم تعد كافية وحدها لكتابة التاريخ في الاسلام ، بعد ان تعقدت النظم الحكومية واصبح الكتاب ورجال البلاط والمتصلون برجال الحكم خير مصدر لكثير من الاخبار ، وهذا ما برز بوضوح في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

يعد القرن الرابع الهجري من الناحية السياسية بداية عصر الاضمحلال النهائي للخلافة لكنه ، من ناحية اخرى ، عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية، او النهضة الاسلامية كما سماه ، متز (Metz)(١) . فمن الناحية السياسية ، اصبحت خارطة الارض الاسلامية في القرن الرابع الهجري تضم مجموعة كبيرة من الدول الصغيرة ، وتضعضعت التبعية لمركز الدولة في بغداد بدخول عناصر بشرية جديدة في جسم الدولة الاسلامية ، فضعفت الخلافة وتدهورت سلطة الخلفاء(٢) ، واخذت الدول الاسلامية تبرز في ظل ضعف هذه الخلافة ، فدولة بني بويه سيطرت على العراق وفارس والري وهمذان واصفهان ، وعلى بغداد نفسها في عهد معز الدولة البويهي (٣٠٣هـ/٩١٥م ـ ٣٥٦هـ / ٩٦٧م)(٣) ، وسيطر الحمدانيون على الموصل ثم حلب وبرز سيف الدولة الحمداني (٣٣٣هـ/٩٤٤م ـ ٣٥٦/٩٦٧م) بعد أن تدهورت الدولة الاخشيدية في مصر ، كما ظهرت عدة دول في المشرق الاسلامي اهمها الدولة السامانية (٢٦١هـ/ ٨٧٤م ـ ٣٨٩هـ/٩٩٩م) ، والدولة الغزنوية (٣٥١هـ/٩٦٢م ـ ٥٨٢هـ/١١٨٦م)(٤)

دراسات تاريخية ، ٣٣ و ٣٤ ، ايلول ـ كانون الاول ١٩٨٩

في الغرب سادت الدولة الاموية في الاندلس ، خاصة في عهد عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠هـ/٩١٢م-٣٥٠هـ/٩٦١م)،ودولة الادارسة ، في اقصى الغرب الاسلامي. ثم برز الفاطميون في المهدية بتونس وتوسعوا نحو الغرب والشرق وازاحوا الاخشيديين وضموا مصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م) في عهد معز الدولة (٣٤١هـ/٩٥٢م - ٣٦٥/٩٧٥)(٥).

وبذلك فقدت الوحدة السياسية الاسلامية واصبح للمسلمين في وقت من الاوقات ثلاثة خلفاء ، عباسي في بغداد ، وفاطمي في مصر ، واموي في الاندلس ، وكان ذلك احدى السمات الرئيسة للقرن الرابع الهجري(٦) .

تاثر المؤرخون المسلمون بهذا التمزق ، واصبح المؤرخ محدودا بافق الكيان السياسي الذي يعيش فيه ، وندر منهم من تمكن من تناول احداث الاقاليم القاصية. كما اثر هذا التمزق في حياة المؤرخ الفكرية ، وترك بصماته على التاريخ عند المسلمين(٧) .

ومن ناحية اخرى كان علم التاريخ عند المسلمين ، ومنذ مطلع القرن الرابع الهجري ، قد بدا مسيرته العلمية المستقلة مسجلا طورا خاصا فيتلك المسيرة الحضارية ومتاثرا دون شك بنمو العلوم الاخرى، ففي هذا القرن تطورت المادة التاريخية وتاثرت بالنمو الحضاري وبحاجات السياسة والادارة ، واهتم الناس بالتدوين التاريخي واصبحوا يقبلون عليه كجزء من تلك الفعالية الواسعة التي شملت جميع نواحي الحياة وجميع فروع المعارف ، واصبح معظم المؤرخين يتجهون الى الكتابة التاريخية لتوفرهم على الدراسة ، ولم يكونوا يؤلفون تبعا لأمر القائمين بالحكم ، اذ لم يكن هناك مؤرخون رسميون متصلون بالخلفاء والامراء الا فيما ندر ، وذلك على الرغم من ان عددا من المؤرخين كانوا على صلة وثيقة بالحكومة ، ومن بينهم الوزراء والكتاب والقضاة(٨) .

وللاحاطة بعلم التاريخ عند المسلمين في القرن الرابع الهجري والتطور الذي حصل فيه يتحتم علينا التعرض لمؤرخيه من حيث اصولهم وتكوينهم العلمي واهتماماتهم الفكرية ، ومادته ، ومناهجه .

المؤرخون :

المفهوم القديم للتاريخ هو تسجيل اخبار الاحداث والناس ، ولذلك كان دوما بالضرورة على صلة بالاحداث السياسية واخبار الرجال ، تاثر بها اكثر من اي علم آخر . يقول ابن خلدون : « التاريخ اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرن الاول ، وكذلك الانبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم »(٩) ويقول الحافظ جلال الدين السيوطي ان موضوع التاريخ « احوال الاشخاص الماضية ومنهم الملوك والسلاطين »(١٠) .

كان علم التاريخ عند المسلمين ، أول الامر وخلال القرون الثلاثة الهجرية الاولى في خدمة الدين ، لأن البواعث الرئيسة التي شجعت المسلمين على العناية بتدوين التاريخ ، الرغبة في تزويد الخلف بتراث الاسلام ، والحماسة لاثبات صلة النسب بالرسول (عليه السلام) ثم الحرص على تمجيد الفتوح الاسلامية . لذلك اتصل التاريخ السياسي بالتاريخ الديني ولم يعن بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي . وتأثر المؤرخون بالظروف السياسية في القرون الهجرية الاولى . والطبري خير من يمثل المؤرخين في تلك المرحلة ، فاقتصر التاريخ على رجال علوم الدين بشكل كبير او اللغة على قلة .

ولكن منذ القرن الرابع الهجري اسهم في تدوين التاريخ مجموعات متنوعة من العلماء ضمت عمال الدواوين والكتاب ورجال البلاط والوزراء الذين اصبح لهم نتيجة لتطور النظام السياسي الاسلامي ،شان خاص ، فاطلعوا على دخائل الاحداث ،فاصبح تدوين التاريخ السياسي في الغالب مهمة هؤلاء الموظفين والمقربين من البلاط . لهذا استبعد المفهوم الديني ، الى حد ما ، وجنح التاريخ الحولي الى تركيز الاهتمام المتزايد باعمال الحاكم والحاشية(١١) .

ومن الامثلة على هؤلاء المؤرخين الذين اعطوا القرن الرابع الهجري هذه الميزة في التحول في علم التاريخ عند المسلمين: **الصابيء ، ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون** (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) . من الصابئة(١٢) ، كان ابوه هلال طبيبا ماهرا في خدمة توزون. وشب ابراهيم على دراسة العلوم التي سبقه عليها افراد من اسرته كانوا جميعا مهرة في الطب والفلك والرياضيات .

اصبح الصابيء كاتبا في ديوان الانشاء ، بارزا فيه ، ثم عينه معز الدولة البويهي كبيرا للكتاب في ديوان الانشاء عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م ، واحتفظ بمنصبه في ديوان الوزارة في عهد ولده عز الدولة ، وعندما قدم عضد الدولة ثم عز الدولة الى بغداد عام ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م ، كان من مهام ابراهيم تحرير اتفاق ودي يحدد مركز كل منهما ، لكن حدث أن سجن الصابيء عندما توفي عز الدولة(١٣) .

عرف عن الصابيء انه الف كتاب « **التاجي** » نسبة الى لقب عضد الدولة « تاج الملة »(١٤) . ويذكر مارجليوث Margoliouth انه توجد شذرات منه حفظت عند العتبي (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) في كتابه «اليميني» في تاريخ سبكتكين ومحمود الغزنوي، وعند الثعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) في كتابه «يتيمة الدهر فيمحاسن اهل العصر»(١٥)، كذلك نقل مسكويه في كتابه « تجارب الامم » كثيرا مما جاء في هذا الكتاب(١٦) .

والحقيقة ، يمكن اعتبار كتاب التاجي من امثلة كتب التاريخ ذات الطابع

الحكومي ، على أساس ان الصابيء كان وزيرا ، وعلى صلة وثيقة بالحكومة ، على الرغم من انه لم يكن راضيا عن ذلك بدليل ما قاله عندما دخل عليه صديق فسأله عما يفعل فقال « أباطيل انمقها وأكاذيب الفقها »(١٧) ، ويؤكد مارجليوث أن الصابيء وصف تاريخه هذا بأنه حزمة من الاكاذيب ، ولذلك تعرض لأنتقام عضد الدولة فاعتقله(١٨).

ومما يجدر ذكره ان أحد الباحثين(١٩) ، وجد قطعة صغيرة من التاجي مصورة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وقد جاء في مقدمتها : « هذا ما انتزع من الكتاب المعروف بالتاجي في اخبار الدولة الديلمية الذي الفه ابو اسحق ابراهيم بن هلال الكاتب الصابيء » ثم يذكر محقق المخطوطة أنه أضيف اليه بعض الاخبار من بعد عصر ابي هلال تتضمن الكلام على ائمة الزيدية فيطبرستان واليمن حتى القرن السادس الهجري تقريبا(٢٠) .

وتعتمد شهرة الصابيء ايضا على الرسائل أي الخطابات الرسمية ، التي وردت نماذج كثيرة منها في « يتيمة الدهر » للثعالبي و « ارشاد الاديب » لياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) و « صبح الاعشى » للقلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) ، وهي على جانب عظيم من الاهمية التاريخية ، تكمل معلوماتنا عن عهد ضعف الدولة(٢١) .

ويلاحظ المتتبع لأسلوبه الاثر الفارسي في كتاباته بابهامه واطنابه ، الا انه خلو من السجع ، واضح رائق اذا ما قورن بالنماذج المتأخرة من الكتابات التاريخية(٢٢)، كذلك وحسب راي مارجليوث ، يظهر في أسلوبه الفن الادبي(٢٣) .

المسبحي ، عز الملك محمد بن عبد الله بن احمد (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) ويلقب بالامير المختار والمعروف **بالمسبحي الكاتب** ، الحراني الاصل المصري المولد . كان على زي الاجناد ، ثم تولى ديوان الترتيب واتصل بخدمة الحاكم بأمر الله ، وكان اتصاله به سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م(٢٤) ، تلقى ثقافة ادبية علمية واسعة متعددة الجوانب وسمع الحديث في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م ، على الحافظ عبد الغني بن سعيد الازدي ، احد ائمة الحديث ، عندما جلس بالجامع العتيق بمصر(٢٥) .

للمسبحي مصنفات كثيرة ، بلغت نحو الثلاثين ، وهذا التراث الضخم لا نكاد نظفر منه في عصرنا بأثر تام او فصل تام . وقد اشتهر بالاخص بتاريخه الكبير **« اخبار مصر »** (٢٦) ، وهو يؤرخ للخمسين سنة الاولى من خلافة الفاطميين ، ويقع في نحو أربعين مجلدا يوجد منها مجلد واحد وهو الجزء الاربعون(٢٧) .

تدور حوادث الجزء الاكبر من الجزء الاربعين في مدينة الفسطاط حيث كان يقيم المسبحي وحيث اعتنى بتسجيل الحياة اليومية . فنجده يقول « في يوم السبت لعشر

بقي فيه جلس امير المؤمنين عليه السلام في مصر في قاع الذهب(٢٨)، بعد ان زين وبسط وعلقت فيه الستائر الديباج والستور المذهبة الحسان »(٢٩) .

وفي مكان آخر يقول « وفي يوم الاحد لليلة بقيت من صفر اخذ رجل يتصوف وقد قطع طرف سرج فضة لأحد الاتراك بمصر ، فقبض عليه سامي الدولة ابن كافي واحضره الشرطة وقرره ، فاقر انه لم يقطع من عمره غير طرفين احدهما حديد والآخر فضة وزنه خمسة دراهم »(٣٠) .

كذلك لم يقصر كتابه على الاحداث السياسية ، كعادة اقرانه من المؤرخين في ذلك العصر ، بل اهتم بتسجيل جوانب الحياة كافة في عصره : الاجتماعية والاقتصادية والادبية ، وهذا يجعل لكتابه اهمية خاصة ومميزة على معاصرية وساعده على ذلك صياغته لتاريخه في صورة يوميات أتاحت له الحديث عن طرائف الناس وحرفهم وطباعهم ، والتسامح الديني الذي تمتع به المسيحيون . ويشير ايضا الى الازمات الاقتصادية التي تعرض لها المصريون بسبب عدم توافر الغلات ، وهي معلومات هامة لا نجد لها مثيلا في المصادر الاخرى ، ومن الامثلة على ذلك قوله « في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت منهاشتد امر الغلاء والقحط بمصر وبيع الخبز السميد رطلين بدرهم وربع والخبز الخشكار رطلين بدرهم »(٣١) .

ولم يجعل المسبحي من كتابه تاريخا محليا ، بل ذكر في مواضع متفرقة من هذا الجزء الاربعين وفق ما يقتضيه نظام التاليف الحولي ، طبيعة علاقة مصر بجيرانها وخاصة الشام والحجاز(٣٢). كذلك فان هذا الجزء من اخبار مصر قدم معلومات وافرة عن احوال الدولة الفاطمية تنوه بقيمة كتاب المسبحي ، وتجعل منه مستقى خصبا لمؤرخي مصر الاسلامية حتى عصر متاخر جدا ، وصورة واضحة لعلاقة مصر بجيرانها.

واهم هؤلاء المؤرخين، **مسكويه، ابو علي ،احمد بن محمد بن يعقوب** (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) المؤرخ والفيلسوف ، كاتب سر المهلبي ابو محمد الحسن وزير معز الدولة البويهي ، اصبح بعد ذلك حظيا لابن العميد وابنه ابي الفتح اللذين وزرا لعضد الدولة (٣٣٨هـ/٩٤٩م ــ ٣٧٣/٩٨٣م) ، وصمصام الدولة (٣٧٢هـ/٩٨٢م ــ ٣٧٦هـ/٩٨٦م) البويهيين(٣٣) . فعاش في قصور الامراء والوزراء ،وخاصة بلاط عضد الدولة ، وتسلم مناصب متعددة ، منها انه اصبح خازنا للكتب عند الوزير المهلبي ، ثم قيما على خزانة كتب ابن العميد(٣٤) . ويذكر القفطي انه كان ايضا كاتبا وخازنا للكتب عند عضد الدولة فسمي بالخازن(٣٥) .

نشر كتابه « **تجارب الامم** » ، اميدروز Amedroz في ثلاثة اجزاء ، الاول ويحتوي على حوادث خمس وثلاثين سنة من ٢٩٥هـ/٩٠٧م الى ٣٢٩هـ/٩٤٠م ويبدا

بخلافة المتقي بالله ، والثاني ويحتوي على حوادث اربعين سنة من ٣٥٩هـ/٩٦٩م الى ٣٦٩هـ/٩٧٩م ، ويبدأ بخلافة المقتدر بالله ، والجزء الثالث ويحتوي على حوادث خمس وعشرين سنة من ٣٦٩هـ/٩٧٩م الى ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ، وهو ذيل لكتاب تجارب الامم للوزير أبي شجاع محمد بن الحسن الملقب ظهير الدين الروذ راوري، من ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م الى ٣٨٩هـ/٩٩٨م ، وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابي الكاتب الى سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م(٣٦) .

يعتبر مارجليوث ان الكتابة التاريخية بلغت عند مسكويه ، بالنسبة للمؤرخين المسلمين ، ذروتها في هذا الكتاب(٣٧) . اما بارنز فقد أشار الى ان مسكويه تميز في هذا الكتاب بالبصيرة التاريخية او الحس التاريخي ، بالرغم من تأكيده بانه لم يصل الى مستوى ابن خلدون في فلسفة التاريخ(٣٨) .

يتصف مسكويه في « تجارب الامم » كمؤرخ ، بصدق الاحكام والبعد عن الهوى والصراحة حتى فيما يقوله عن أعظم حكام المسلمين ، فهو لم يتزلف الى هؤلاء الحكام ولم يحابهم ، بل ذكر ما انتبه اليه من نقائص بعضهم ، وقد أعجب مارجليوث بموقفه هذا ، اذ لم يجد اثرا للتحيز في كتابه حيث روى أخبار مؤسسي دولة البويهيين دون اية محاولة لاخفاء جرائمهم ، ووصمهم باتهام فظيع في حالة معز الدولة ، وجعل من ابي الهيجاء ما يشبه البطل وهو من بني حمدان الذين كانوا على عداء دائم للبويهيين(٣٩).

كذلك اعتبر كتاب « تجارب الامم » مصدرا جديرا بالثقة في أغلب الاحيان ، لأن مسكويه اعتمد فيه على الطبري الى درجة كبيرة في الحوادث التي لم يدركها ، ثم جمع باقي المعلومات من مصادرها ، لانه كان على اتصال بتلك الشخصيات التي صحبت الاحداث ، ونتيجة لمناصبه التي تقلدها في البلاط البويهي كان ايضا على اطلاع على اساليب الحرب والادارة . وتعليقاته على المسائل الحربية ، مثل اسباب سقوط المهلبي واخطاء بختيار في حربه مع عضد الدولة اكبر دليل على ذلك ؛ هذا في الوقت الذي اظهر أيضا عجز سيف الدولة ولم يخف هزيمته احيانا مع البيزنطيين ، مع ان سيف الدولة كان يعتبر بطلا دينيا كبيرا يشاد به في حروبه مع البيزنطيين(٤١). ويمكن القول ان مسكويه في كتابه قد جعل من التدابير السياسية لب التاريخ ، واهل السياسة هم المعنيون بالتاريخ في المكان الاول .

ويظهر في القرن الرابع الهجري عدد من المؤرخين كانوا أصحاب مهن حرة او قاموا بأعمال مهنية صغيرة . مثالنا على النوع الاول المؤرخ **سعيد بن البطريق** وهو الاسم العربي **ليوتخيوس** (Eutychius)بطريق الاسكندرية سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م-٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) . ولد سعيد في الفسطاط عام (٢٦٣هـ/٨٧٦م)(٤٢) . وكان في الاصل طبيبا نصرانيا له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم ، وله كتاب في الطب(٤٣) . كذلك له كتاب

« **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق** » ، وهو تاريخ طويل مكتوب بالعربية ، بدأ فيه المؤلف من عهد آدم حتى سني الهجرة على طريقة التاريخ الحولي . والكتاب يتضمن عرضا لتواريخ ما قبل الاسلام من وجهة نظر المؤلف المسيحية ، مثل بني اسرائيل والاغريق والرومان والنصارى والروم والفرس ، وينعكس اهتمامه بالمسائل الدينية في مناقشته للمانوية والنساطرة واشاراته الى الاحداث الهامة في تاريخ الكنيسة(٤٤) ، ويذكر روزنثال أن كتاب سعيد بن البطريق يستند بعضه الى المصادر الاسلامية ، غير انه يستمد معلوماته الهامة من المصادر البيزنطية(٤٥) .

وقد أكمل يحيى بن سعيد الانطاكي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) كتاب ابن البطريق بعد أن مضى ما يقرب من قرن على تأليفه ووضع له عنوان « صلة كتاب سعيد بن البطريق » واتبع فيه منهجه التاريخي ، ويبدو من كتابته أكثر وعيا من سعيد بن البطريق في تفهم التاريخ العام العالمي ، وقد نشره الاب لويس شيخو في بيروت عام ١٩٠٩(٤٦) . ويذكر على ابراهيم حسن أن الكتاب الذي اخرجه يحيى بن سعيد الانطاكي سماه « تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي » وهذا الكتاب هو ذيل لكتاب آخر لسعيد بن البطريق « نظم الجوهر » ، جمع فيه يحيى بطاركة الاسكندرية وبيت المقدس وانطاكية والقسطنطينية والخلفاء والملوك والسلاطين وسيرهم ، من ٣٢٦هـ/٩٣٧م الى ٤٥هـ/١٠٥٣م(٤٧) .

وعلى النوع الثاني نأخذ **ابن النديم محمد بن اسحق الوراق البغدادي**(ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م) في كتابه « الفهرست » وهو ابن تاجر كتب في بغداد ، صحب اباه في شؤون تتعلق بتجارة الكتب فزار الموصل مرارا(٤٨). وفي عام ٣٧٧هـ/٩٨٧م فكر ابن النديم في وضع مصنف من اجل الوراقين ومحبي الكتب واتخذ له غاية معينة ذكرها في مقدمته فقال : « هذا فهرست كتب جميع الامم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وعلمها في اصناف العلوم واخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وانسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ اعمارهم واوقات وفاتهم واماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا وهو سنة ٣٧٧ للهجرة »(٤٩) . وبذلك يعطينا ابن النديم مفهوما للثقافة العربية الاسلامية بأنها تشتمل على كل العلوم والفنون التي ظهرت مكتوبة باللغة العربية سواء كان ذلك عن طريق النقل أم التأليف .

وبعد المقدمة ينتقل ابن النديم الى تصنيف هذه العلوم التي تجمعت عنده معلومات عنها فيجعلها في عشر مقالات ، ثم تفرع كل مقالة الى فنون يختلف عددها حسب سعة المجال الثقافي الذي يتناوله في المقالة(٥٠) ، والحقيقة فقد احاط بما كتب في هذه الفنون والتي شملت الثقافة العربية الاسلامية في القرون الاربعة الاولى للهجرة. واذا كان ابن النديم قد اغفل بعض الفنون ، فهو لم ينس أن يذكرها من خلال عرض

التراجم ، فخلال بحثه في مقالته الثانية في النحو واللغة مثلا ، نرى اشارات لبدايات بعض العلوم كالجغرافية والنبات والحيوان ، ارتبطت بمحاولات جمع اللغة العربية ، واسورا شبيهة بذلك في المقالات الاخرى(٥١) . كذلك فان ما خلفه لنا من تراجم الاشخاص نزر يسير اذ انه لم يلق بالا الى المؤلفين بقدر ما حصر اهتمامه في مصنفاتهم ، وهو المجال الذي برزت فيه مقدرته بحق ، فلم يكن ابن النديم من اصحاب السير بل من جامعي اسماء المصنفات في فروع العلوم المختلفة(٥٢) .

وحقيقة الامر ان صاحب الفهرست كان على احاطة تامة بفروع العلوم المختلفة ، فهو يقدم لكل من مقالاته بلمحة عن نشوء العلم وأقسامه وفنونه ، لذلك يمكن القول « بأن هذا الكتاب سيبقى على الدوام المصدر الرئيسي لمعرفة الادب والعلم في القرون الاربعة الاولى للاسلام »(٥٣) .

واستكمالا لهذا الجانب من موضوع مؤرخي القرن الرابع ، فقد اصبح التاريخ عند بعض العلماء في هذا القرن هو نشاطهم الفكري الوحيد ، وبحثهم منصب على المواضيع الفكرية مثل**ابن زولاق الحسن بن ابراهيم بن الحسين**(ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)(٥٤). وهو مؤرخ مصري ، عاش في مصر في زمن شهد فترات متعاقبة من الاضطراب وتحول السلطان ، فغلب عليها بنو الاخشيد حينا بعد افول الدولة الطولونية ، ثم افتتحها الفاطميون وبنوا القاهرة واتخذوها مركزا لخلافتهم ودعوتهم ، وقد شهد ابن زولاق هذا الانقلاب فجعله موضعا لمباحثه ودراساته التاريخية ، وقد ساعده على هذا ايضا انه نشأ في معهد العلم والدرس ، فكان جده الحسن بن علي من مشاهير العلماء ،وكان من اسرته ايضا محمد بن زولاق احد اقطاب العربية في عصره ، ودرس الفقه على ابي بكر بن الحداد والرواية التاريخية على ابي عمر الكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) وهو مؤرخ مصري ايضا(٥٥) . اختار ابن زولاق ان يكون مؤرخ المرحلة التي شهدها من تاريخمصر الاسلامية ، فاستحق أن يطلقعليه كراتشكوفسكي مؤرخ العهد الفاطمي(٥٦).

لم يصلنا كاملا من آثاره غير رسالة ادبية في اخبار سيبويه المصري لا علاقة لها بمجهوده التاريخي . على اننا تلقينا مع ذلك على يد بعض المؤرخين المتأخرين قطعا وشذورا كثيرة من آثاره التاريخية منها ما لا يقل كثيرا عن الاصل وفيها ما يكفي للاحاطة بمجهود ابن زولاق التاريخي(٥٧) . ويمكن تقسيم هذا المجهود الى قسمين ، احدهما يتناول مصر بشكل عام ، والآخر يتعلق بتاريخ مصر بشكل خاص .

والقسم العام يشمل كتبا ثلاثة وهي : كتاب « **خطط مصر** » و « **تاريخ مصر** » وكتاب « **فضائل مصر** »(٥٨). والاخير مخطوطة موجودة بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ١٨١٧ ، استقصى فيه مؤلفه خطط الفسطاط والعسكر والقطائع ، وهو اول

مؤرخ لخطط القاهرة المصرية ، شهد قيامها قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة . وانتهى هذا الكتاب بسنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م . وقد اكمل هذه المخطوطة احد الاتراك ابتداء من سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م وما تلاها من السنين ، ويظهر انه ادخل على الكتاب الذي وضعه ابن زولاق معلومات استقاها من المؤرخين المتأخرين أمثال القضاعي وابي الفرج وابن الجوزي والذهبي(٥٩) .

أما « **تاريخ مصر** » فتوجد منه رسالة مخطوطة في جوتا تنسب الى ابن زولاق تتناول تاريخ مصر حتى ٤٩هـ/٦٦٩م ، وقد عني المستشرق جوتهيل ببحث هذه الرسالة وتحليلها(٦٠) .

اما كتاب « **خطط مصر** » ، الذي يذكره ابن خلكان ، فقد تناول فيه ابن زولاق قيام الفسطاط وتوزيع مناطقها بين القبائل وانشاء معاهدها الاولى ، كما تناول خطط العسكر ثم خطط القطائع ، وقد ذكر هذه الخطط بالاضافة الى ابن خلكان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)(٦١).

أما القسم الخاص من تراث ابن زولاق ، فقد انتهى الينا منه قسم لا بأس به على يد المتأخرين ، مثل سيرة الاخشيد ، وسيرة المعز لدين الله ، وهي حلقات متصلة في اخبار العصر الذي عاش فيه ابن زولاق ، وسيرة الاخشيد محمد بن طغج كتبها ابن زولاق بطلب من ابن الاخشيد ابي الحسن علي بن الاخشيد(٦٢) . وامدنا في الوقت نفسه بمعلومات صحيحة عن تاريخ الصدر الاول من قيام الفاطميين الى سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م ، وقد نقل معظم هذه السيرة في كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد الاندلسي المتوفي بدمشق ٦٧٣هـ/١٢٧٥م ، والذي خصت مصر فيه بقسم في منتهى الاهمية يقوم معظمه على النقل من المؤرخين المصريين انفسهم وقد تناول الجزء الرابع منه تاريخ دولة بني الاخشيد وسمي كتاب « العيون الدعج فيحلى دولة بني طغج»(٦٣).

والحقيقة انه عند مراجعتنا لكتاب « المغرب في حلى المغرب » نشعر اننا حصلنا على كتاب ابن زولاق جميعه تقريبا ، من حيث الديباجة ونشأة الاخشيد وتتبع حياته مرحلة مرحلة ، وظروف تقلبه على مصر واعماله وحروبه مفصلة حتى وفاته ، كل ذلك وعن طريق اتصال بن زولاق برجال الدولة . ويمكن اعتبار هذا الكتاب رسميا ، خص الاخشيد ببعض المديح ، ولكن عند تتبع ما جاء هذه السيرة نجد امورا فيها تجرد ، وفيها منطق احداث تعبر عن نقد للأخشيد . ومن ناحية أخرى فان اهمية سيرة الاخشيد لابن زولاق تعود الى انه عرض فيه لأحداث شهدها او عاصرها او قريبة العهد به جدا ، مما يجعله مصدرا أصيلا يجب الاعتماد عليه ، مع مراعاة قواعد البحث العلمي من حيث المصادر والروايات .

وتبقى سيرة المعز لدين الله أهم آثار ابن زولاق التاريخية ، وهذا أمر طبيعي ، فقد شهد ابن زولاق ولادة العهد الفاطمي في مصر ، فحري به أن يكتب تاريخ هذا العهد بتغيراته وتقلباته ، وسيرة المعز لدين الله تمثل ذروة التغيير في أوضاع مصر السياسية والدينية . ونشير هنا ان هذه السيرة وصلتنا على يد المقريزي أجزاء عديدة منها(٦٤)، ومن هذه الاجزاء المتناثرة في كتب المقريزي تظهر لنا سيرة المعز المليئة بالحوادث والتفاصيل ، وما أوجده النظام الفاطمي في مصر من انظمة ورسوم وتقاليد سياسية واقتصادية واجتماعية .

اتبع ابن زولاق في كتابه أسلوب تسلسل العنصر الزمني مرتبا على الايام والشهور ، وهو بذلك استعمل حوادث العصر مرتبة حسب تاريخها وعن طريق استقصاء كل الحوادث خلال فترات زمنية متقاربة . ويمكن أن يقال ان ابن زولاق اتجه نحو التخصص في مجهوده التاريخي فقد تناول في تاريخ مصر عبر دول العصر التي عاش فيه في توسع وبعد عن الايجاز ولذلك عد في نظر الكثيرين أول مؤرخ مصري آثر التخصيص على التعميم ، كذلك امتاز مجهوده بالتحرر من كثير من قيود الرواية والاسناد واعتمد على المشاهدة والتحقيقات الخاصة وجعلها مصادره الحقيقية : في الوقت الذي لم تظهر على كتاباته ما يفيد التشيع أو التحامل ، فهو رواية ينقل ما سمع وشاهد وحقق عن طريق صلاته وعلاقته بشخصيات مصر التي عاصرها ، فجعل الرواية التاريخية وكأنها تدخل في مرحلة جديدة من الدقة وحسن العرض .

المادة التاريخية وتطورها :

في القرن الرابع الهجري ، تنوعت المادة التاريخية وتعددت مواضيعها ويعود ذلك لتأثر التاريخ بالحاجات السياسية والادارية لهذا القرن ، ولبلوغ هذا القرن أوج تطوره وفاعليته الحضارية ؛ مما ادى الى تأثر علم التاريخ بالعلوم الاخرى وجعل له ثروة كبيرة من المعلومات ، فظهرت في هذا القرن كتب تتحدث عن الوزراء والكتاب والقضاة والولاة ، نعرض لأمثلة عنها :

كتاب « **الوزراء والكتاب** » للجهشياري محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي (ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) مؤرخ نشأ في بغداد وكان حاجبا بعد أبيه للوزير علي بن عيسى ، ثم للوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر بالله ٢٩٥هـ / ٩٠٨م ـ ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) وولي امارة الحج العراقي(٦٥) .

يتحدث الجهشياري في كتابه(٦٦) ، عن الكتاب فيذكر ان عبد الحميد الكاتب حدد في رسالته مكانة الكتّاب ، من حيث صناعتهم التي يعتاشون بها ، ومكانهم في المجتمع يأتي بعد الملوك مباشرة ، لأنهم أصحاب أشرف صناعة ، بهم ينتظم الملك وتستقيم

للملوك أمورهم وتدبيرهم وسياستهم يصلح سلطانهم وتعمر بلادهم ، كما يتحدث في الكتاب عن دواوين الخراج وعلى أساس أنها في عهد عمر بن الخطاب كانت تدون بلغات الولايات التي كانت سائدة قبل الفتح وكتابها من أبناء الولايات من غير العرب(٦٧) . ويشير الجهشياري أن عملية تعريب سجلات دواوين الخراج في العراق والشام ومصر اكتملت أيام هشام بن عبد الملك ، وكان أغلب المتدربين من أبناء الكتّاب الذين في خدمة الدولة ، فبعد تعريب الديوان في العراق على يد صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج ابن يوسف الثقفي ، تتلمذ على يديه عدد من الكتاب الذين تولوا الدواوين في العراق حتى نهاية الدولة الاموية(٦٨) . أما ما جاء فيه من أخبار الوزراء فقد وقف فيه عند ابي احمد العباس بن الحسن والذي وزر للمكتفي (٢٩٠هـ/٩٠٢م ـ ٢٩٦هـ/٩٠٨م) والمقتدر ، وقتل عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م .

والحقيقة أن كتاب الجهشياري جاء كنمط يجمع بين التاريخ والسيرة ، وأصبح يعرف بتاريخ الاشخاص . لكنه في نفس الوقت يعتبر من أهم مصادر المؤرخين عن تاريخ الكتاب والوزراء منذ عهد النبي (صلعم) حتى السنة التي توقف عندها سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م ، وقد نقل عنه ياقوت والصفدي وابن خلكان ، كما استفاد منه المستشرقون في حديثهم عن المراحل التاريخية التي مرت بها وظيفة الكتاب الوزراء من الناحية السياسية خاصة فرانز روزنثال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين .

كتاب « **الوزراء** » أو « **تحفة الامراء في تاريخ الوزراء** »(٦٩) لهلال بن المحسن بن زهرون الصابي (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وهو حفيد أبي اسحاق الصابي صاحب كتاب التاجي والرسائل المشهورة وقد سبق ذكره . كان ابوه المحسن صابئيا على دين جده ابراهيم فأسلم هلال في آخر عمره وحسن اسلامه وكان أول من دخل الاسلام من آل زهرون(٧٠) ، تلقى العلم على اشهر العلماء وهو صغير ، وناب عن جده أبي اسحق ابراهيم بن هلال في تولي ديوان الانشاء كما تولى الكتابة لفخر الملك محمد خلف(٧١) ، وعاش فترة هامة في حياته في بغداد فعاصر أحداثها وعرف أخبارها . ومن خلال هذه الحياة الحافلة كتب كتابه السالف الذكر او ذيل على ما كتبه ثابت بن سنان(٧٢) وهذا ما يؤكده مارجليوث أيضا(٧٣) . فأكمل بكتابه هذا ما انتهى اليه الجهشياري في تأليفه للوزراء والكتاب اذ وقف عند نهاية العباس بن الحسن في مطلع خلافة المقتدر (٢٩٥هـ ـ ٣٢٠هـ / ٩٠٨م ـ ٩٣٢م)(٧٤) .

وكتاب « الوزراء » لهلال بن المحسن يشتمل على أسرار تاريخية نادرة وحقائق تدعو الى العظة والاعتبار توضح ما كانت عليه الحال في خلافة المقتدر وما سبقها ، ويتعرض للأنظمة التي كانت تسير عليها الدولة العباسية وانواع الرقي في الدواوين والدقة في نظام المراسيم واثباتها والتوقيع عليها ، وحفظها في ملفات ، وما كان يتبع في

أمور المخاطبات والمكاتبات الصادرة والواردة ، والحقائق التاريخية المريرة القاسية وكيف كانت تحاك المؤامرات والدسائس وما كان ينفق في سبيل الوصول الى المناصب .

وتأتي اهمية هذا الكتاب من المصادر التي اتيحت لهلال بن المحسن في تأليفه كتابه جعلته ثقة فيما يروي . وأول ذلك صفته الرسمية في الدولة التي يسرت له الاطلاع على الوثائق الرسمية ، والامر الثاني اطلاعه على تاريخ ثابت بن سنان خال جده (ارخ ثابت في أواخر القرن الثالث الهجري الى سنة ٣٦٠هـ وهي فترة عاصرها أو لقي معاصريها) ، والامر الثالث ما رواه أو نقله عن بعض معاصريه وخاصة القاضي التنوخي أبي علي المحسن (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) والاطلاع على كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري وتلقيه عن طريق السند والرواية اخبار عن اناس اتصلوا بالدواوين ، وخالطوا الحاكمين .

وهلال لا يسير حسب التسلسل التاريخي بل يتناول الوزير الاول ثم وزارته الى ان يستوفيها ، تاركا ما تخلل عزله ، ويأتي بعد ذلك بأخبار منثورة للوزير فيها طرائف ونوادر ، فيبدأ بعلي بن محمد بن موسى الفرات فيقول في مقدمة كتابه « نحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، لأنه تلى ابا احمد العباس ابن الحسن ونجعل ذكر وزرائه الثلاث متصلا غير منقطع ومجتمعا غير متقطع ، ونجري على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم اذا كان العرض سياقة اخبارهم ومجاري أمورهم الى غاية مددهم وانقضاء ايامهم لا ترتيب خلفائهم وامرائهم واوقاتهم وأزمانهم »(٧٥) .

كتاب **ولاة مصر او امرائها وتاريخ قضاة مصر** (٧٦) ، لمحمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) . مؤرخ مصري من بني كندة ، ولد في فسطاط مصر وتوفي فيها ، نشأ في بيئة علمية فدرس الحديث والسنة على اكابر عصره ومنهم ابو عبد الرحمن النسائي(٧٧) المحدث المشهور ، وابن قديد الازدي(٧٨) . عرف بأنه كان من اعلم الناس بتاريخ مصر واهلها واعمالها وثغورها .

والموضوعان اللذان يشتمل عليهما الكتاب مستقلان ، يكون كل منهما بذاته كتابا خاصا ، فالكتاب الاول ، ويعرف بـ « ولاة مصر » وهو العنوان الذي اثبتته المخطوطة التي وصلت الينا(٧٩) ، يتناول تعداد الولاة ، دون تمهيد ولا مقدمة ، فبدأ بولاية أبي عبد الله عمرو بن العاص مقرونة بنبذة عن فتح مصر ، ثم الوالي عبد الله بن سعد ، ويستمر بذكر الولاة متعاقبين واهم اعمالهم وبخاصة الفتوح في عهودهم ، ومن ولي الشرطة في عهد كل منهم وما وقع في ايامهم من الحروب والقلاقل(٨٠) . واسلوبه يتبع الايجاز في ايراد الحوادث حتى نهاية الدولة الاموية ، الا انه يزيد في تفصيلها عندما يدخل في العهد العباسي وعهد بني طولون ، كذلك يستعمل أسلوب الرواية والاسناد

في الاجزاء الاولى من كتابه ، ثم يترك ذلك خاصة في بداية القرن الثاني للهجرة ، فيتحرر من الاسناد ويروي الحوادث بطريق مباشر .

وجملة القول في قيمة كتاب ولاة مصر انه يمدنا بمعلومات عن تاريخ مصر لا نجدها في موسوعاتنا التاريخية كتاريخ الطبري والكامل لابن الاثير ، وتكتفي الكتب المختصة بتاريخ مصر كالنجوم الزاهرة بالاشارة العابرة اليها . كما ان المعلومات التي جاءت في الكتاب والتي تناولت مصر من ناحية معينة هي نوع من التاريخ الاداري ، انفرد الكندي في معالجته ، في وقت اهمل مؤرخون آخرون هذا الجانب من تاريخ مصر بشكل عام .

اما كتاب « **قضاة مصر** » فيتناول تاريخ القضاة الذين تولوا قضاء مصر منذ الفتح الى منتصف القرن الثالث (سنة ٢٤٦هـ) ، وله اهمية خاصة ، لا بما يورد من ذكر للقضاة الذين تعاقبوا على قضاء مصر في عصور الاسلام الاولى ، لكن بما يحتويه من تفاصيل صور ووثائق غريبة عن احوال القضاة ونظم القضاء(٨١) . وعن نظم القضاء الاسلامي وسيره .

وبشكل عام فان تراث الكندي الذي وصل الينا يكون في مجموعه حلقة فريدة في تاريخ مصر الاسلامية ، تكاد تنفرد بالقاء الضوء على تاريخ مصر خلال القرن الثالث ولا سيما في العصر الذي ادركه الكندي حتى قيام الدولة الاخشيدية ، متناولا خواص المجتمع والتفاصيل التي تمثل روح هذا العصر ، معتمدا في ذلك على الوثائق التاريخية ، وبعضها وثائق رسمية .

ومما يجدر ذكره ان هذا التعدد في فنون التاريخ التي احاطت بمادته ، كان نتيجة تاثيرات معينة اجتمعت مع بعضها في القرن الرابع الهجري ، كما كان للعلوم الاخرى التي تطورت تطورا هائلا في هذا القرن تاثير واضح على المادة التاريخية ، اذ وجد فيها المؤرخون ، من فلسفة ومنطق وجغرافية ، مادة جديدة يمكن الافادة منها في التاريخ. فالفلسفة كان بامكانها ان تكون اقدر من كل العلوم على الاجابة عن مشكلات التاريخ الكبرى ، غير ان المؤرخين المسلمين لم يستخدموها بشكل فقال لهذا الغرض اذ شغلت اذهانهم مسالة اساسية وهي مدى الثقة بالاخبار التاريخية وعلاقتهما بالحقيقة ، وبذلك فانهم في ابحاثهم التاريخية لم يجعلوها موضوعا لمناقشة نظرية .

غير ان ادق محاولة لاخضاع التاريخ للفلسفة من الناحية الظاهرية على الاقل هي التي قام بها **المطهر بن طاهر المقدسي** (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م)(٨٢) في كتابه « **البدء والتاريخ** » . وكان من المعروف ان هذا الكتاب من تاليف ابي زيد احمد بن سهل البلخي(٨٣) لكن تحقيق المستشرق كليمان هوار (Huart) دل على ان المقدسي هو مصنف ذلك الكتاب ، على اساس ان البلخي توفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م ، وقد وضعه

سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م لأحد وزراء السامانيين وحيث كان يعيش بمدينة بست بسجستان(٨٤) .

وفي طبعة هوار الذي كشف عن مخطوطة اسطنبول عام ١٨٧٧م ونشرها في الفترة بين ١٨٩٩ و ١٩١٩ مع ترجمة فرنسية في ست اجزاء ضخمة ، وفي النسخة العربية ، ينقسم الكتاب الى اثنين وعشرين فصلا تتفاوت من حيث الحجم والاهمية ، وفي كل فصل أبواب واذكار من جنس ما يدل عليه والفصل الاول يبدأ على هيئة مقدمة تعالج مناهج المعرفة وحدودها وينتهي (الفصول ٢٠ – ٢٢) بتاريخ الخلافة الى عام ٣٥٠هـ/ ٩٦٠م ، أي خلافة المطيع العباسي(٨٥) .

وكتاب البدء والتاريخ هو عبارة عن بحث نظري عن المعرفة والعقل ويتجلى فيه استهداف المؤلف النظر الى الكون وتاريخه بمنظار الفلسفة ، كما يؤكد الكتاب على بعض الموضوعات كصفات الخالق والاهمية الثقافية والفلسفية للأديان القديمة والخلافات في العقائد بين مختلف الفرق الاسلامية ، ويحاول المقدسي أن يقدم في الكتاب معلومات علمية وفلسفية كلما أمكن ذلك(٨٦) . والملاحظات الفلسفية فيه متناثرة هنا وهناك ، ومع ذلك فان محاولة المقدسي ايجاد اتحاد بين الفلسفة والتاريخ كانت رغبة صحيحة قل أن نجد مثلها عند من تلاه من المؤرخين المسلمين . ويمكن القول ان كتاب البدء والتاريخ الف من وجهة نظر فلسفية(٨٧) .

أما الجغرافية فقد اسهمت بدورها في تطور المادة التاريخية في القرن الرابع الهجري، الذي كان قرن الجغرافية كما كان قرن التاريخ . فقد بلغ عدد الرحالة في هذا القرن حدا كبيرا ، ومعلوماتهم نفذت الى المؤرخين ، فظهر جيل من المؤرخين الجغرافيين ، لأن هؤلاء الرحالة كانوا يحرصون على تدوين مشاهداتهم وتسجيل اخبار رحلاتهم واسفارهم ويصفون ما عاينوه من مظاهر الحضارة كالمنتجات الزراعية والصناعات والتجارة ، كما أن بعضهم وصف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الاقطار المختلفة التي مروا بها ، ودمجوا مشاهداتهم فيما الفوه من كتب تاريخية أو جغرافية(٨٨) .

من هؤلاء الذين اثروا بمن جاء بعدهم من المؤرخين الجغرافيين في القرن الرابع الهجري **احمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان** ، الذي يحتل المكانة الاولى بين الرحالة سواء من الناحية الزمنية او الاهمية الذاتية برسالته المشهورة(٨٩) ، التي كتبها عن رحلته الى البلغار(٩٠) .

لم يكن ابن فضلان عربي الاصل ، بل من موالي فاتح مصر محمد بن سليمان ، الذي أفلح في هزيمة الدولة الطولونية واعادة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية في ٢٩٢هـ/٩٠٥م ، ثم أصبح من موالي الخليفة المقتدر العباسي(٩١) . وكان على ثقافة

دينية وادب رفيع وخلق ، اشتهر باشتراكه في تلك السفارة التي انفذها الخليفة المقتدر بالله العباسي في سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م الى البلغار باقليم الفولجا ، وذلك بعد أن اسلم ملكهم وكتب الى الخليفة يسأله أن يبعث من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الاسلام ويبني له مسجدا وينصب له منبرا ليقيم عليه الدعوة في جميع اقطار مملكته، ويساله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له(٩٢) .

كانت السفارة الى بلاد البلغار برئاسة سوسن الرسي ، وبين اعضائها ابن فضلان كفقيه ذي خبرة وهب نفسه لنشر الاسلام ، أي انه كان الخبير الديني في السفارة بينما كان الرسي مندوب الخليفة لبحث الامور السياسية والحربية . ويحاول ابن فضلان في رسالته ان ينسب لنفسه الدور الرئيسي(٩٣) . غادرت السفارة بغداد في الحادي عشر من المحرم عام ٣١٠هـ/١٢ ايار (مايو) ٩٢٢م ومرت في طريقها بهمدان والري ونيسابور ومرو وبخارى حيث التقى ابن فضلان في سبتمبر (ايلول) عام ٩٢١م/٣٠٩ هـ بوزير السامانيين والعالم الجغرافي الشهير الجيهاني(٩٤) . ثم ساروا مع نهر جيحون الى خوارزم عند بحر آرال ومروا بصحراء أوست أورت ثم نهر يايقي حتى حوض الفولجا ، أما خط سير الرجعة ، فغير معروف لأن خاتمة الرسالة امتدت اليها يد الضياع(٩٥) .

قدم ابن فضلان في رسالته صورة حية للظروف السياسية في العالم الاسلامي ، والعلاقات بين بلاد الاسلام والبلاد المتاخمة في آسيا الوسطى ، والاصقاع النائية مثل حوض الفولجا ، وذكر عددا من القبائل التركية البدوية القاطنة آسيا الوسطى ، فهو يصف مثالا على ذلك قبيلة من الاتراك يعرفون بالغزية « بانهم بادية لهم بيوت شعر يحلون ويرتحلون ، ترى منهم الابيات في مكان ، ومثلها في مكان آخر على عمل البادية وتنقلهم واذا هم في شقاء »(٩٦) . وتحدث عن الروس والخزر وابرز بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية عندهما والعلاقات بينهما . وصور العادات والتقاليد والحياة والاخلاق في ذلك العصر في مختلف المناطق التي مر بها .

استعمل ابن فضلان اسلوبا قصصيا سلسا ولغة حية مصورة ، لا تخلو كما يقول كراتشوفسكي احيانا من بعض الدعابة التي ربما لم تكن مقصودة . كما تميزت كتابته بالوصف الدقيق والشامل مما جعل لهذه الرسالة قيمة علمية جعلت صاحبها شاهد معاين ، فكان مرجعا اساسيا للمؤرخين الجغرافيين وخاصة المسعودي والاصطخري وياقوت الحموي(٩٧) .

ومن ناحية اخرى فان تاثير نمو علم الجغرافية في عالم التاريخ عند المسلمين ، ترك بصماته على اثنين من مؤرخي القرن الرابع الهجري بشكل خاص وهما **الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب** (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) ويعرف **بابن الحائك الهمداني** ، من

بني همدان ، ولد ونشأ بصنعاء وأقام على مقربة منها في بلدة ريدة ، طاف البلاد واستقر بمكة زمنا ، وكانت من اعظم مراكز العلم في ذلك العهد ، فتفتحت له آفاق المعرفة ثم عاد الى اليمن فأقام في مدينة صعدة وكانت قاعدة ائمة الزيدية ، واليمن في ذلك العهد تتنازعها تيارات سياسية متعددة(٩٨).

وفي المجال الذي نبحث فيه،وهو عملية المزج بين التاريخ والجغرافية في القرن الرابع الهجري ، الناجم عن تجميع المادة التاريخية والوثائق الرسمية الناتجة عن اتساع مجال الاسفار وعمق الملاحظة واخضاع المادة لصياغة منظمة ، وفي هذا المجال يهمنا الهمداني في مصنفين اشتهر بهما «**صفة جزيرة العرب**» و «**الاكليل**» ، فصفة جزيرة العرب يعتبره اشبرنجر (Sprenger) الى جانب كتاب محمد بن احمد المقدسي الذي ولد في بيت المقدس في عام ٣٣٥هـ/٩٤٨م ، «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » أقيم ما انتجه العرب في الجغرافية(٩٩) .

طبع كتاب « صفة جزيرة العرب » في مطبعة بريل في ليدن (هولندة) سنة ١٨٨٤ في مجلدين يحوي الاول الكتاب وفهارسه ، والثاني تعلقيات عليه ودراسات عن نسخه وذكر اختلافها . ومقارنة بما في معجم البلدان ومعجم ما استعجم وغيرهما ، بتحقيق د. هـ. مولر (D. H. Muller) ١٨٤٦ ــ ١٩١٢م ، وقام الشيخ محمد ابن عبد الله بن بهليد باعادة طبعه في سنة ١٩٥٣م في مطبعة السعادة بمصر ، واخيرا قام محمد بن علي الاكوع الحوالي باعادة تحقيق الكتاب ونشره(١٠٠) .

يبدأ الهمداني كتابه بمقدمة رياضية جغرافية فيها ذكر المذاهب المختلفة لتحديد الاطوال والعروض ، اما القسم الاساسي فقد كرسه لوصف جزيرة العرب ، ويضم خمسة ابواب رئيسة في وصف تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن . وتحتل اليمن مكان الصدارة في الكتاب ، مع تفصيلات على مساكن قبيلة همدان ، في حين لا تظفر الاقاليم الاخرى الا باشارات عابرة .

اما مصنفه الثاني « الاكليل » فيقع في عشرة اجزاء ، والى عهد قريب لم يعرف منه سوى الجزئين الثامن والتاسع والعاشر وذلك بفضل ابحاث مولر (Muller) وقد نشر الآن وترجم الجزء الثامن بفضل مجهودات العلماء العرب ببغداد وامريكا ، اما الجزء الاول والثاني فقد كشف عنهما منذ وقت غير بعيد ببرلين المستشرق السويدي لوفجرين (Lofgren) وعثر على الجزء التاسع بمكتبة البارودي ببيروت(١٠١).

دل كتاب الاكليل على سعة معارف الهمداني ، فقد افرغ فيه جماع معرفته بالانساب والتاريخ والآثار ، بل وحتى بأدب الحميرين سكان جنوب الجزيرة في القدم، ولم يكتف بعرض المادة الاسطورية التي تجمعت في الادب العربي بعد الاسلام ، بل بذل

قصارى جهده ليقف منها موقف الناقد ، في ضوء دراسته المباشرة للنقوش التاريخية، فقد رسم صور الحروف الابجدية بالمسند مع ما يقابلها بالعربيـــة ، وقراءة النصوص التي اوردها في الاكليل تدل على معرفته التامة في ذلك الامر(١٠٢) . وبذلك استطاع ان يفك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوبي الجزيرة .

لم يكن الهمداني جغرافيا فحسب ، بل وخبيرا بتاريخ الجزيرة العربية بشكل عام واليمن بشكل خاص ، استطاع ان يمزج بين التاريخ والجغرافية . ويؤخذ عليه تعصبه تعصبا شديدا قد يحيد به في بعض الاحيان عن جادة الصواب. يقول محب الدين الخطيب في هذا الصدد « يثبت حقائق العلم على صحتها ما استطاع في كل ما لا يمس همدانيته ويمنيته ، فاذا لامس العلم هذا الجانب الحساس من المؤلف وجـد فيـه ضعفا »(١٠٣) . وفي اعتقادي ان هذا القول على قدر كبير من الصحة .

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين الهذلي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، حجازي الاصل من ولد عبد الله بن مسعود(١٠٤) ، من اقدر المؤلفين في القرن الرابع ، وفي طليعة المؤرخين الذين اعتمدوا على الجغرافية ، او كما قيل مـن اولائك الذين يلتقي فيهـم المؤرخ والجغرافي . مصنفاته كثيرة ومفقودة ، بقي منها ثلاثة « **مروج الذهب ومعادن الجوهر** » ، « **التنبيه والاشراف** » ، « **اخبار الزمان** » . وهذه المصنفات تعطينا الصورة التي تمثل المسعودي كمؤرخ وجغرافي ، كذلك فان هذه الكتب الثلاثـة مثال حي على صعوبة الفصل بين المؤلفات التاريخية والجغرافية .

مروج الذهب ومعادن الجوهر . طبع عدة مرات في جزاين وطبع اخيرا في اربعة اجزاء(١٠٥) . ويقول المسعودي حول الباعث له على تاليفـه « ان الناس الفوا كتبا في التاريخ والاخبار ممن سلف وخلف فاصاب البعض واخطأ البعض وكل اجتهد بغايـة امكانه » ، لذلك قام بتأليف الكتاب « ليدع فيه اخبار العالم وما مضـى في اكنـاف الزمان من اخبار الانبياء والملوك وسيرها والامم ومساكنها »(١٠٦) . اما لماذا سماه بهذا الاسم ، يقول المسعودي « لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه مـن طوالع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة في معناه وغرر مؤلفاتنا في مغزاه »(١٠٧) .

بصورة عامة يعتبر الكتاب من اهم كتب المسعودي ومن اكثر مؤلفاته التاريخية ايجازا ، وفيه افضل تصور للحياة الثقافية والاجتماعية في عصر الخلافة ، حوى على كثير من المعرفة والمعلومات الخاصة بعلم الانساب والسلالات ، والاحداث السياسية. وقد وصفه نقولا زيادة بانه كتاب « سياحة ومعرفة جغرافية وعمران وعلـم وملاحظة واخبار واساطير »(١٠٨) . اما سيدة اسماعيل كاشـف فتقول « انه كتاب تاريخـي وجغرافي عظيم القيمة ، لم يكتف فيه المؤلف ببحث الموضوعات التي اعتادها المؤرخون المسلمون ، بل تطرق الى تواريخ الهند والفرس والروم واليهود »(١٠٩) ، وعلي ابراهيم

حسن يعتبره اهم كتب المسعودي على أساس انه دراسة تاريخية وجغرافية معا ، مع انه ليس تاريخا متصل الحلقات بل مجموعة حوادث وأخبار(١١٠) .

التنبيه والاشراف . تم هذا الكتاب عام وفاة المسعودي(١١١) ، ويحوي لمعا من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها واقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم واخبارهم وجوامع تاريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية وسيرة الرسول (صلعم) وغزواته وسنين هجرته وسير الخلفاء الراشدين والخلفاء من بعدهم الى سنة ٣٤٥هـ وفي السنة التي مات فيها ، وقد تعرض الى ذكر طرف عن ملوك الاندلس(١١٢).

ويبين المسعودي في مقدمة كتابه الاسباب التي جعلته يقتصر فيه على ذكر ممالك معينة فيقول « انما اقتصرنا في كتابنا هذا على ذكر هذه الممالك لعظم ملك ملوك الفرس وتقادم أمرهم واتصال ملكهم وما كانوا عليه من حسن السياسة وانتظام التدبير وعمارة البلاد والرافة بالعباد » . وبالنسبة لملكتي اليونانيين والروم فقد خصهما بالذكر لانه « تتلوان مملكة فارس في العظم والعز ولما خصوا به من انواع الحكمة والفلسفة والمهن العجيبة والصنائع البديعة لأن مملكة الروم الى وقتنا هذا ثابتة الرسوم متسقة التدبير وان كان اليونانيون قد دخلوا في جملة الروم منذ ان احتووا على ملكهم »(١١٣).

ويمكن القول ان المسعودي لخص في هذا الكتاب آرائه في فلسفة التاريخ والكون وآراء الفلاسفة في التدرج والعلاقة بين الحيوان والنبات والمعدن ، بأسلوب قصصي ، فيه براعة ، وبأسلوب جذاب وعبارات ممتعة .

اخبار الزمان . ويقارب ثلاثين مجلدا لا يوجد منها الا جزء واحد في مكتبة فيينا، وفي المكتبة الملكية بالقاهرة كتاب بهذا الاسم مصور عن نسخة المكتبة الاهلية بباريس في جزء واحد تام(١١٤) .

ومما يجدر ذكره ان المسعودي اكثر من الثناء على « اخبار الزمان » في مروج الذهب والتنبيه والاشراف ، واحال عليه في مواضيع كثيرة . ولضخامته عمد المسعودي الى اختصاره مرات ، ثم بعثر تلك الثروة العلمية الهائلة في كتبه وفرقها بين مصنفاته(١١٥) ، فكثيرا ما يرى الباحث في كتب المسعودي انه يعرض الى اجمال بعض الموضوعات الطريفة والاحاديث الغريبة في مختلف العلوم والفنون في هذين الكتابين ويلم بالموضوع المامة سريعة ، ثم يذكر انه بسطه وذكره بتمامه في « اخبار الزمان » . وفي هذا الكتاب اشياء غريبة طريفة تفيدنا كثيرا في معرفة التاريخ القديم بوجه عام

ومصر بوجه خاص ، ومن يتمعن به يصل الى نتيجتين ، الاولى ان الانسان فيما مضى من الاجيال كان اقدر منه في هذه الحياة العصرية ، وان السحر والكهانة لعبا دورا كبيرا في غابر الاحقاب ، والثانية ان قدماء المؤرخين كانوا ذوي خيال واسع وقصاصين بارعين قادرين على ان يجسموا الخيال ويلبسوه ثوبا من الحقيقة .

وسيجد القارىء في هذا الكتاب ما بلغه المصريون من الصناعة وعمارة الارض والفنون والعلوم والحكمة والبصر بالكيمياء ،كما يجد فيه العجائب التي اقامها المصريون بالهندسة او السحر . وان الاهرام ليست وحدها التي اقامها القدماء آيات شاهدة لهم بالقوة . بل ان لقدماء المصريين آثارا اخرى جليلة اقاموها في مناطق اخرى من مصر . وفي هذا الكتاب ايضا يستطيع من يعنيه البحث عن الآثار ان يعلم بوجه التقريب مدافن ومخابىء كثيرة ملأها القدماء بالذهب والتحف وغرائب الجواهر والحلي(١١٦) .

ومن ناحية عامة لا يمكن انكار ما امتاز به المسعودي من النشاط العلمي وما اتصف به من موضوعية في الحكم على ما يتعلق بالشعوب والاديان ، فهو يسأل باهتمام ممثلي مختلف العقائد ويفحص كتبهم ويتعرف على آدابهم ويجمع المعلومات بشغف ، فبرز واحتل لنفسه مكانة خاصة بما تميز به منهجه التاريخي جعلت كتبه اشبه بكتب الادب ، فطريقته في التاليف تعتمد على العرض الادبي لا على الاسناد ، فنادرا ما يشير الى مصادره وكتبه تاخذ من كل شيء بطرف بخلاف كتب التاريخ الملتزمة باخبار الماضي وحده ، وتميزت طريقته التاريخية بالاستجابة لتداعي الافكار والاستطراد والاستسلام للطرائف والغرائب .

أما منهجه في التبويب ، فلا يرقى الى المستوى المطلوب ، فقد كان من الصعب عليه ان ياخذ نفسه باتباع منطق صارم سواء في التفكير او التعبير(١١٧) ، بالرغم من انه كان يحاول وضع تبويب وتقسيم مناسبين في تآليفه ، كذلك نبذ طريقة الحوليات ورتب تاريخه وفقا لتسلسل الخلفاء والاسرات الحاكمة والموضوعات .

اهتم المستشرقون بالمسعودي واعجبوا بما اتى به وقارنوا بينه وبين بعض المؤرخين الآخرين المشهورين . ولقبه المستشرق فون كريمر بلقب هيردوت العرب ، يجمع بين الاثنين حب المعرفة التاريخية والدأب المتصل والرحلة لجمعها وتدوينها ، والاستعداد الكلي لتسجيل الخوارق والعجائب دون تحفظ احيانا ودون تحيز ، والاهتمام بالمعطيات الجغرافية وتنوع الشعوب والافكار . واذا كان هيردوت اكثر فنا ومنهجية في كتابته التاريخية ، فان المسعودي كان اوسع افقا وابعد في الرحلة والاطلاع(١١٨) . ويؤيد هاري بارنر (Barner) هذا التشبيه على اساس ان كلا منهما

له نفس القدرة على الاستطلاع والتأمل والحماسة في جمع المعرفة ، لكن المسعودي كان اسهل انقيادا من هيرودوت في تقبل الاساطير والعجائب(١١٩) .

اما المفكر رينان ، المفكر الفرنسي ، فانه في دراسة مسهبة تضمنت مقارنة ما بين المسعودي الرحالة الجغرافي المؤرخ وبين بوزانياس Pausanias الرحالة الجغرافي والمؤرخ اليوناني في القرن الثاني الميلادي ، لم يستطع أن ينكر ان المسعودي كان اشمل موسوعية واكثر فضولا علميا واطلاعا(١٢٠) .

وفي القرن الرابع الهجري ، ونتيجة للتمزق السياسي تأثرت المادة التاريخية فظهرت تواريخ محلية عن تاريخ الوحدة السياسية الواسعة، وظهرت سير الشخصيات البارزة وتواريخ المدن . مثال ذلك كتاب « الاوراق في اخبار آل عباس وشعرائهم » **للصولي ، ابو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله** (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م) الذي نادم الراضي والمكتفي ثم المقتدر وتوفي بالبصرة (١٢١) . لم يكن عربي الاصل ، وفي رواية انه تحدّر من صلب رجل يدعى صول ، ثم استعرب تماما وغدا نديما للخلفاء ، وكان على صلة وثيقة بتلميذه السابق الراضي(٣٢٢هـ/٩٣٣م-٣٢٩هـ/٩٤٠م)(١٢١ب). وكتابه **«الاوراق في اخبار آل عباس وشعرائهم »** اشهر ما عرف به ، وقد عني بنشره ج. هيورت . دن « اخبار الراضي بالله والمتقي لله » ، او تاريخ الدولة العباسية في ٣٢٢هـ /٩٣٣م - ٣٣٣هـ/٩٤٤م(١٢٢) . ويبدأ بذكر اخبار الراضي فيقول « قد فرغنا ولله الحمد من ذكر اخبار القاهر والاحداث في ايامه ونحن نذكر الآن بيعة الراضي بالله وما كان من امره والاحداث في ايامه ان شاء الله»(١٢٣)ومن الذين تحدث عنهم الصولي امر مرذاويج السلمي بأصبهان وانه وصل الراضي ما يفيد قتله اذ دخل ابنا المنجم احمد بن يحيى وعلي بن هارون فانشدا الراضي في يوم الخميس شعرا يهنيانه بهذا الفتح(١٢٤) .

والحقيقة أن كتاب الصولي هو سيرة الراضي بالله الشخصية وسيرة المتقي لله الشخصية . وقد ادخل الصولي ذكرياته الشخصية مع هذه السير وخاصة الجزء المتعلق بفترة حكم الراضي ، وكان معلما له وبقي نديما بعد وصوله الى الحكم(١٢٥) . وينتهي الكتاب بالسنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م وهي آخر امر المتقي لله ، فيذكر عماله وقت زوال امره(١٢٦) .

وفي اعتقاد سوفاجيه (Sauvaget)ان كتاب الصولي هذا يعتبر وثيقة اصلية للعمق الانساني والمثير للشعور(١٢٧) ، في الوقت الذي اثني فيه المسعودي على الصولي وكتابه بقوله « ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه ، وكان محظوظا من العلم ممدودا من المعرفة ، مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف »(١٢٨).

والحقيقة ان الصولي كتب كتابه بطبيعة الاديب ، لانه كان رجل ادب ، الف

كتبا ادبية ، وفي جزء كبير من كتابه أبيات شعرية (ص ٢١ــ٢٤ و ٢٧ ــ ٣٠) وهكذا، وكثير من القصائد التي يتضمنها الكتاب هي من شعر الصولي نفسه .

وطفت تواريخ المدن على غيرها في التدوين التاريخي في تلك المرحلة واصبح اهتمام المؤرخين في القرن الرابع بالذات منصبا على فعالياتها العلمية والفكرية نتيجة لانحطاطها السياسي ، كان هذه المدن عدت وحدات حضارية في ذلك القرن . ومثال تاريخ المدن « تاريخ بخارى » **للنرشخي ، ابي بكر محمد بن جعفر** (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م) وكان قد قدم هذا المؤلف الى نوح بن نصر الساماني ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م ، ثم ترجم الى الفارسية فيما بعد (القرن ٦ هـ /١٢م) وقد قدر مؤرخو تركستان قيمته واخضعوه لدراسة منظمة . ويحتوي الكتاب بالاضافة الى تاريخ بخارى ذاتها على اخبار بلاد ما وراء النهر قبل الاسلام وفي فترة الفتوحات العربية ، ولا يخلو من المعلومات الجغرافية القيمة عن المناطق المأهولة حول بخارى والمباني والمحاصيل واساليب الحياة المختلفة عن العهد السابق لدخول الاسلام الى تركستان(١٢٩) .

المناهج وتطورها :

لقد حدث تغير في هذه المناهج نتيجة للنضج الحضاري واكتمال الفكر التاريخي فيه وهذا التغير تم في امرين : في تدوين المادة وفي تنظيمها .

ففي تدوين المادة حصلت التطورات التالية :

١ ــ سقوط الاسناد : ففي القرون الثلاث الاولى للتدوين التاريخي ، استخدم المؤرخون الاسناد كما في الحديث فكل واقعة يذكرونها يسندونها الى رواتها حتى يوصلوها براويها الاول الذي هو شاهد عيان ، وبذلك كانوا امناء في نقل الاخبار ، بل انهم في كل حادثة كانوا يقدمون الروايات المختلفة حولها . ويلاحظ هذا بخاصة عند الطبري(١٣٠) .

وكان السند في البداية مرسلا ، اي ان المؤرخ يذكر اسماء رواة الخبر حتى الراوي الاول ، ومع تقدم وازدياد سلسلة الرواة في الطول للوصول الى الراوي الاول ــ حتى اصبح السند اطول من المتن ــ اكتفى المؤرخون بذكر الراوي الاخير ، ويعرف هذا السند بالسند المقطوع ، ويقال ان من استنى ذكر السند محمد بن اسحق(١٣١)، ويعتبر ذكر السند بمثابة ذكر المصادر المستقى الخبر منها ، والمصدر الاول للخبر هو المستقى من الشاهد العيان او من اشترك في الحدث نفسه ، اي من له علم مباشر بالواقعة وعليه الاعتماد في روايته الاخبار(١٣٢) .

لكن في القرن الرابع الهجري ، بدأ الاسناد يفقد وظيفته واتجه الى الزوال ،

وفقدت الصلة بين التاريخ وعلم الحديث ، واخذ التاريخ بهذا الشكل يعلن استقلاله بمنهجه الخاص ، اخذ العرض الادبي يبرز في الكتابة التاريخية ، وخير من يمثل ذلك في القرن الرابع الهجري هو المسعودي الذي حذف الاسناد واختصر الرواية .

٢ ـ تزايد الاعتماد بالوثائق . ادرك المؤرخون في القرن الرابع الهجري قيمة توثيق المعلومات بنصوص اصلية تؤخذ مباشرة من منابع المعلومات ومحفوظات الدواوين، فبدات تتوطد في المنهج التاريخي الاسلامي ، ولكن دون أن تحول التاريخ مع ذلك الى تاريخ رسمي ، فالكاتب الذي يستعمل الوثائق ، لم يكن مؤرخا رسميا للدولة ، ولكن مؤرخا موثوقا ، احتفظ رغم ارتباطه الوظيفي بحريته في اختيار ما يريد من الوثائق الا في الحالات النادرة ، لأن المؤرخين الاسلاميين كانوا يهدفون الى الاستقلال في الراي وتوخي الصدق في الرواية ، ولم يتاثروا بالحكام تاثيرا كبيرا ومن امثلة هؤلاء المؤرخين في القرن الرابع الهجري هلال الصابي ومسكويه والمسبحي(١٣٣) .

اما في تنظيم المادة ، فقد اضيفت طرائق وتنظيمات جديدة لم تكن معروفة من قبل ، تبعا للحاجات التي كانت قد ظهرت في ذلك القرن في اطار التاريخ الاسلامي النامي باستمرار والمتعدد النواحي ، فازدهرت النظرات التاريخية العامة والعالمية في جو ثقافي خصيب ، ووضعت الغالبية العظمى في كتب التواريخ العامة التي كتبت منذ النصف الثاني من القرن الرابع على يد كبار موظفي الدول الاسلامية مما جعل المادة تنظم تنظيما جديدا(١٣٤) ، حيث اعتمد التاريخ العالمي في هذا القرن على اسلوب تاريخ السلالات الحاكمة او الدول او الشعوب .

وفي هذا الاطار يمكن ان نضع نماذج ظهرت في القرن الرابع الهجري في التاريخ العام العالمي وتمثلت في كتب المسعودي التي عرضنا لها ،والتي تشكل سلسلة ضخمة، وكذلك كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ، وكتاب تجارب الامم لمسكويه . ويمكن اضافة نموذج آخر للتاريخ العالمي في القرن الرابع الهجري وهو كتاب حمزة الاصفهاني(١٣٥)، **ابو عبد الله حمزة بن حسن الاصفهاني**(ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م) كان مجال درسه اللغة والتاريخ مع انه حضر دروسا على ائمة محدثي عصره في خلال الرحلات التي قام بها ، وزار بغداد في زمن عضد الدولة ابن بويه ما بين سنين ٣٠٨هـ/٩٢٠م و ٣٢٣هـ/٩٣٤م(١٣٦) . وكتاب « **تاريخ سني ملوك الارض والانبياء** » وضعه سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م ونشره المستشرق جو توالد سنة ١٨٤٤م/١٢٦٠هـ واعيد طبعه باسم « تاريخ ملوك الارض » ثم طبع في برلين عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م ، جعله الاصفهاني في عشرة ابواب سرد فيها سني ملوك الفرس والروم واليونان والقبط والاسرائيليين ، ثم ساق تواريخ لخم وغسان وحمير وملوك كندة ، **ثم تواريخ قريش ملوك عرب الاسلام** وجعل له مقدمة مختصرة في توزع الامم في الارض في تقاويمها المتعددة ، وختمه بفصول سرد فيها تواريخ

النيروز بعد الهجرة ، وبعض الاحداث الطريفة المتعلقة بالنجوم والآثار والكوارث الطبيعية ،واخيرا يذكر ولاة خراسان منذ ابي مسلم حتى الحسن بن بويه وسنة ٣٢٩هـ .

والحقيقة ان هذا الكتاب رغم صغره ورغم ضيق نظر الاصفهاني في الشعوب والارض ، له اهمية كنظرة عالمية من خلال الزمن ، ولذلك وضعناه في اطار التاريخ العام العالمي ، فقد اعتمد الاصفهاني على حسابات المنجمين والازياج الفلكية ونظمها في نسق متصل ليضع الامم على ابعاد الزمن ، فتاريخه عمقي زمني ،كما انه بسبب ثقافته العلمية الواسعة اعار النواحي الثقافية مكانا طيبا فجاء كتابه مصدرا ثمينا للأخبار الثقافية(١٣٧) .

والحقيقة ان الاصفهاني في كتابه ينظر الى تاريخ العالم نظرة رجل فارسي خراساني ، ويسهل تعليل ذلك اذا عرفنا انه من اصل فارس ، الا ان نقده لا يتسم بالتعصب الجنسي او التحامل على العرب ، ولا يتورع من ان ينتقد تواريخ الفرس القديمة ويتهمها كلها بانها غير صحيحة . كما كان يتجه في كتابه الى النقد ويهتم بالدقة في اختيار مصادر معلوماته .

ومن التغيير الذي حدث في تنظيم المادة في القرن الرابع الهجري ما تم في كتب تراجم الرجال ، والاتجاه نحو تنظيمها ضمن عدد من الاسس المنهجية ، فظهرت بعض الكتب مرتبة على حروف الهجاء ، وهو الاساس الذي تعتمد عليه كتب التاريخ المحلي الديني ، ولقد ضاعت معظم الكتب التي صنفت في هذا القرن على هذا الاساس ،واقدم تاريخ محلي ديني باق رتبت ترجمته على نظام المعاجم ، اي وفقا للترتيب الابجدي ، هو **لأبي الوليد عبد الله بن الفرضي الاندلسي ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م** ، المولود في قرطبة عام ٣٥١هـ/٩٦٢م . درس الفقه والحديث والادب والتاريخ في مسقط راسه على ابي زكريا يحيى بن مالك والقاضي محمد بن يحيى ، واصبح فيها عالما في فن الحديث واجتمعت له مكتبة كبيرة في رحلاته(١٣٨) ، وخاصة في رحلته من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م حيث حج واخذ عن علماء المشرق وسمع منهم وكتب عن آمالهم(١٣٩) . ومصنفه **تاريخ علماء الاندلس** (١٤٠) ، هو المصنف الذي بقي من مؤلفاته، ويذكر ابن خلكان بأن هذا المصنف هو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتابه الذي سماه « الصلة »(١٤١) .

جاء في مقدمة المؤلف عن موضوعه « هذا كتاب جمعناه في فقهاء الاندلس وعلمائهم ورواتهم واصل العناية بهم ملخصا على حروف المعجم قصدنا فيه قصد الاختصار ، اذ كانت نيتنا قديما ان نؤلف في ذلك كتابا على المدن يشتمل على الاخبار والحكايات ثم عاقت عوائقه عن بلوغ المراد ، فجمعنا هذا الكتاب مختصر(١٤٢) . والكتاب اجزاء

عشرة ، جاء ذلك في آخره بهذه العبارة « آخر الجزء العاشر وبه كمل التاريخ ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين »(١٤٣) .

مما سبق يتبين أن علم التاريخ عند المسلمين في القرن الرابع الهجري ، اصبح جزءا من النهضة الحضارية التي شهدها هذا القرن ، وتأثر بالمؤثرات والمتغيرات التي جرت فيه ، وتطور بالمؤثرات والمتغيرات التي جرت فيه ، وتطور ضمن قواعد معينة شملت مؤرخيه ومادته ومناهجه ، ليصبح هذا العلم في حالة تختلف عما كان عليه في القرون الهجرية الثلاثة الاولى ، وضمن متغيرات معينة .

وفي هذه الدراسة رصدنا التحول الذي حصل في العناصر الثلاثة ، المؤرخ والمادة والمنهج وتبيان المتغيرات التي تم فيها هذا التطور ضمن التمزق في الوحدة السياسية الاسلامية والابتعاد عن المفهوم الديني للتاريخ .

لقد انضمت مجموعات عديدة التنوع من المؤرخين الذين اوجدوا الطابع الحكومي للكتب التاريخية في الوقت الذي لم يتميز فيها مؤلفو هذه الكتب ، وانما استفادوا من المادة التي اصبحت في متناول ايديهم ، كما قاموا بتسجيل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والادبية ، مما جعل هذا المظهر سمة بارزة تميز بها مؤرخو القرن الرابع الهجري ، بالاضافة الى ظهور المؤرخ الموضوعي والمؤرخ المتخصص في المجهود التاريخي .

وفي المادة حدث التاثير بالحاجات السياسية والادارية والتأثر بالعلوم الاخرى فأصبحت المادة التاريخية تشتمل على اسرار تاريخية نادرة وحقائق توضح ما كانت عليه الحال واهم هذه العلوم الفلسفة والجغرافية ، فظهر المؤرخ الذي ينظر الى التاريخ نظرة فلسفية والمؤرخ الجغرافي الذي يمزج التاريخ بالجغرافية .

وفي المناهج فقد حدث التغيير نتيجة للنضج الحضاري واكتمال الفكر التاريخي فسقط الاسناد وتزايد الاعتماد على الوثائق وبرز التاريخ الموسوعي العالمي وتوطدت كتب التراجم ضمن الاسس المنهجية .

* * *

الهوامش

(١) راجع كتابه «الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » ، ترجمة عبد الهادي أبو ريده ، م(٢) ، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٨ . والعنوان في الاصل يعني عصر الاحياء الاسلامي او عصر النهضة الاسلامية والمترجم اول من استعمل هذا التعبير .

(٢) ظهر ذلك واضحا بعد الخليفة المتوكل على الله العباسي (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) حيث بدأ النفوذ التركي ثم مقتل الخليفة المقتدر (٣٢٠هـ/٩٣٢م) . راجع : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ م(٨) ، بيروت : دار صادر ١٩٧٩م ، ص ٢٤١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٤٩٩ .

(٤) للتوسع في ذلك راجع : حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج(٢) ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٦٥ ، ص٧١–٨٣ و ١١٣ – ١٢٣ .

(٥) المرجع ذاته : ص ١٤٣ – ١٦٥ و ١٧٢ . وايضا : ابن الاثير ، المرجع السابق ،م(٨) ص ٥٩٠ .

(٦) تلقب عبد الرحمن الثالث الناصر بالخليفة عام ٣١٦هـ/٩٢٨م ، كما بويع عبد الله المهدي بالخلافة ولقب بالمهدي امير المؤمنين عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م في مدينة رقادة ليستمر هذا اللقب فيمن خلفه من الفاطميين .
راجع : المقري نفح الطيب ج(١) ، طبعة القاهرة ١٩٤٩م ، ص ٢٧٧ . وايضا : ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار المغرب ج(١) ، تحقيق ليفي بروفنسال وكولار ، طبعة بيروت : دار صادر ١٩٥٠ ، ص٢١٠ ، ٢١٨ .

(٧) ج.هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمه وعلق حواشيه واضاف اليه فصلا في التاريخ عند العرب عبد الحميد العبادي ، بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٠ – ٤١ .

(٨) سيده اسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ج(١) تحقيق علي عبد الواحد وافي ، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د.ت ، ص ٢٩١ .

(١٠) جلال الدين السيوطي ، الشماريخ في علم التاريخ ، حققه محمد بن ابراهيم الشيباني، الكويت : الدار السلفية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م ص١ .

(١١) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس وآخرون ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م ص ١٥٨–١٥٩ .

(١٢) وهم صابئة حران ، ويختلفون عن الصابئيين البابليين ، وصابئة حران في الواقع وثنيون يقولون بالثنوية الالهية ، وقد اتخذوا الصابئة اسما بعد مجيء الاسلام ليضمنوا لانفسهم الامان الذي منحه الاسلام لاهل الكتاب . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية على الاصلين الانكليزي والفرنسي ، م(١٤) طبعة بيروت ، ص٨٩– ٩١ . وايضا : فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب المطول ،ج(٢) ، بيروت : دار الكشاف ١٩٥٨ ، ص ٤٣٨ – ٤٣٩ .

(١٣) دائرة المعارف الاسلامية ، م(١٤) ، ص ٨٣٠ وللتوسع في ترجمة حياة الصابىء ، راجع : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، م(١)تح الدكتور احسان عباس ، بيروت : ١٩٦٩ – ١٩٧٢ ، ٧ ٥– ٥٤ . وايضا : كتاب حفيدة ابو الحسن الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) « الوزراء » تح عبد الستار احمد فراج ، القاهرة : دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨ ، ترجمة المؤلف .

(١٤) D.S. Margoliouth, **lectures on Arabic Historians**, University of Calcutta, 1929, P. 134.

وحول الاسباب التي جعلت الصابىء يؤلف هذا الكتاب راجع : ابن خلكان ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(١٥) Margoliouth, op. Cit. , P. 134.

ويؤيد هذا الراي « جب » ويشير انه مفقود، لكنه يذكر انه لا يمنع ان تكون هذه الشذرات منه موجودة في كتب اخرى . راجع : جب، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(١٧) انظر : ابن خلكان ، م(١) ، ص ٥١ .

(١٨) Margoliouth, P. 135.

(١٩) هو الدكتور محمد حسين الزبيدي ،وقام بتحقيق وشرح هذا المخطوط ، والذي كان قد وجد اصلا في آخر كتاب « الجامع الكافي في فقه الزيدية في اليمن » باسم « المنتزع من كتاب التاجي » ، ونشرته وزارة الاعلام في بغداد .

(٢٠) المنتزع من كتاب التاجي لأبي اسحق الصابىء ، المقدمة ، ص٧ .

(٢١) دائرة المعارف الاسلامية ، م(١٤)، ص٨٥ . ومما يجدر ذكره ان هذه الرسائل تم تنقيحها والتعليق على حواشيها من قبل الامير شكيب ارسلان تحت عنوان « المختار من رسائل أبي اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابىء» ونشرته دار النهضة الحديثة . بيروت .

(٢٢) للاطلاع على نص احدى هذه الرسائل راجع: المختار من رسائل الصابىء ، ص ١٧–١٨ .

(٢٣) Margoliouth, P. 134 .

(٢٤) ابن خلكان ، م(٤) ، ص ٣٧٧ .

(٢٥) Bianpuis, th. , « La transmissio -n du Hadith en syrie à Lépo - que Fatimide » BEO , XXV (1972) , P. 88.

(٢٦) ابن خلكان ، م(٤) ، ص ٣٧٧ . وايضا : محمد عبد الله عنان ،مؤرخو مصر الاسلامية، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٥٢ .

(٢٧) قام بتحقيق هذا الجزء من اخبار مصر للمسبحي وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد وتياري بيانكي ، ونشره المعهد العلمي الفونسي للآثار الشرقية الشرقية بالقاهرة ،وهو صورة مكبرة لمخطوطة الاسكوريال ، ونشر في القاهرة عام ١٩٧٧ .

(٢٨) يعرف بقاعة الذهب ، احد قصور قاعات القصر الكبير بناه العزيز بالله (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م – ٣٨٦هـ/٩٩٦م) . راجع المقريزي ، الخطط م(١) ، طبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ ، ص ٣٨٥ .

(٢٩) المسبحي ، اخبار مصر ، ج(٤٠) ، ص٢٨ .

(٣٠) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

(٣١) نفس المصدر ، ص ٧٢ .

(٣٢) حول ما جاء في الكتاب عن الحجاز ، راجع : نفس المصدر ، ص ٧٢ وعن الشام ، ص٥٦ وهي امثلة توضح العلاقات التي كانت قائمة بين مصر وهذه الاقطار سياسيا واقتصاديا .

(٣٣) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، م(٢) ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٥٧، ص١٦٨ . وايضا : دائرة المعارف الاسلامية، م(١) ، ص ٢٧٧ .

(٣٤) راجع : امينة بيطار ، العرب والوعي التاريخي ، الفكر العربي ، عدد ٢٧ (ايار وحزيران ١٩٨٢) ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(٣٥) القفطي ، جمال أبو الحسن علي بن يوسف، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، طبعة ليبير ، ص ٢٣١ وحول وظيفته كخازن للكتب راجع: Margoliouth, P. 128 .

(٣٦) للاطلاع على ترجمة لحياة الروز راوري ، راجع : ابن خلكان ، م(٥) ، ص ١٣٤ – ١٣٦ .

(٣٧) Margoliouth, P. 128 .

(٣٨) هاري الر بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج ، ج(١) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٩ .

(٣٩) Margoliouth, P. 128.

(٤٠) Ibid. , PP. 128 - 129.

وايضا : ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(٤١) للتوسع في الوصول الى قيمة مسكويه كمؤرخ راجع :

J. Sauvaget, Historiens Arabes, Paris ; Librairie d' Amérique et d' Orient, Adrien - Maison - neuve, 1946 , pp. 75-81 .

(٤٢) دائرة المعارف الاسلامية ، م(١١) ، ص ٤٣٤ .

(٤٣) كحالة ، م(٤) ، ص ٢٢١ .

(٤٤) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ص١٠٠ .

(٤٥) فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح احمد العلي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ١٩٨٣ ، ص ١١٦ .

(٤٦) سالم ، المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(٤٧) علي ابراهيم حسن ، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الاسلامي العام ، القاهرة : النهضة المصرية ١٩٨٠ ، ص١٣٤.

(٤٨) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ،ق(١) ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، راجعه ايفور بليانيف ، الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، ١٩٥٧ ، ص ٢٢٢ .

(٤٩) ابن النديم ، الفهرست ، تح رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ ، ص ٣ .

(٥٠) نفس المصدر ، ص٣ــ٥ .

(٥١) نفس المصدر ، ص ٤٥ ــ ٩٧ .

(٥٢) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ق(١) ، ص ٢٣٣ .

(٥٣) نفس المرجع والصفحة .

(٥٤) ابن خلكان ، م٢ ، ص ٩١ .

(٥٥) عنان ، المرجع السابق ، ص ٣٤ــ٣٥ .

(٥٦) كراتشكوفسكي ، ق (١) ، ص ١٦٩ .

(٥٧) للتوسع بتراث ابن زولاق التاريخي ،راجع: عنان ، ص ٤٥ ــ ٤٦ .

(٥٨) جاء ذكر هذه الكتب في ابن خلكان ، م(٢)، ص٩١ . وايضا : جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ،ج(١) طبعة مصر ، ١٢٩٩هـ ، ص٢٦٥ .

(٥٩) علي ابراهيم حسن ، المرجع السابق ،ص ١٤٠ .

(٦٠) عنان ، ص ٣٧ .

(٦١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصر ، ج١ ص ١٥٦ .

(٦٢) راجع : ابن سعيد الاندلسي (علي بن موسى) المغرب في حلى المغرب ، ج(١) ، القسم الخاص بمصر ، تح زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيده كاشف ، القاهرة : ١٩٥٣ ، ص ٥ .

(٦٣) مما يثبت ان ابن سعيد الاندلسي اعتمد على كتاب ابن زولاق ما اشار اليه المؤلف حول ذلك في الديباجة حيث قال : « والنقل في ذلك من كتاب الحسن بن زولاق » العيون الدهيج في حلى دولة بني طفج . راجع : المغرب في حلى المغرب ، ص٤ .

(٦٤) اقتبس المقريزي في كتابه « اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا » فصلا برمته عن ابن زولاق ، ج(١) ، تح جمال الدين الشيال . القاهرة ، ١٣٦٧هـ ، ص ١٠٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧١ و ٢٢٧ ــ ٢٣٢ .ويقتبس من سيرة المعز في « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المعروف بخطط المقريزية ج(١) ، مكتبة الثقافة الفرنسية ، القاهرة، ١٩٨٧م ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ و ٣٧٧ ــ ٣٧٨ .

(٦٥) جاء ذكر حامد بن العباس كوزير للمقتدر في: المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج (٤) ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٤٨ ص ١٣٢ و ٣٠٥ .

(٦٦) تم تحقيق هذا الكتاب من قبل مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ونشرته مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة عام ١٩٣٨ ، وكان قد عثر على قسم منه المستشرق منريك النمسوي في مكتبة فيينا عام ١٩٢٦ .

(٦٧) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، تح السقا وآخرون ، القاهرة : ١٩٣٨ ، ص ٣٨ – ٤٠، ٦٧ ، ٧٤ .

(٦٨) المصدر ذاته ، ص ٣٩ .

(٦٩) قام بتحقيق الكتاب عبد الستار احمد فراج، تحت اسم « الوزراء » او « تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » ، ونشرته دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨م .

(٧٠) ابن خلكان ، م(٦) ، ص ١٠١ ، ص١٠٥ . وحول ما رواه المؤرخون حول اسلام هلال بعد ان تجاوز الاربعين راجع : عبد الرحمن ابن علي الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج(٨) طبعة بيروت ، ص ١٧٦ ١٧٩، وايضا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ج(٢) ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ص ٢٤٢ – ٢٦٢ .

(٧١) هلال بن المحسن ، مقدمة المحقق .

(٧٢) سميحة ابو الفضل ، ذيول مؤرخي الصابئة على تاريخ الطبري ، دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، السنة الثامنة ، العددان ٢٥ و ٢٦ آذار – حزيران ١٩٨٧ ، ص١٩٤ .

(٧٣) Margoliouth, P. 147.

(٧٤) هلال بن المحسن ، مقدمة المحقق .

(٧٥) نفس المصدر ، ص١٠ . وحول وزراء ابن الفرات ، نفس المصدر ، ص ١١ – ٢٨٣ .

(٧٦) وصلت الينا في مخطوط واحد ، باسم كتاب الولاة وكتاب القضاة ، وطبع مهذبا ومصححا بقلم رفن جست بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت عام ١٩٠٨م وقد حصل عليه المتحف البريطاني وهو محفوظ فيه تحت رقم Add و 324 , 23 ، ويشتمل على كتابي الولاة والقضاة . راجع : علي ابراهيم حسن ، استخدام المصادر ، ص ١٣٩ .

(٧٧) هو الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن علي ابن شعيب النسائي (٢١٥هـ/٨٣٠م – ٣٠٣هـ / ٩١٥م) كان امام أهل عصره في الحديث ، سكن بمصر وله كتاب السنن . راجع : ابن خلكان ، م(١) ، ص ٧٧ – ٧٨ .

(٧٨) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن قديد المصري (ت ٣١٢هـ /٩٢٤م / محدث وراوية مشهور . راجع : جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ،ج(١) مصر ١٢٩٩هـ ، ص١٧٣ .

(٧٩) حققه الدكتور حسين نصار بنفس العنوان « ولاة مصر » ونشرته دار صادر ببيروت ، د. ت .

(٨٠) للاطلاع على ما كتبه حولولاية عمرو بن العاص وولاية عبد الله بن سعد راجع : محمد بن يوسف الكندي ، ولاة مصر ، ص ٢٩ – ٣٧.

(٨١) الكندي ، كتاب القضاة ، طبعه جوتهيل ، ص١٤٢ – ١٤٣ .

(٨٢) نسبته الى بيت المقدس ، راجع : خير الدين الزركلي ، الاعلام م(٧) ، بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ١٩٨٤، ص٢٥٣.

(٨٣) ولد البلخي عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م ، باحدى قرى بلخ ، وبدا نشاطه كمعلم ، ثم اضطره الاهتمام بدراسة العلوم الشرعية الى القيام برحلة الى بغداد مركز الحضارة ، وتوفي عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م . راجع : (كراتشكوفسكي، القسم الاول ، ص ١٩٨) .

(٨٤) للتوسع في هذا الموضوع والاثباتات التي اعتمد « هوار » ، راجع : نفس المرجع ، ص ١٩٨ و ٢٢٤ .

(٨٥) للاطلاع على هذه الفصول وما جاء فيها انظر : المطهر بن طاهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج(١) طبعة هوار ، باريس ١٩١٩ ، ص ٨ ـ ١٧ .

(٨٦) يعتقد فرانز روزنشال ان المقدسي لم ينجح قط في ابداع صورة متماسكة بالرغم من محاولاته ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ١٦١ .

(٨٧) لمعرفة المزيد عن كتاب البدء والتاريخ وقيمته التاريخية راجع :
J, Sauvaget, PP. 65 - 72.

(٨٨) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٤٨ .

(٨٩) نشرت رسالته في بيروت عام ١٩٨٧ محققة من قبل الدكتور سامي الدهان وهي نسخة فراهن

(٩٠) كانت كلمة بلغار تطلق على الشعب وعلى البلاد وعلى الحاضرة التي كانت تقع شرقي نهر الفولغا ، والمعروف ان شعب البلغار اسس في بداية العصور الوسطى دولتين اقدمها التي زارها ابن فضلان وانتشر فيها الاسلام في حوض الفولغا الاوسط او نهر اتل كما تسميه المصادر العربية .

(٩١) دائرة المعارف الاسلامية ، م(١) ، ص٢٥٥ . الزركلي م(١) ، ص١٩٦ .

(٩٢) رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، بيروت : مكتبة الثقافة العالمية ، ١٩٨٧ ، ص ٦٨ .

(٩٣) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ص ١٨٧ . وحول الآخرين الذين اشتركوا في السفارة : رسالة ابن فضلان ، ص ٧٦ .

(٩٤) يقول ابن فضلان في رسالته عن الجيهاني « وصرنا الى الجيهاني ، وهو كاتب امير خراسان وهو يدعى بخراسان الشيخ العميد فتقدم باخذ دار لنا واقام لنا رجلا يقضي حوائجنا في كل ما نريد فاقمنا اياما » رسالة ابن فضلان ، ص ٧٦ .

(٩٥) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٨٧ . ويؤيد ذلك ياقوت الحموي ، في معجم البلدان م(٢) طبعه وستنفلد في ليبتسك ، ص ٤٨٥ وما بعدها . اما حول الاماكن التي مرت فيها السفارة بالتفصيل فيمكن معرفتها من : رسالة ابن فضلان ص ٧٣ وما بعدها .

(٩٦) رسالة ابن فضلان ، ص ٩١ .

(٩٧) نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤٤ .

(٩٨) الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تح محمد بن علي الاكوع الحوالي ، اشرف على طبعه حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة ، ١٩٧٤م ص ٩-١٤ .

(٩٩) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ . والمعرفة المزيد حول المقدسي وكتابه انظر : نفس المرجع ، ص ٢٠٨ ـ ٢١٠ .

(١٠٠) صفة جزيرة العرب ، تح الاكوع ، ص٣١-٣٢

(١٠١) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ . ونشير هنا ان الجزء الثاني من كتاب الاكليل نشر في بغداد عام ١٩٨٠ محققا ومعلقا عليه من قبل محمد بن علي الاكوع الحوالي.

(١٠٢) لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع راجع : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب م(١) ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦٨ ، ص ٩٠ ـ ٩٩ .

(١٠٣) صفة جزيرة العرب ، مقدمة المحقق ، ص١١.

(١٠٤) يذكر ابن النديم في الفهرست انه من اهل المغرب . راجع : الفهرست ، ص ١٧١ .

(١٠٥) طبع في بيروت باربعة اجزاء ، وقام بتحقيقه محي الدين عبد الحميد ، ونشرته المكتبة الاسلامية سنة ١٩٤٨ .

(١٠٦) المسعودي ، مروج الذهب ج(١) ، ص١٢ .

(١٠٧) نفس المصدر ، ص ١٨ .

(١٠٨) نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص٤٧ .

(١٠٩) كاشف ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(١١٠) علي ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(١١١) طبع كتاب التنبيه والاشراف في ليدن عام ١٩٨٤ وهو الجزء الثامن في المكتبة الجغرافية

التي عني بنشرها العلامة المستشرق دي جوجي وقد علق عليها وذيلها بملاحظات كثيرة واقتصرت على النافع منها ، واخيرا تم تحقيقه ونشره من قبل عبد الله اسماعيل الصاوي في ترجمة عربية في القاهرة عام ١٩٣٨ .

(١١٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، مقدمة المؤلف ، ص ٤-٥ .

(١١٣) نفس المصدر ، ص ٥ .

(١١٤) طبعت هذه النسخة بنفقة عبد الحميد احمد حنفي في القاهرة عام ١٩٣٨ .

(١١٥) للاطلاع على مصنفات المسعودي وهي كثيرة راجع : اخبار الزمان ، مقدمة المحقق . وايضا : مروج الذهب ، ج(١) ، ص٤-٨ .

(١١٦) المسعودي ، اخبار الزمان ، المقدمة .

(١١٧) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص ١٨٣ .

(١١٨) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ج(٢) ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ ، ص ٥٣ .

(١١٩) هاري المر بارنز ، المرجع السابق ، ج(٢) ، J. Sauvaget. op. cit, PP. 39-50. ص١٣٨ - ١٣٩ .
وللتوسع في ذلك راجع :

(١٢٠) شاكر مصطفى ، المرجع السابق ، ج(٢) ، ص٥٣ .

(١٢١) الفهرست ، ص١٦٧ . ابن خلكان ، م (٤) ، ص ٣٥٦ - ٣٦٠ .

(١٢١ ب) دائرة المعارف الاسلامية ، م(١٤) ، ص٣٨٨ وللاطلاع على علاقة الصولي بالخليفة الواضي راجع : المسعودي ، مروج الذهب ج(٤) ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(١٢٢) النسخة التي عني بنشرها ج. هيورث د.ن نشرتها ثانية في بيروت دار المسيرة ١٩٧٩ .

(١٢٣) الصولي ، اخبار الراضي بالله والمتقي لله او تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢هـ الى ٣٣٣ هـ من كتاب الاوراق ، عني بنشره ج. هيورث .د.ن ، بيروت : دار المسيرة ، ١٩٧٩م ، ص١ .

(١٢٤) نفس المصدر ، ص ٢١ .

(١٢٥) J. Sauvaget, Historiens Arabes, P. 33.

(١٢٦) للاطلاع على هؤلاء العمال ، راجع : الصولي ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(١٢٧) J. Sauvaget, PP. 32 - 33.

(١٢٨) المسعودي ، مروج الذهب م(١) ص ١٥ .

(١٢٩) كراتشكوفسكي ، القسم الاول ، ص١٦٨ .

(١٣٠) ليلى الصباغ ، دراسة في منهجية البحث التاريخي ، جامعة دمشق ، دمشق ١٩٨٧ ، ص ٥٧ .

(١٣١) للاطلاع على ترجمة له ، راجع الفهرست ، ص ١٠٥ .

(١٣٢) حكمت ابو زيد ، التاريخ ، تعليمه وتعلمه حتى نهاية القرن التاسع عشر ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٦١ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(١٣٣) كاشف ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(١٣٤) امينة بيطار ، العرب والوعي التاريخي ، المرجع السابق ص ١٣٤ .

(١٣٥) للاطلاع على كتبه الاخرى ، راجع الفهرست ، ص ١٥٤ .

(١٣٦) الزركلي ، م(٢) ، ص ٢٧٧ .

(١٣٧) روزنثال ، ص ١٨٩ ، شاكر مصطفى ، المرجع نفسه ، ج(١) ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(١٣٨) انظر : ابن خلكان ، م(٤) ، ص١٢١ . وايضا : الزركلي ، م(٤) ، ص ١٢١ .

(١٣٩) للتوسع راجع : دائرة المعارف الاسلامية ، م(١) ، ص ٢٥٤ .

(١٤٠) اصدرته المكتبة الاندلسية ، طبعة كسودرا بجزئين ٧ ، ٨ ونشر في عام ١٩٨١ واخيرا حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابياري في جزئين ونشر في القاهرة وبيروت ، الجزء الاول عام ١٩٨٣ والجزء الثاني عام ١٩٨٤ .

(١٤١) ابن خلكان ، م(٣) ، ص ١٠٥ .

(١٤٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج(١) ص ١٦ .

(١٤٣) المصدر ذاته ، ص ١٨ .

القصص والقصاص في صدر الاسلام

بين الواقع التاريخي والنظرة الفقهية

د. جمـال محمد داود جـوده

جامعة النجاح الوطنية (نابلس)

لقد تناولت بعض الدراسات الحديثة القصص الديني بالبحث ، بشكل مباشـر أو غير مباشر ، ويبدو انها خلطت بينه وبين القصص الشـعبي ، واختلفت كذلك ، كاختلافها في كثير من القضايا ، في تحديد هوية هؤلاء القصاص ، والكشف عن دورهم في صدر الاسلام(١) . سيحاول هذا البحث سد بعض الثغرات التي لم تتطرق اليهـا هذه الدراسـات .

١ ـ لقد وردت كلمة قصص ومشتقاتها في القرآن الكريم في احدى وعشرين آيـة كريمة ، افادت غالبيتها معنى الاخبار والحديث عن الامم السابقة من خلال الحديث عن الانبياء والرسل ، وهي تحمل في مجملها ، مواعظ او دلائل ومعجزات تفيد تذكير الناس بالماضي وتهدف الى توجيههم نحـو المنهج او الشريعة الالهية(٢) . يقول تعالى في هذا المعنى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »(٣) . ويقول تعالى ايضـا :

« وكلا نقص عليك من انبـاء الرسل ما نثبت بـه فؤادك وجاءك في هذه الحـق وموعظة وذكرى للمؤمنين »(٤).

ويقول جل ذكره في آخر سورة يوسف : « لقد كان في قَصَصِهم عبـرة لاولي الالبـاب » .

ويبدو واضحا ان الحديث عن الماضـي (التاريخ) الذي اتخذ غالبـا للعظـة والاستفادة من احداثه(٥) حدد في القرآن بتاريخ الرسل والانبياء كما سـردتها الكتب السـماوية(٦) .

وتشعرنا بعض الآيات القرآنية ان عملية ابلاغ الرسل صلوات الله عليهم رسالات ربهم الى الناس عدّت بمثابة قصص (وعظ) ديني ، ويفهم هذا من قوله تعالى :

دراسات تاريخية ، ٣٣ و ٣٤ ، أيلول ـ كانون الاول ١٩٨٩

« يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين »(٧) .

ويتضح ذلك اكثر في قوله تعالى :

« وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمانهم ولكن انفسهم كانوا يظلمون »(٨) .

وامام هذا يفهم ما اورده ابو داوود في السنن تحت باب القصص ايام الرسول (ص) من كونه قراءة القرآن وحفظه وتفهم معانيه(٩) ، وانطلاقا من هذا فانه لما طلب صحابة الرسول (ص) منه ان يقص عليهم نزل قوله تعالى ليبلغهم نوعية القصص الجديد :

« الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين »(١٠) .

وأكد الرسول (ص) لصحابته هذا الاتجاه والالتزام بالقصص (الوعظ) القرآني . فقد قال في خطبته فيهم قبل خروجه لتبوك :

« ايها الناس ، ان اصدق الحديث كتاب الله ، واوثق العرى كلمة التقوى . وخير الملة ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، واشرف الحديث ذكر الله ، واحسن القصص القرآن . . »(١١) .

وامام هذا كله فان القصص (الوعظ) الديني او الاسلامي ، الذي اخذ يستمد وعظه من القرآن واجراءات الرسول (ص) ، حل لدى الجماعة المسلمة محل القصص الجاهلي الذي كان يؤخذ من كلام الكهان والسدنة والحكام والشعراء والخطباء .

٢ ـ تحدثنا الروايات عن ارتباط القصص والقصاص بالذكر واهل الذكر في القرن الهجري الاول ، يذكر الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) عن الاسود بن سريع التميمي ، أول من قص في مسجد البصرة أيام عمر بن الخطاب ما نصه :

« وكان الاسود بن سريع يذكر في آخر المسجد »(١٢)

وروى ان علي بن ابي طالب دخل على رجل يقص في المسجد ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : « رجل يذكر الناس »(١٣) ، وقال عطاء بن يسار (ت١٠٣ هـ) قاص اهل المدينة في عبيد بن عمير الليثي (ت ٦٨ هـ) اول من قص بمكة في ايام عمر بن الخطاب :

« دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها ، فقالت : من هذا ؟ فقال: انا عبيد بن عمير ، قالت : قاص أهل مكة ؟ قال : نعم ، قالت : خفف فان الذكر ثقيل »(١٤) .

ويورد الذهبي رواية تقول :

« كان عبيد بن عمير يذكّر الناس ، فيحضر ابن عمر مجلسه»(١٥) . وقال سفيان الثوري (ت١٦٠هـ) لعبد الرحمن بن مهدي : أما لكم مذكّر ؟ قال : « بلى لنا قاص »(١٦) .

ان ارتباط كلمة « ذِكر » بالقصص يوضح لنا تسمية مجالس القصاص بمجالس الذكر(١٧) فقد قال أنس بن مالك (ت ٩٢هـ) صاحب رسول الله (ص) موجها حديثه لاثنين من القصاص ، وواصفا لهم مجالس القصاص في بداية الاسلام ، ومفرقا بينها وبين مجالس الذكر في أواخر ايامه :

« لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه ، يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا ، وانما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين »(١٨) .

هذا وقد وردت اخبار كثيرة عن الرسول (ص) وصحابته في الثناء على مجالس الذكر ، أو بمعنى آخر في الثناء على مجالس القصاص(١٩) ، واذا ما تطرقنا الى مدلول كلمة « ذِكر » ومشتقاتها في القرآن الكريم لوجدنا انها استعملت للدلالة على الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم(٢٠) واستعملت كذلك للدلالة على الصلاة ، والتسبيح ، وتمجيد الله ، وحمده ، والثناء عليه ، وقراءة القرآن ، وتفهم معانيه(٢١) واستعملت ايضا لتعطي معنى العبرة والموعظة(٢٢) وضمن هذا الواقع يمكن القول : إن الله أراد بقوله تعالى :

« فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »(٢٣)

أي : القصاص (الوعاظ) فهم اهل الذكر او أهل القرآن ، او اهل الكتب السماوية كذلك ، كما دل تفسير هذه الآية الكريمة(٢٤) .

ان الروايات التي تناولت القصاص بالحديث تذكر ايضا أن القصاص كانوا من قراء القرآن ، فمن أوائل القصاص تميم الداري ، الذي استأذن عمر بن الخطاب ان يذكّر الناس في مسجد المدينة ، فأذن له عمر بذلك ، واستمر في قصصه بمسجد المدينة حتى نهاية خلافة عثمان(٢٥) فقيل عنه إنه كان من جماع القرآن على عهد رسول الله (ص)(٢٦) ، وعرف عنه قراءته للقران ، فيذكر انه قرأ القرآن في

ركعة واحدة(٢٧) وكان كثير التهجد ، فقد قام ليلة حتى اصبح بآية من القرآن الكريم ، يركع ويسجد ويبكي ، والآية هي : « ام حسب الذين اجترحوا السيئات .. » الى آخر الآية(٢٨) ، وعند كذلك فيمن كانوا يفتون الناس بالمدينة المنورة ايام الراشدين(٢٩) . وقد قيل ذلك في اول قاص بمكة ايام عمر بن الخطاب، عبيد بن عمير الليثي (ت٦٨هـ)(٣٠) حيث كان من قراء القرآن ، وقد اعتمدت قراءته لدى القراء فيما بعد(٣١) كما كان لديه مصحف ، وردت فيه بعض القراءات التي تختلف عن القراءات في المصاحف الاخرى(٣٢) ، وكان يقال لابنه عبد الله (عبيد الله) سيد القراء(٣٣) ونلحظ هذا اذا ما تعرفنا على اول قاص بمصر ، سليم بن عتر التجيبي (ت ٧٥ هـ) الذي تولى القصص بها من سنة ٣٨هـ ، وحتى سنة ٦٥ هـ ، حيث قيل عنه :

« انه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات ، وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، ويسجد في المفصل ، ويسلم تسليمة واحدة ، ويقرا في الاولى بالقصيرة، وفي الثانية بقل هو الله احد »(٣٤) .

وقيل عن سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) انه كان يجلس الى قاص يقرا القرآن في مسجد المدينة ، ويستمع اليه(٣٥) . ويتحدث المدائني (ت ٢١٥هـ) عن القصاص في جيش معاوية ، الذي توجه الى الكوفة لملاقاة الحسن بن علي سنة ٤٠هـ ، انهم كانوا يقصون على الجند ، يحرضونهم ويقرؤون سور القرآن عليهم(٣٦) ويشير عمر بن العزيز الى قراءة قاص المدينة ، مسلم بن جندب الهذلي (ت١٠٦ هـ) بقوله :

« من سره ان يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب »(٣٧)

ويذكر كذلك عن عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني (ت ٨٣ هـ) ، قاص الجماعة بمصر ايام عبد الملك بن مروان ، انه كان يقرا القرآن في المسجد الجامع في يوم الجمعة ثم يقص ، وقد قيل مثل ذلك عن قصاص الجماعة بمصر فيما بعد(٣٨) . وكان عبد الله ابن كثير (ت١٢٣ هـ) قاص الجماعة بمكة ، من القراء السبعة(٣٩) وكان محمد بن كعب القرظي (ت ١٠٨ ــ ١١٨ هـ) من قصاص المدينة الذين درسوا القرآن دراسة لم يدرسها احد من بعده(٤٠) . وذكر عن عطاء بن يسار (ت ١٠٣ هـ) ، قاص مكة انه كان يمتلك مصحفا ، واعتمد عليه في قراءة القرآن ، ووضع عطاء كذلك كتابا في عدد سور القرآن الكريم وآياته (٤١) . وهناك رواية اوردها الشعبي (ت ١٠٥ هـ) عن عائشة ام المؤمنين (ت ٥٨ هـ) ، ورواها كذلك ابن عباس (ت ٦٨ هـ) لمولاه عكرمة (ت ١٠٥ هـ) تؤيد المعلومات الآنفة الذكر ، وهي ان القصاص كانوا قراء قرآن ، وان القصص في هذه الفترة كان مرتبطا بالقرآن الكريم ، يقول الشعبي :

« قالت عائشة لابن ابي السائب (عطاء)، قاص اهل المدينة : ثلاثا لتبايعني عليها او لاناجزنك ، فقال ما هن ؟ بل انا ابايعك يا ام المؤمنين ، قالت : اجتنب السجع من الدعاء ، فاني عهدت رسول الله واصحابه لا يفعلون ذلك . وقصّ على الناس في كل جمعة مرة ، فان ابيت فثنتين ، وان ابيت فثلاثا ، فلا تمل (الناس) هذا الكتاب (القرآن الكريم) ، ولا الفينك تاتي القوم ، وهم في حديث من حديثهم ، فتقطع عليهم حديثهم ، ولكن اتركهم ، فان جرّوك عليه وامروك ، فحدثهم(٤٢) .

كل هذه المعلومات تؤكد لنا ان القصاص كانوا من اهل الذّكر ، ومن قراء القرآن ، او من اهل العلم الذين ارتبط بهم تعليم القرآن وسنة الرسول (ص) للمسلمين ونشرهما بينهم .

١/٣ ــ من المفروض ان يرتبط تعليم القرآن بالحديث عن آياته ، واسباب نزولها ، وما تتضمنه هذه الآيات من مواعظ وعبر واحكام ، ومن المفروض ان يشمل هذا ايضا سير الانبياء واتباعهم ، بما في ذلك سيرة خاتم الانبياء سيدنا محمد بن عبد الله (ص) . فقد قال الحسن البصري عن الاسود بن سريع التميمي اول قاص بالبصرة ما نصه :

« وكان اول من قص في هذا المسجد (مسجد البصرة) قال : غزوت مع رسول الله (ص) اربع غزوات »(٤٣) .

كما يذكر عن الاسود انه روى ثمانية احاديث عن الرسول (ص)(٤٤) . ويذكر حماد بن سلمة (ت ١٦٤ هـ) وهو من اهل الحديث ، عن عطاء بن ابي السائب (ت ١٣٦ هـ) ، قاص اهل مكة ، عن ابي البختري الطائي ما نصه :

« اتى علي عليه السلام على رجل في مسجد الكوفة وهو يقص ، فقال : من هذا؟ فقالوا : رجل يحدث ، فقال : اسالوه ، يعرف الناسخ من المنسوخ ، فسالوه، فقال: لا ، فقال ، ان هذا يقول : اعرفوني اعرفوني انا ابو فلان ، ثم قال له : لا تحدث»(٤٥).

وهناك رواية اوردها الفسوى توضح صلة القصص بسيرة الرسول (ص) والتحديث عنه ، يقول ابو الحصين الهيثم بن شفي :

« خرجت انا وابو عامر المعافري لنصلي بايلياء ، وكان قاصهم رجلا من الازد ، يقال له ابو ريحانة (شمعون بن زيد) من الصحابة ، فسبقني صاحبي (ابو عامر)الى المسجد ، ثم ادركته ، فجلست الى جنبه ، فسالني : هل ادركت قصص ابن ريحانة؟ فقلت له : لا ، فقال : سمعته يقول : نهى رسول الله (ص) عن عشرة : عن الوشر ، والوشم ، والنتف ، وعن مكامعة الرجل بغير شعار ، ومكامعة المراة بغير شعار ، وان

يجعل الرجل اسفل ثيابه حريرا مثل الاعاجم ، وعن النهبي ، وركوب النمر ، ولبوس الخاتم ، الا لذي سلطان »(٤٦).

ويحدثنا الزهري (ت ١٢٤ هـ) رواية تعطي نفس المدلول للرواية السابقة حيث يقول :

« اخبرني ابو ادريس الخولاني ، عائذ بن عبد الله ، وكان قاص اهل الشام وقاضيهم في خلافة عبد الملك ، انه سمع ابا هريرة يقول عن الرسول (ص) : من توضأ فليستنثر ، ومن استجمر فليوتر»(٤٧) .

يبدو واضحا ان الحديث عن سيرة الرسول (ص) ورواية الاحاديث عنه عدّا قصصا في القرن الهجري الاول ، كما عدت علوم القرآن وتفسيره قصصا كذلك، ويذكر الجاحظ نصا يوضح هذا كله حين قال :

« ومن القصاص ... ثم المعلى ، ثم قص في مسجده ابو علي الاسواري ، وهو عمرو بن فائد ، ستا وثلاثين سنة . فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة ، فما ختم القرآن حتى مات ، لانه كان حافظا للسير ولوجوه التأويلات ، فكان ربما يفسر آية واحدة في عدة اسابيع ، كأنّ الاية ذكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ ما يجوز ان يلحق في ذلك من الاحاديث الكثيرة»(٤٨) .

٢/٣ ــ ان الرجوع الى بعض الروايات التي رواها القصاص ، نقلا عن بعض المصادر الاسلامية ، ستزيد من معرفتنا بالقصص والقصاص في صدر الاسلام . فقد أخذ محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١ هـ) عدة روايات ترجع الى عبيد بن عمير الليثي (ت ٦٨ هـ) اول من قص بمكة في عهد عمر بن الخطاب ، وقد تضمنت هذه الروايات المواضيع الآتية : ــ قصة نوح وقومه(٤٩) ، ودعوة ابراهيم الخليل الناس للحج الى البيت الحرام ، وتعليمه اياهم مناسك الحج وشعائره(٥٠)، الذبيح في قوله تعالى « وفديناه بذبح عظيم »(٥١)، نزول الوحي على سيدنا محمد (ص) وموقف خديجة وورقة بن نوفل من ذلك ، وبداية الدعوةالاسلامية(٥٢)، فضيلة شهر محرم(٥٣)، فضيلة يوم الجمعة(٥٤) ، سؤال ابن الكواء علي بن ابي طالب عن السواد الذي يظهر في القمر ،(٥٥) تفسير سورة الفيل(٥٦) . ويورد الواقدي رواية له عن دور الملائكة في معركة بدر ، وعدم مشاركتهم المسلمين معركة أحد(٥٧) . عذاب القبر وسؤاله(٥٨) . موقف علي بن ابي طالب من احداث الفتنة(٥٩) وروى ابنه عبيد الله رواية ، ذكر فيها خطبة الرسول (ص) حين فتح مكة ، اكد فيها على حرمتها(٦٠) وروى عن الرسول (ص) حديث حد شارب الخمر(٦١) .

ومن مشاهير القصاص في بلاد الشام ابو ادريس الخولاني عائذ بن عبد الله (ت ٨٠ هـ) قاص الجماعة بدمشق ايام عبد الملك بن مروان ، فقد روى روايات

تطرقت الى المواضيع الآتية : عدد الانبياء والرسل ، وعدد الكتب المنزلة عليهم(٦٢) ، عدد الرسل من السريانيين(٦٣) عدد انبياء بني اسرائيل ، وبعض ما ورد في صحف موسى(٦٤) احداث بيعة العقبة الاولى ونصوصها(٦٥) احداث بيعة العقبة الثانية(٦٦) موقف الرسول (ص) من مقتل معاوية(٦٧) حديث الرسول (ص) عن افضلية اهل الشام عن غيرهم من الامصار(٦٨) حديث عن الرسول (ص) في الوضوء(٦٩) حديث عن الرسول في الدعاء(٧٠) حديث عن الرسول (ص) في تحية المسجد وكيفية الصلاة(٧١) ، خطبة للرسول (ص) شملت الترهيب والترغيب بالنار والجنة(٧٢) .

اما عطاء بن يسار (ت ١٠٣ هـ) قاص اهل المدينة(٧٣) فقد تطرق في رواياته الى الموضوعات الآتية : حملة ابرهة على الكعبة(٧٤) ، هجرة الرسول (ص) الى المدينة ، وهدايا اسعد بن زرارة له(٧٥) ، اسباب نزول بعض الآيات القرآنية(٧٦) ، موقف عمر وعثمان من اهل بدر ، وجعلهما ابن عباس ، الذي يفتي الناس في ايامهما ، من طبقة اهل بدر(٧٧) ، العلاقة الجيدة بين العباس وابنه عبد الله وبين عمر بن الخطاب(٧٨) ، فضائل اهل اليمن(٧٩) ، وصية الرسول (ص) لعلي بن ابي طالب عندما ارسله الى اليمن(٨٠) ، معاملة الرسول (ص) الحسنة لاسامة بن زيد(٨١) ، حديث للرسول (ص) في عتق جارية اسلمت(٨٢) ، حديث للرسول (ص) في الوضوء(٨٣) ، حديث للرسول (ص) في صلاة الاعياد والاستسقاء والكسوف(٨٤) ، حديث للرسول (ص) في الغسل يوم الجمعة(٨٥) ، موقف الرسول (ص) من الصلاة في الحرم(٨٦) موقف الرسول (ص) من حركة الشمس واوقات الصلاة(٨٧) ، موقف الرسول (ص) من صلاة الصبح وصلاة العصر(٨٨) ، موقف الرسول (ص) من القبل في شهر رمضان(٨٩) ، موقف معاوية وابي الدرداء من احدى اشكال البيع(٩٠) ، موقف الرسول (ص) من السلف في البيع(٩١) .

وتناول ابو حمزة محمد بن كعب القرظي (ت ١١٨هـ) احد قصاص المدينة(٩٢) وكان ملازما لعمر بن عبد العزيز ايام خلافته(٩٣) في رواياته المواضيع الآتية : قصة قوم لوط(٩٤) ، قصة النبي شعيب وقومه(٩٥) ، قصة اليهود والنبي موسى في مصر(٩٦) ، قصة النبي سليمان ومعجزاته(٩٧) ، قصة الذبيح(٩٨) ، المسيحية ودخولها الى نجران(٩٩) ، نزول الوحي وقصة الاسراء(١٠٠) ، عرض الرسول (ص) الاسلام على القبائل العربية وبخاصة على اهل الطائف(١٠١) ، قصة الغرانيق العلى ، وموقف قريش من ذلك(١٠٢) ، ليلة هجرة الرسول (ص) من مكة الى المدينة(١٠٣) ، غزوة ذات العشيرة (١٠٤) ، معركة احد(١٠٥) ، غزوة الخندق(١٠٦) ، كتاب صلح الحديبية(١٠٧) ، تعذيب عمار بن ياسر(١٠٨) ، زواج الرسول (ص) احدى سبايا بني قريظة(١٠٩) ، معركة بدر(١١٠) ، غزوة بني قينقاع(١١١) غزوة السويق(١١٢) ، غزوة الخندق(١١٣) ، غزوة بني النضير(١١٤) ، معركة مؤتة(١١٥)، فتح المسلمين لافريقية وصلحهم بها(١١٦)، حياة ابن عباس بعد ما اصبح ضريرا(١١٧) .

وتحدث عبد الله بن كثير (ت ١٢٣ هـ) قاص الجماعة بمكة(١١٨) عن المواضيع الآتية : حملة ابرهة على الكعبة(١١٩) ، استكتاب الرسول (ص) لمعاوية بن ابي سفيان بأمر من الوحي(١٢٠) ، تفسير آيات من القرآن الكريم(١٢١) .

وتطرق مرثد بن عبد الله اليزني (ت ٨٦هـ) قاص الجماعة بالاسكندرية ثم بمصر(١٢٢) ، في رواياته عن رؤية هلال رمضان ، كما رواها عقبة بن عامر الجهني(١٢٣)، أخبار بيعة العقبة الاولى ونصوصها(١٢٤) ، صلح المسلمين لأهل انطابلس بافريقية(١٢٥) .

وتحدث معبد بن خالد الجدلي العدواني (ت ١١٨ هـ) قاص أهل الكوفة(١٢٦) وكان في جيش الكوفة الذي يحرس دار الامارة سنة ٤٥هـ(١٢٧) في رواياته عن : حديث الرسول (ص) عن يوم القيامة(١٢٨) ، ولاية المغيرة بن شعبة وزياد بن ابيه للعراق(١٢٩)، قصة الكرسي واليمانية في حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي(١٣٠) ، دخول عبد الملك بن مروان الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير(١٣١) .

اما ابو محمد ثابت بن اسلم البناني القرشي البصري (توفي في البصرة ايام ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق) احد قصاص البصرة(١٣٢) وكان ممن يجلس الى الحسن البصري(١٣٣) فقد تطرق في رواياته الى : قصة المعراج(١٣٤) ، هدايا الضحاك بن سفيان الكلابي الى الرسول (ص)(١٣٥) ، معركة أحد(١٣٦) ، صفة رسول الله (ص)(١٣٧) ، موقف الرسول (ص) المؤيد للموالي ، والطعن في قضية العرق والنسب للمفاضلة(١٣٨) ، شهادة الرسول (ص) لمعاوية بن ابي سفيان بالجنة (١٣٩) ، ثم وفاة الرسول (ص)(١٤٠) .

ومن القصاص مطر الوراق ابو رجاء بن طهمان الخراساني (ت١٢٩هـ)(١٤١) فقد تناول في رواياته ابراهيم الخليل والحنفية(١٤٢) ، قصص داود وسليمان(١٤٣) وكان خالد (عبد الله) بن يزيد (زيد) الجهني قاصا في جيش مسلمة بن عبد الملك المحاصر للقسطنطينية(١٤٤) فقد روى حديثا عن الرسول (ص) في فضل الرمي في سبيل الله(١٤٥) .

ومن القصاص ايضا سعد بن عبيدة السلمي (ت١٠٥ هـ) كان قاصا بالكوفة(١٤٦) يروي قصة مقتل الحسين بن علي(١٤٧) . ومن قصاص المدينة ايضا عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري (توفي في نهاية الدولة الاموية)(١٤٨) يتحدث عن موقف الانصار المؤيد لعلي بن ابي طالب وخروجهم معه الى العراق(١٤٩) وخطبة علي بن ابي طالب في صفين يحرض فيها جيشه للقتال(١٥٠) . ومن القصاص كذلك عمر بن ذر الهمذاني (ت١٣٢هـ) كان قاصا بواسط والكوفة في نهاية الدولة الاموية(١٥١) وكان على علاقة جيدة بأبي حنيفة(١٥٢) فقد روى عن العمرات التي أداها رسول الله (ص) بعد نبوته(١٥٣) .

ومن القصاص كذلك الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وابنه سعيد(١٥٤) حتى ان أم الحسن البصري كانت تقص على النساء في مسجد البصرة(١٥٥) وقد الف الحسن البصري كتابا في تفسير القرآن(١٥٦) وعن مواضيع الروايات التي نقلت عن الحسن البصري نلاحظ انها تضمنت المواضيع الآتية: تفسير آيات قرآنية واسباب نزولها(١٥٧)، هبوط آدم وحواء ودفنهما(١٥٨) ، نوح وابناؤه سام وحام ويافث ونسلهم (١٥٩) قصة الذبيح(١٦٠) ، قصة ابراهيم الخليل(١٦١) ، قصة النبي ايوب(١٦٢) قصة النبي يوسف(١٦٣) ، قصة النبي داود وبني اسرائيل(١٦٤) ، قصة الملك سليمان(١٦٥) ، حجة الله على كسرى في سيدنا محمد (ص)(١٦٦) ، نزول الوحي وبداية الدعوة الاسلامية ونزول القرآن(١٦٧) ، محاولات العرب قتل محمد (ص) ورعاية الله له (١٦٨) ، فتوح فارس(١٦٩) ، سيرة عمر بن الخطاب(١٧٠) ، امارة عبد الله بن عامر للعراق(١٧١)، حصار عثمان ومقتله ونتائج ذلك في انقسام الامة(١٧٢)، اجراءات عمر بن الخطاب ضد تجار قريش بعدم السماح بالانتشار في الامصار(١٧٣) ، سيرة طلحة بن عبيد الله(١٧٤) ، صفة عثمان بن عفان(١٧٥) ، بيعة الزبير بن العوام علي بن ابي طالب(١٧٦) ، معركة صفين(١٧٧)، سيرة معاوية بن ابي سفيان ،(١٧٨) الاحداث بالبصرة بعد موت يزيد ابن معاوية(١٧٩) ، موقف الحسن من ثورة يزيد بن المهلب(١٨٠) ، موقف الرسول (ص) الجيد من الموالي(١٨١) ، فتح تستر(١٨٢) ، اسلام علي بن ابي طالب(١٨٣) ، مقتل الحسين بن علي(١٨٤)، موقف الرسول (ص)من مضر وربيعة(١٨٥)، يروي احاديث عن الرسول(ص) في قضايا كثيرة(١٨٦) ، موقف عمر بن الخطاب من تولية المستضعفين كعمار بن ياسر(١٨٧) حب الرسول (ص) لعمار بن ياسر(١٨٨) ، قصة الاسراء والمعراج(١٨٩) احاديث الرسول (ص) في فضائل الصحابة(١٩٠) ، زواج الرسول (ص)(١٩١) ، ولاية زياد بن ابيه للعراق وسيرته فيه(١٩٢) ، دفن الرسول (ص)(١٩٣) ، مرض الرسول (ص) وموقفه من قضية الخلافة من بعده بالاشارة لابي بكر بالصلاة بالمسلمين(١٩٤) ، موقف الرسول(ص) من معاوية(١٩٥) ، احداث الفتنة الثانية(١٩٦) ، ولاية عبيد الله بن زياد للعراق وسيرته فيه(١٩٧) ، سيرة عثمان بن عفان وفضله(١٩٨) ،عظة الرسول (ص) لابن عباس(١٩٩) ، ولاية ابن عباس للبصرة(٢٠٠) ، موقف الرسول (ص) من اهمية العفو عن الناس(٢٠١) .

وممن ذكر انهم كانوا يقصون قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ)(٢٠٢) ، وقيل عنه انه كان يحفظ ولا يجيد الكتابة(٢٠٣) وقد سمع من الحسن البصري وجلس مكانه في العلم والحديث والتفسير حين توفي الحسن(٢٠٤) فقد تناولت روايته المواضيع الآتية : تفسير الآيات القرآنية واسباب نزولها(٢٠٥) ، يوم القيامة(٢٠٦) ، قصة ابليس(٢٠٧) ، قصة حواء وآدم(٢٠٨) وهبوطهما على الارض ، بناء آدم للبيت الحرام(٢٠٩) ، الانبياء بين آدم ونوح(٢١٠) ، سفينة نوح(٢١١) ، ابناء نوح ونسلهم(٢١٢)، قصة ابراهيم الخليل ومناسك الحج(٢١٣) ، قصة قوم لوط(٢١٤) ، قوم شعيب(٢١٥) ،

قصة موسى وفرعون(٢١٦) ، قصة قارون(٢١٧) ، قصة داود(٢١٨) ، قصة اصحاب الكهف(٢١٩) ، من اول الناس اسلاما(٢٢٠) ، نزول الوحي والقرآن على محمد (ص) بمكة والمدينة(٢٢١) ، الصلاة نحو بيت المقدس وتحويلها الى الكعبة(٢٢٢) ، عدد من شارك بمعركة بدر من المسلمين(٢٢٣) ، قصر الصلاة(٢٢٤) ، معركة حنين (٢٢٥) ، نزول الوحي واسلام خديجة اولا(٢٢٦) ، الطلاق (٢٢٧) ، تعذيب بلال بن رباح (٢٢٨) ، قصة الاسراء(٢٢٩) ، سيرة معاوية وابن عباس ومناسك الحج(٢٣٠) ، موقف الرسول (ص) من تولية أبي بكر وعمر ، وموقف المسلمين من تولية علي بن ابي طالب(٢٣١) ، سيرة معاوية ابن ابي سفيان(٢٣٢) ، سيرة زياد بن ابيه في العراق(٢٣٣) ، مقتل حجر بن عدي(٢٣٤) ، سيرة عثمان بن عفان(٢٣٥) ، سيرة عمر بن الخطاب والشورى التي وضعها(٢٣٦) ، عثمان وابي ذر الغفاري(٢٣٧) ، موقف الحسن بن علي من مقتل عثمان(٢٣٨) ، مقتل عثمان(٢٣٩) شخصية ابن عباس(٢٤٠) ، تاريخ معركة جلولاء(٢٤١) .

ومن بين القصاص المشهورين ، الذين كان لهم صلة باليهودية او قراءة الكتب القديمة ، كعب الاحبار ، وتبيع ابن امراة كعب الاحبار ، وكلاهما من حمير ، ووهب بن منبّه من الأبناء باليمن . لقد كان كعب الاحبار يهوديا قبل اسلامه ، وهاجر في خلافة عمر بن الخطاب للمدينة اولا ، ثم استقر بحمص وتوفي بها سنة ٣٢هـ ، قرأ الكتب السماوية القديمة وكان يقص اثناء امارة معاوية على الشام(٢٤٢) شارك المسلمين في غزوة جزيرة قبرص(٢٤٣) ويذكر انه التقى بعلي بن ابي طالب باليمن قبل هجرته واسلامه (٢٤٤) تناول في رواياته المواضيع الآتية : عمر الحياة الدنيا حتى يوم القيامة(٢٤٥) قصة خلق الارض(٢٤٦) ، فضيلة يوم الجمعة(٢٤٧) ، قصة الذبيح(٢٤٨) ، تفسير الآيات القرآنية(٢٤٩) ، شهادته لعبد الله بن عباس بتفوقه عليه في العلم(٢٥٠) ، شهادته لعبد الله ابن عمرو بن العاص بالعلم(٢٥١) ، قال : ان تسعة اعشار الشر في العراق والجزء الباقي في الغرب(٢٥٢) ، اشار على عمر بن الخطاب بزيارة الشام(٢٥٣) علاقته الجيدة بعمر بن الخطاب ، يروي عن صفته ومقتله كما جاء في التوراة ويتحدث عن شعبية عمر بين المسلمين(٢٥٤) . علاقته الجيدة بعثمان بن عفان ودفاعه عنه امام ابي ذر الغفاري(٢٥٥) ، مخالفته ابن عباس ومعاوية في قراءة بعض الآيات القرآنية(٢٥٦) ، يحدث عمر عن قصة البيت الحرام(٢٥٧) ، تنبأ بفتح الاندلس(٢٥٨) ، تنبأ بمقتل عثمان ومصير الامر من بعده لمعاوية(٢٥٩) ، تنبأ بمصير الامر بعد بني امية الى بني العباس(٢٦٠) .

اما تبيع بن عامر الحميري (ت ١٠١ هـ) وكان يقص على الصحابة بحمص ، وكان قد اسلم ايام ابي بكر(٢٦١) اخذ العلم عن كعب الاحبار ، وقرأ الكتب القديمة(٢٦٢) ، شارك في فتح جزيرتي ارواد ورودس سنة ٥٣ هـ(٢٦٣) ، ويذكر انه تعلم القرآن على يد مجاهد بن جبر اثناء وجوده بجزيرة ارواد(٢٦٤) ، تنبأ بثورة عمرو بن سعيد الاشدق(٢٦٦) ، تنبأ ايام عبد الملك بن مروان بأن الامر سيصير الى بني العباس(٢٦٧) .

أما وهب بن منبه(٢٦٨) فكان من مشاهير القصاص في اليمن ، وقرأ الكتب القديمة، تناولت رواياته قصة الخلق والبدء وقصص الانبياء والرسل وقصص ملوك حمير وانتهى بسيرة الرسول (ص) حتى وفاته(٢٦٩) ، وقد عرف كل من كعب الاحبار ووهب بن منبه بتفاسيرهم للقرآن الكريم(٢٧٠) .

* * *

مما مر يمكن القول ان القصاص (الوعاظ) كانوا في صدر الاسلام علماء الامة الاسلامية ، كونهم كانوا قراء القرآن ، والمفسرين له ، او المتحدثين عن احكامه، وقصصه ، ابتداء بقصة البدء والخلق ، ومرورا بقصص الانبياء والرسل ، وانتهاء بسيرة الرسول (ص) . ان اهتمامهم بسيرة الرسول (ص) جعلهم من اهل الحديث والمغازي ، كما اشارت لنا بذلك مواضيع رواياتهم التي وردت في الفقرات السابقة ، وقد ذكر الشافعي كذلك وهب بن منبه وعطاء بن يسار ضمن قائمة اهل الحديث في العراق في القرن الهجري الاول(٢٧١) . ويلاحظ بوضوح كذلك من روايات القصاص انهم لم يقتصروا في قصصهم او احاديثهم على قصص القرآن بما في ذلك سيرة الرسول الكريم(ص) ومغازيه فقط بل تجاوزوا ذلك للحديث عن قصص (تاريخ) صحابته او الفترة الراشدة والفترة السفيانية ، ولعل تناولهم احداث التاريخ الاسلامي بعد وفاة الرسول (ص) ، وهو ما ميزهم عن غيرهم من علماء (قصاص) الامة الاخرين فيما بعد ممن التزم بمفهوم القصص الذي حدد بالقرآن واجراءات الرسول (ص) ، جعلهم بذلك مثار نقد من العلماء الاخرين الذين رفضوا الدخول او القصص في هذه الاحداث، لان الحديث عن قصص الصحابة والتابعين سيجر الحديث عن الفتنة مما يثير الخلافات بين المسلمين ويهدد وحدة الجماعة الاسلامية .

وامام هذا كله يمكن القول ان هناك صلة بين القصاص وظهور المدرسة التاريخية الاسلامية في القرن الهجري الاول ، حيث تحدث القصاص عن بدء الخليقة ، وتاريخ الرسل والانبياء ، وتاريخ مكة ، او العرب قبل الاسلام ، وظهور الدعوة ونجاحها ، وسيرة الرسول (ص) ثم سيرة صحابته وتابعيهم (الفترة الراشدة والفترة السفيانية) او ربط القصاص بين التاريخ العربي الاسلامي والتاريخ العالمي ، وهذا ما جاء فعلا في القرآن الكريم ، وقد اعتمد الهيكل التاريخي لقصصهم اول من كتب عن السيرة النبوية والتاريخ العربي الاسلامي .

٤ ــ لقد عمل القصص او الوعظ الديني على توجيه المجتمع نحو الفكر الديني، وذلك بتوضيح وجهة نظر الاسلام (تعليم الناس القرآن واحكامه ومواعظه وسنة الرسول (ص) في امور الحياة العامة للانسان المسلم(٢٧٢) وينقلنا هذا بدوره ، كما ستشير الروايات الى ذلك ، الى وجود علاقة بين القصص (القاص) والافتاء (المفتي)

والقضاء (القاضي) وعلى الاخص في القرن الهجري الاول . فقد روى عن علي بن ابي طالب اعتراضه على احد القصاص الذي كان يفتي ويوضح وجهة نظر الاسلام في امور الناس العامة ، او يجيب عن تساؤلاتهم بالكوفة ، كونه لا يعلم الناسخ من المنسوخ:

« دخل عليٌ يوما مسجد الجامع بالكوفة ، فراى فيه رجلا يعرف بعبد الرحمن ابن داب ، وكان صاحبا لأبي موسى الاشعري ، وقد تحلق عليه الناس يسألونه ، وهو يخلط الامر بالنهي ، والاباحة بالحظر ، فقال له علي : اتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت واهلكت ، ابو من انت ؟ قال : ابو يحيى ، فقال له علي : أنت ابو اعرفوني ، واخذ اذنه ففتلها ، وقال : لا تقصَّنَّ في مسجدنا بعد»(٢٧٣) .

وروى ابو عبد الرحمن السلمي (ت٧٥هـ) احد القراء ورواة الحديث ، الرواية السابقة على النحو التالي :

« ان علي بن ابي طالب مر بقاص فقال : هل علمت الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت واهلكت »(٢٧٤) .

ويروي الضحاك بن مزاحم (ت١٠٥هـ) الرواية نفسها لكن الحادثة مع ابن عباس حين يقول :

« مر ابن عباس بقاص يقص ، فركضه برجله وقال : تدري الناسخ من المنسوخ؟ قال : لا ، قال : هلكت واهلكت »(٢٧٥) .

وقد وردت رواية ابي عبد الرحمن السلمي السالفة الذكر على النحو الآتي :

« ان علياً مر على قاص فقال : هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال: هلكت واهلكت »(٢٧٦) .

وهناك آية قرآنية تقول :

« قل إني على بينة من ربي وكذبتم بـه ما عندي ما تستعجلون به إن الحكمُ الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين»(٢٧٧) .

وقد وردت هذه الآية في قراءات اخرى « .. ان الحكم الا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين »(٢٧٨) . ويروي حذيفة بن اليمان (ت ٣٦ هـ) رواية نصها :

« انما يفتي الناس احد ثلاثة : رجل قد عرف ناسخ القرآن من منسوخه ، وامير لا يجد من ذلك بدا ، واحمق متكلف» (٢٧٩) .

وقد وردت هذه الرواية بنص آخر :

« لا يقص على الناس الا ثلاثة : امير او مأمور ، ورجل عرف الناسخ والمنسوخ، ومتكلف احمق »(٢٨٠) .

وقد روت المدرسة الشامية بوساطة عوف بن مالك الاشجعي (ت ٧٣هـ) عن الرسول (ص) حين قال :

« القصاص ثلاثة : امير ، او مأمور او احمق مختال »(٢٨١) .

ويروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص)المعنى نفسه حين يقول :

« لا يقص على الناس الا ثلاثة : امير ، او مأمور ، او متكلف »(٢٨٢) .

يبدو واضحا استعمال الرواة لكل من : يقص ، ويقضي ، ويفتي، لتعطي جميعها معنى واحدا ، وهذا ما يشعر بأن القصص والقضاء والافتاء كان يتولاها او يقوم بها شخص واحد فيالقرن الهجري الاول . ونرى في روايات اخرى ما يؤكد ذلك ، فقد اطلق الرواة على مشاهير القصاص الاوائل لفظ القضاة ، فقد ذكر عن مسجد البصرة، ما نصه : « ويقال بل اختطه الاسود بن سريع التميمي ، (اول من قص بالبصرة منذ ايام عمر بن الخطاب)وهو اول من قضي فيه »(٢٨٣) . ويقول مجاهد (ت١٠٣هـ) عن أول قاص بمكة عبيد بن عمير الليثي(ت٦٨هـ) : «كنا نفتخر بفقيهنا ابن عباس، وقاضينا عبيد بن عمير »(٢٨٤) ويذكر اليعقوبي : « وكان عبد الله (عبيد) بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير »(٢٨٥) . وتولى كذلك وهب بن منبه (ت١١٠هـ) احد مشاهير قصاص القرن الاول الهجري ، القضاء لعمر بن عبد العزيز على صنعاء ، وبقي على قضائها حتى توفي(٢٨٦) .

وتظهر لنا الروايات كذلك تولي القصاص أيام بني امية القصص والقضاء فيذكر عن سليم بن عتر التجيبي ، أول قاص بمصر ، ما نصه :

« ان أول من قص بمصر سليمان (سليم) من عتر التجيبي سنة ثمان وثلاثين ، وجمع له القضاء الى القصص ، ثم عزل عن القضاء وافرد بالقصص ، وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة فيها سنتان قبل القضاء (أي انه جمع له القضاء سنة ٤٠هـ حين بويع معاوية بالخلافة) »(٢٨٧) .

ونجد الشيء نفسه في رواية لعبد الرحمن بن حجيرة الخولاني (ت٨٣هـ) وهو قاص وقاضي الجماعة بمصر ، حين يقول :

« اختصم الى سليم بن عتر في ميراث ، فقضي بين الورثة ، ثم تذاكروا فعادوا

اليه ، فقضي بينهم ، وكتب كتابا بقضائه ، واشهد فيه شيوخ الجند ، فكان اول من سجل بقضائه»(٢٨٨) .

ويذكر ان عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني ، قاص الجماعة بمصر قد تولى القضاء والقصص بمصر سنة ٧٦هـ ، وتولى المنصب نفسه بمصر ايام بني امية كل من مرشد بن عبد الله اليزني ، وتوبة بن نمر الحضرمي ، وخير بن نعيم الحضرمي(٢٨٩)، وقد تولى كذلك ابو ادريس الخولاني عائذ بن عبد الله (ت ٨٠ هـ) القصص والقضاء بدمشق لمعاوية وعبد الملك بن مروان(٢٩٠) .

ان الروايات السالفة الذكر تؤكد وبدون ادنى شك ان هناك صلة بين القصص (القاص) والافتاء (المفتي) والقضاء (القاضي) ، وربما يتساءل البعض ان هذا ربما نشأ عن طريق النساخ ، واختلاف القراءات ، وان الاصل ربما يكون واحدا وهو (يقص ، يقضي ، يفتي) مثلا ، وهذا التساؤل لا يمكن قبوله من خلال المعلومات السابقة . وامام هذا فانه لاول وهلة لا يمكن القول ان القاص كان هو القاضي وهو نفسه المفتي ، فمن الجائز ان يقص القاضي وكذلك المفتي ولكن من الصعب ان يقضي القاص بين الناس او يفتيهم ، وهذا يمكن قبوله من مفهوم هذه الوظائف في القرن الثاني للهجرة وما بعده حين اخذ يختلف بعضها عن بعض . ويشعرنا هذا البحث ان هذه الوظائف كانت في الاصل وظيفة واحدة الا وهي القصص ، فقد كان القاص ايام الرسول (ص) وفي الفترة الراشدة عالم الامة ، وقارىء القرآن ، وعارفا لسيرة الرسول الكريم (ص) فهو الشخص المؤهل للافتاء او توضيح وجهة نظر الاسلام في امور حياة الناس العامة ، وهو المؤهل كذلك لان يتولى مهنة القضاء التي تعني غالبا فض النزاعات على اسس اسلامية وباشراف من السلطة ، والتي بدأت بالظهور ايام معاوية بن ابي سفيان(٢٩١) . واستمر القصاص بوعظ الناس او القصص عليهم او الافتاء لهم . وهكذا يبدو الخلط الذي جاء في الروايات عنهم مقبولا .

يبدو ان القضاء في الفترة الاموية ، ونتيجة انقسام الامة ، وظهور الفرق والاحزاب ، قد تأثر بالسلطة القائمة ، دع عنك ان العلماء والفقهاء في القرن الثاني للهجرة لم يأخذوا بعين الاعتبار الاجراءات الاموية كاساس او سوابق شرعية يعتمد عليها ، لذا عبّر بعض العلماء الورعين عن رغبتهم وتأييدهم للقصص (الوعظ) وكراهيتهم لتولي القضاء بين الناس ، او بمعنى آخر ايدوا الافتاء الذي لا يتأثر بالسياسة ، وعارضوا الافتاء الذي يتأثر بالسياسة ، فقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) للقاص وقاضي الجماعة في مصر ، سليم بن عتر التجيبي ، عندما وعظه سليم بمبايعة يزيد بن معاوية :

« واما انت يا سليم بن عتر فكنت قاصا ، فكان معك ملكان يعينانك ويذكرانك، ثم صرت قاضيا ، فمعك شيطانان يزيغانك عن الحق ويفتنانك »(٢٩٢) .

وقال عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني (ت ٨٣ هـ) ، وكان قاص الجماعة بمصر وقاضيها ، ، لما علم ان ابنه تولى القصص : « الحمد لله ذكّر ابني وذكّر » ، ولما عزل وتولى القضاء قال:« انا لله هلك ابني واهلك »(٢٩٣) . ولما عزل ابو ادريس الخولاني عن القصص ، واقر على القضاء ، قال : « عزلوني عن رغبتي ، وتركوني في رهبتي »(٢٩٤). وهكذا رفض كل من : إياس بن معاوية ابتداء(٢٩٥) ومكحول الشامي(٢٩٦) وابو حنيفة(٢٩٧) تولي منصب القضاء عندما طلبت السلطة منهم ذلك .

٥ ــ يبدو ان هناك صلة قوية بين القصاص وامامة الصلاة، فان في ربط قضايا الذكر والوعظ والقنوت والدعاء(٢٩٨) بالقصاص تجعلنا نميل الى تأكيد هذه الصلة، وهم مؤهلون بطبيعة الحال لذلك كونهم قراء القرآن ، وعلى علم بسيرة الرسول (ص) وسنته . كما ان هناك روايات اخرى تشعرنا بهذا بشكل غير مباشر ، فيذكر عن تميم الداري ، اول من قص في مسجد الرسول (ص) بالمدينة المنورة ايام عمر وعثمان، انه اول من عمل المنبر في المسجد(٢٩٩) وان صلة المنبر بامامة الصلاة وبخطبة الجمعة او غيرها من الايام معروفة ايضا(٣٠٠) ويقال ايضا عنه انه اول من اسرج المسجد كذلك(٣٠١) وتتحدث الروايات عن صفة صلاته وقراءته للقرآن(٣٠٢) ويشير اليعقوبي الى ما يجعلنا نميل اكثر فاكثر الى صلة تميم بامامة الصلاة حين يذكر في احداث سنة ٤ اهـ ما نصه :

« وفي هذه السنة سن عمر بن الخطاب قيام شهر رمضان ، وكتب بذلك الى البلدان ، وامر ابي بن كعب وتميما الداري ان يصليا بالناس ، فقيل له في ذلك : ان رسول الله (ص) لم يفعله ، وان ابا بكر لم يفعله ، فقال : ان تكن بدعة فما احسنها من بدعة »(٣٠٣) .

وروت مثل ذلك الشافعية والمالكية والحنفية حين قالت ان عمر بن الخطاب امر ابيا وتميما ان يقوما للناس باحدى عشرة ركعة في ليالي رمضان(٣٠٤) .

ان صلة القصاص بخطبة الجمعة تؤكد كذلك كونهم كانوا ائمة الناس في الصلاة، فيذكر الزهري (ت ١٢٤ هـ) عن تميم الداري :

« اول من قص في مسجد رسول الله (ص) تميم الداري ، استاذن عمر بن الخطاب ان يذكر الناس فابى عليه حتى كان آخر ولايته ، فاذن له ان يذكر الناس في يوم الجمعة ، فكان تميم يقوم بذلك قبل ان يخرج عمر »(٣٠٥) .

واورد المقريزي نصا آخر عن القصص بمصر ، يشير الى صلة القاص بخطبة

الجمعة ، فبعد ذكره رفض عبد العزيز بن مروان نسخة المصحف التي بعثها الحجاج الى مصر وكتابته نسخة اخرى يقول :

« ولما فرغ من هذا المصحف ، كان يحمل الى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد العزيز فيقرأ فيه ثم يقص ، ثم يرد الى موضعه ، فكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني ، لانه كان يتولى القصص والقضاء يومئذ ، وذلك في سنة ست وسبعين »(٣٠٦) .

ولما كانت خطبة الجمعة وعظا وتذكيرا وقراءة قرآن(٣٠٧) او قصصا ، فلا شك ان تميما كان يقوم بذلك ، كما ان الخلاف في الروايات في الحديث عن القصص وخطبة الجمعة ، في تأدية ذلك قياما او جلوسا ، يزيد من الشعور لدينا بكون القاص هو امام الصلاة ، والمتولي لخطبة الجمعة في الوقت نفسه كذلك(٣٠٨)،وفي هذا ما يوحي بأن امام المسلمين او الخليفة وضع مكانه من ينوب عنه في امامة الصلاة ، اي وكل مهمة الوعظ او القصص الى القصاص(٣٠٩) . وفي تولي القصاص القضاء ايام بني امية ، وان القضاة كانوا هم نواب الخلفاء والامراء في امامة الصلاة في المساجد الجامعة ، ما يؤيد ما ذهبنا اليه(٣١٠) .

وتتحدث بعض الروايات بشكل مباشر عن كون القاص امام البلد الذي يقص فيه، فيذكر الجاحظ عن مسلم بن جندب الهذلي ، قاص مسجد النبي (ص) في المدينة : « وكان امامهم وقارئهم »(٣١١) . ويفهم هذا ايضا من رواية احد التابعين ابي الحصين الهيثم بن شفي حين يقول :

« خرجت انا وابو عامر المعافري لنصلي باياياء ، وكان قاصهم رجلا من الازد ، يقال له ابو ريحانة ، وكان من الصحابة ، فسبقني صاحبي الى المسجد ، ثم ادركته، فجلست جنبه ، فسألني : هل ادركت قصص ابي ريحانة ؟ قلت : لا ، قال : سمعته يقول : نهى رسول الله (ص) عن عشرة . . »(٣١٢) .

ويتضح هذا ايضا من كلام القضاعي عن القصص بمصر حين يذكر قائمة باسماء القصاص بمصر في القرون الاربعة الاولى ، ويذكر قراءة القصاص القرآن في المسجد، وقصصهم في ايام الجمع ، ثم يسمي هؤلاء القصاص بالائمة فجأة ، ويكمل حديثه ليبين تماما امامة القاص للصلاة حين يقول :

« ولم تزل الائمة يقرؤن في المسجد الجامع في هذا المصحف في كل يوم جمعة ، الى ان ولي القصص ابو رجب العلاء بن عاصم الخولاني في سنة اثنتين وثمانين ومائة ، فقرأ فيه يوم الاثنين ، وكان قد جعل المطلب الخزاعي ، امير مصر من قبل المأمون، رزق ابي رجب العلاء عشرة دنانير على القصص . وهو اول من سلم في الجامع تسليمتين

بكتاب ورد من المأمون يامر فيه ذلك ، وصلى خلفه محمد بن ادريس الشافعي ، حين قدم الى مصر ، فقال هكذا تكون الصلاة ، ما صليت خلف احد اتم صلاة من صلاة ابي رجب ولا احسن »(٣١٣) .

ويورد ابن عبد الحكم رواية توضح كون القاص امام المسلمين في صلاتهم ، ولو ان الفسوى اوردها بصيغة تختلف قليلا ، والرواية هي :

« وولي عبد الله بن عياش القصص ، وقد كان عقبة بن مسلم الهمداني على القصص فنحي عنه (عند مجيء بني العباس) فقال عقبة بن مسلم : والله ما انا بصاحب خراج ولا حرب ، وانما انا قاص اصلي بالناس [وردت لدى الفسوى : اقص بالناس] فان كنت اطول واحبوا ان اقصر قصرت ، وان كنت اقصر فاحبوا ان اطول طولت»(٣١٤) .

لقد كان القصص او الوعظ الديني مسيسا ايام بني امية الى درجة كبيرة(٣١٥) كما ان تولي القصاص القضاء زاد من معارضة العلماء الورعين للقصاص والقصص، ولما جاء بنو العباس الى الحكم عملوا ، في ما يبدو ، على تخفيف حدة القصص المسيس(٣١٦) وفصلوا مهنة القضاء عن القصص والقصاص ، والزموا القصاص بامامة الصلاة او بالوعظ والارشاد الديني ، ويتضح هذا من مراقبة نص المقريزي الهام الذي تحدث فيه عن القصاص بمصر في الاربعة قرون الاولى ، فاضاف دائما وظيفتي القصص والقضاء للقصاص ايام بني امية ، لكن النص لم يذكر وظيفة القضاء عند ذكره القصاص ايام بني العباس نهائيا(٣١٧) ، ولعل بني العباس ارادوا من ذلك كسب ود اهل الحديث والسنة والفقهاء الكبار الذين اتخذوا موقفا سلبيا من القصص والقصاص منذ بداية القرن الثاني للهجرة .

١/٦ ـ لقد كان لاحداث الفتنة الاولى ونتائجها من انقسام الامة وظهور الفرق والاحزاب الاثر الكبير في استخدام الجميع للفكر الديني او القصص الديني لخدمة توجهاتهم السياسية في مجابهة بعضهم بعضا ، وعندما تستخدم المعارضة او الدولة الفكر الديني للدفاع عن وجهة نظرها ، وللهجوم على الطرف الاخر ، يصبح العداء قويا والتطرف والتعصب شديدا ، ولعل ما قاله الاشعري (ت٣٣٠هـ) في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) يعبر عن هذا اصدق تعبير ، يقول الاشعري:

« اختلف الناس بعد نبيهم (ص) في اشياء كثيرة ، ضلل بعضهم بعضا ، وبرىء بعضهم من بعض ، فصاروا فرقا متباينين، واحزابا مشتتين ، الا ان الاسلام يجمعهم ويشتمل عليهم »(٣١٨) . .

بدات الامة الاسلامية الفتية تعيش مشاكل وازمات جديدة ، وذلك بعد

الانتصارات السريعة ، والهجرة الكثيفة للامصار المفتوحة ، والاستقرار ، والتنظيمات الادارية ، هذه المشاكل تمخضت عن الفتنة الاولى التي ادت بدورها الى انقسام الامة. وكان لابد للوعظ (القصص) الديني ان يتطرق الى هذه المشاكل ، ويتحدث عن اسبابها ، ومجرياتها ، وربما يتوقع بنتائجها ، كاحاديث الفتن والملاحم والتنبؤات ، وهكذا لم يعد القصص (الوعظ) يخدم وحدة الامة ويوجه فكرها نحو العدو المشترك ، كما كان الوضع ايام الرسول (ص) واثناء الفتوحات الاولى ، بل اصبح يخدم جماعة مسلمة ضد اخرى وباسم الدين . يورد المجلسي رواية شامية تحدثنا عن قصص ابي ذر الغفاري حين كان بالشام ، ويصلي بمن يجتمع اليه من الناس . تقول الرواية :

« لما سير عثمان ابا ذر الغفاري من المدينة الى الشام كان يقص علينا ، فيحمد الله ويشهد شهادة الحق ويصلي على النبي (ص) ويقول : اما بعد ، فانا كنا في جاهليتنا قبل ان ينزل علينا الكتاب ويبعث فينا الرسول(ص) ونحن نوفي بالعهدونصدق الحديث ونحسن الجوار ونقريالضيف ونواسي الفقير ، فلما بعث الله فينا رسوله، وانزلعلينا كتابه ، كانت تلك الاخلاق يرضاها الله ورسوله وكان احق بها اهل الاسلام ، واولى ان يحفظوها ، ولبثوا ذلك ما شاء الله ان يلبثوا ، ثم ان الولاة قد احدثوا اعمالا قباحا ما نعرفها من سنة تطفيء وبدعة تحيي ، وقائل بحق مكذب ، وأثرة لغير تقى ، وامين مستأثر عليه من الصالحين ، اللهم ما كان عندك خيرا فاقبضني اليك غير مبدل ولا مغير ، وكان يعيد هذا الكلام ويبديه ، فاتى حبيب بن مسلمة معاوية بن ابي سفيان فقال : ان ابا ذر يفسد عليك الناس بقوله كيت وكيت ، فكتب معاوية الى عثمان بذلك فكتب عثمان : اخرجه الي فلما صار الى المدينة نفاه الى الربذة(٣٢١) .

ويورد لنا المقريزي رواية اخرى تشير الى ان القصص اصبح مجرد القنوت اثناء الصلاة من قبل طرف مسلم على طرف آخر ، تقول الرواية :

« ان علياً رضي الله عنه قنت فدعا على قوم من اهل حربه [يقول عبد الله بن المفضل : (توفي في نهاية خلافة معاوية) امنا علي رضي الله عنه في المغرب فلما رفع راسه من الركعة الثالثة ذكر معاوية اولا وعمرو بن العاص ثانيا وابا الاعور السلمي ثالثا وكان ابو موسى الاشعري الرابع (المقريزي ، خطط ، جـ٢ ص ٢٥٣)] فبلغ ذلك معاوية ، فامر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب ، يدعو له ولأهل الشام ، فكان ذلك اول القصص »(٣٢٠) .

ويحدثنا المقريزي عن الاتجاه نفسه ايام عبد الملك بن مروان حين يقول :

« كان عبد الملك بن مروان قد شكا الى العلماء ما انتشر عليه من امور رعيته وتخوفه من كل وجه ، فاشار عليه ابو حبيب الحمصي القاضي بأن يستنصر عليهم

برفع يديه الى الله تعالى، فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه، وكتب بذلك الى القصاص، فكانوا يرفعون ايديهم بالغداة والعشي »(٣٢١) .

وهكذا يفهم ما روى عن قاص الجماعة بمصر سليم بن عتر التجيبي كيف كان يصلي ويقرأ القرآن « ويرفع يديه في القصص اذا دعا »(٣٢٢) .

وانطلاقا من هذا يمكن فهم قصص عبيد بن عمير الليثي (ت ٦٨هـ) ، قاص أهل مكة ، والذي شارك ابن الزبير في حركته ، وكان يقص في جنده ، ويحرضهم لقتال الجند الشامي ، يقول المدائني :

« وكان عبيد بن عمر الليثي يقص أيام الموادعة ، فيقول له أهل الشام: أيها الرجل الصالح ، ارجع الى ما كنت فيه ، ولا تنقّص خليفة الله في أرضه ، فانه أعظم حرمة من البيت »(٣٢٣) .

وهنا يفهم قول عائشة حين عرفت انه قاص أهل مكة ، فقالت له : « خفف فان الذكر (القصص) ثقيل »(٣٢٤) ويوضح لنا هذا ايضا احد معاني الذكر ، كما جاء في المعاجم اللغوية ، انه : ذكر العيوب والتحدث عنها والتشهير بها(٣٢٥) . لذا يبدو أن القصص أو الوعظ في المساجد اتخذ صبغة سياسية في القرن الهجري الاول ، فلما سئل عطاء بن يسار (ت ١٠٣ هـ) ، قاص أهل مكة ، عن خطبة الجمعة قال « انما كانت الخطبة تذكيرا »(٣٢٦) يريد بها انها كانت في بداية الاسلام للعظة والعبادة ، ولم تكن مسيّسة ، كما أصبحت عليه الآن في أيامه .

وهذا التوجيه الفكري لدى مراكز الاعلام والتعليم في المساجد العامة والجامعة لم يكن مرضيا عنه لدى مجموعة من العلماء الورعين ، ويظهر هذا من رسالة نسبت الى عمر بن عبد العزيز ، هذا الخليفة الراشدي او المهدي الخامس حيث تكشف لنا هذه الرسالة خطورة التطور او الانحراف في الوعظ الديني بعد احداث الفتنة الاولى لدى قصاص الجماعة وغيرهم ، ما حدا بعمر بن عبد العزيز الى معارضة ذلك في كتاب أرسله الى بعض عماله :

« أما بعد ، فان ناسا من الناس قد التمسوا بعمل الآخرة الدنيا ، وانما مصيرهم ومرجعهم الى الله بعد الموت ، وقد بلغني أن ناسا من القصاص قد أحدثوا الصلاة على امرائهم عدل ما يصلون على النبي [الصلاة على النبي في صدر الاسلام كانت : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد]. انظر: بخاري ، صحيح جـ٨ ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، مالك بن أنس ، موطأ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

الشافعي ، ام ، جـ١ ، ص١٤٠] فاذا جاءك كتابي هذا فمر القصاص ، فليجعلوا صلاتهم على النبي خاصة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة ، وليدعوا ما سوى ذلك والسلام »(٣٢٧) .

٢/٦ ـ وامام الشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها القصاص لدى العامة من الناس(٣٢٨) كان لا بد للسلطة من مراقبة الوعظ الديني (القصص) ومعارضة من يقص بدون اذنها ، فيذكر ابو عامر عبد الله بن الحي :

« حججنا مع معاوية ، فلما قدمنا مكة اخبر برجل قاص يقص على أهل مكة ، وكان مولى لبني مخزوم ، فقال له معاوية : امرت بالقصص ؟ فقال : لا ، قال : فما حملك على ان تقص بغير اذن ؟ فقال : انما نشر علما علمناه الله ، فقال : لو كنت تقدمت اليك لقطعت طابقا منك »(٣٢٩) .

ويورد البخاري رواية في تاريخه تؤكد هذا الاتجاه لدى معاوية بن ابي سفيان ، منذ كان عاملا على بلاد الشام في ايام عثمان ، حيث تذكر الرواية ، ان ذا الكلاع ابا شراحيل الحميري ، ابن عم كعب الاحبار (ت٣٢ هـ) قال : كان كعب يقص في امارة معاوية ، فقال عوف بن مالك الاشجعي (ت ٧٣ هـ) لذي الكلاع : يا ابا شراحيل ، ارايت ابن عمك ، ابامر الامير يقص ؟ فاني سمعت النبي (ص) يقول : القصاص ثلاثة : امير او مامور او مختال ، فمكث كعب لا يقص حتى ارسل اليه معاوية يأمره بالقصص(٣٣٠) . ونتيجة لهذا التوجه لدى السلطة قامت بتعيين قصاص في المساجد الجامعة . وهي المساجد التي تخضع لاشراف السلطة ، ولتزيد من تبعية هؤلاء العلماء او القصاص او الائمة قامت بتعيين ارزاق ورواتب شهرية لهم(٣٣١) وسمت المصادر هؤلاء القصاص بقصاص الجماعة(٣٣٢) .

وتبنت السلطة واتباعها ، او اهل الجماعة ، هؤلاء القصاص ، ولم تعتبر القصص لغيرهم مشروعا كما اوضحنا ، وهكذا يمكن فهم الحديث الذي روته المدرسة الشامية عن الرسول (ص) وعن طريق عبادة بن الصامت (ت٣٤ هـ) وكعب بن عياض الاشعري (ت ؟ هـ) وعوف بن مالك الاشعري (ت ٧٣ هـ) والذي يقول :

« القصاص ثلاثة : امير ، او مامور ، او احمق مختال »(٣٣٣) .

واكدت المدرسة العراقية كذلك على هذا الاتجاه حين روت هذا على لسان حذيفة ابن اليمان (ت٣٦هـ) ولم يرفعه حذيفة للرسول (ص) بل كان مجرد راي له ، وحذيفة هذا من الذين اعتزلوا الفتن ، وممن روى احاديث الفتن والملاحم وحذّر منها ، واكد في رواياته على ضرورة الابقاء على وحدة الجماعة ، وعدم السماح بشقها ، وقد توسع حذيفة بالحديث وزاد على رواة المدرسة الشامية بالسماح للعلماء ممن يعرفون الناسخ

والمنسوخ بممارسة القصص ، وهذا معقول اذا عرفنا ان العراق لم تعترف بالسلطة الاموية في الغالب ، يقول حذيفة :

« لا يقص (يفتي) على الناس الا أحد ثلاثة : امير او مأمور ، ومن عرف الناسخ والمنسوخ ،او احمق متكلف »(٣٣٤) .

وهكذا انقسم القصاص الى قصاص خاصة او جماعة او سلطة ، وهم ممن يتحدثون ويعظون ويعبرون عن وجهة نظر الدولة ، وقد دعي الى السماع اليهم ،والاخذ عنهم ، وقصاص العامة أو المعارضة ، وهم يمثلون الفرق والاحزاب الاخرى ، وقد نهى عنهم وعن السماع لهم كما اوضح لنا ذلك الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) حيث تحدث عن القصص فقال :

« وهما قصصان ، قصص العامة (ويمثل الفرق والاحزاب المعارضة)، وقصص الخاصة (وهم اهل الجماعة) ، فأما قصص العامة ، فهو الذي يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم ، فذلك مكروه لمن فعله ، ولمن استمعه ، واما قصص الخاصة، فهو الذي جعله معاوية ، ولى رجلا على القصص ، فاذا سلم من صلاة الصبح، جلس وذكر الله عز وجل ، وحمده ، و مجده ، وصلى على النبي (ص) ودعا للخليفة، ولاهل ولايته ، ولجنده ، وجنوده ، ودعا على اهل حربه ، وعلى المشركين كافة»(٣٣٥) .

* * *

٧ ــ وفي ختام هذا البحث يجدر بنا مناقشة الموقف من القصص والقصاص كما جاء في المصادر الاسلامية ، محاولين قدر الامكان ، مقارنة الواقع التاريخي بالنظرة الفقهية .

لقد وجد القصص (الوعظ الجاهلي) في المجتمع العربي قبل الاسلام ، وكان يعتمد كلام الكهان ، والشعراء ، والخطباء ، ورواة ايام العرب ، ولما جاء الاسلام ادخل مكان هذا ، القصص الاسلامي الذي اعتمد القرآن ، واجراءات الرسول (ص) . لقد عمل القصص الاسلامي ، ايام الرسول (ص) ، وقبيل الفتوحات الاولى واثنائها ، لخدمة الدعوة والرسالة العالمية ، وقام بتوجيه الامة نحو الفتوح لنشر هذا الدين الجديد . ولما قامت الخلافة الاسلامية بمؤسساتها بعد الفتوح ، والاستقرار الجديد في امصار ، وظهرت المشاكل على اختلاف انواعها ، حصلت الفتنة وانقسمت الامة ، فاثر هذا بدوره على طبيعة واهداف القصص (الوعظ) الديني ، وبدأ القصص الديني ينحرف عن اهدافه الاولى ويتأثر بالصبغة السياسية الجديدة ، ويبدو لي ان هذه النقلة في طبيعة واهداف القصص استقرت وتبلورت في نهاية الفترة المروانية الاولى (٦٤ هـ ــ ٩٩هـ) ، حيث ارتبط مفهوم القصص بالصبغة الجديدة التي بدأت منذ

احداث الفتنة الاولى ، الا وهي ذات البعد السياسي ، وانطلاقا من هذا يمكن فهم فهم ما روى عن عبد الله بن عمر (ت ٧٤ هـ) حين قال :

« لم يقص في زمان الرسول (ص) ولا ابي بكر ولا عمر وانما كان القصص ايام الفتنة »(٣٣٦) .

وعبّر الحسن البصري (ت.١١هـ) عن وجهة النظر هذه عندما سئل عن بدايات القصص فقال : « احدث القصص في خلافة عثمان بن عفان »(٣٣٧)وذكر محمد بن سيرين (ت .١١ هـ) نفس الموقف حين قال : « القصص امر محدث ، احدثه هذا الخلق من الخوارج »(٣٣٨) .

هذا الموقف من بداية القصص من هؤلاء العلماء الورعين ، وهما ممن وثقهم أهل الحديث والسنة والفقهاء ، يعبر عن وجهة النظر الفقهية في تحديد بدايات القصص ، والملاحظ ان هذه الآراء ، او من رواها عنهم ، اهملت جذور القصص من الناحية التاريخية ، وارجعوا بدايات القصص الى احداث الفتنة الاولى ، مع ان القصص موجود قبل هذا التاريخ وترجع جذور الى فترة ما قبل الاسلام ، واستمرت في الفترة الاسلامية بصبغة دينية جديدة كما اوضحنا ، وهكذا فان رأيهم هذا ينطبق على القصص ذات البعد السياسي في الفترة الاسلامية لا القصص بشكل عام .

وامام هذا فمن المتوقع ان يقول هؤلاء وغيرهم من اهل الحديث والفقهاء مثل : محمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ)(٣٣٩) والحسن البصري (ت ١١٠ هـ)(٣٤٠) وانس بن مالك (ت ١١١ هـ)(٣٤١) والاعمش (ت ١٤٨ هـ)(٣٤٢) وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)(٣٤٣) ومالك بن انس (١٧٩ هـ)(٣٤٤) والغزالي (ت.٥٢٠ هـ)(٣٤٥) وابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)(٣٤٦) والسيوطي (ت ٩١١ هـ)(٣٤٧) بأن القصص بدعة وامر محدث ، وهذا ينطبق على القصص ذات البعد السياسي لا القصص بشكل عام. ولو كان القصص بدعة ، او مكروها ، او ان الاسلام منعه ، لورد في الاثر النبوي ما يؤكد ذلك ، لكن المصادر ، التي اطلعت عليها ، لم تذكر البتة حديثا واحدا عن الرسول (ص) ينهي فيه عن القصص .

ويما ان الفقيه لا يهمه التطور الحاصل بقدر ما يهمه الواقع الذي تبلور في ايامه والسابقة الشرعية لذلك ، فمن المفروض ان يرجع بدايات القصص (ذات البعد السياسي) الذي ساد في ايامه الى احداث الفتنة ، وذلك ان السابقة الشرعية للقصص بالمفهوم السياسي لم توجد ايام الرسول (ص) والشيخين ابي بكر وعمر . وكذلك يمكن فهم موقف الفقيه عندما قال : ان القصص بدعة وامر محدث ، لان المفهوم الدارج لدى الناس في ايامه للقصص يرتبط تماما بالبعد السياسي. ونتيجة لذلك فقد حبّذ الفقهاء

استعمال كلمة ذكر ، وهي مرادفة لكلمة قصص ، وتناولوا مجالس القصاص ايام الرسول (ص) وصحابته تحت اسم الذكر ، ليفرقوا بين مجالس القصص الاولى ، ومجالس القصص التي تاثرت بالبعد السياسي بعد احداث الفتنة ، والتي استمرت في ايامهم ، ورووا احاديث عن الرسول (ص) وعن صحابته في الثناء على مجالس الذكر ، كي لا يعطوا العامة من الناس في ايامهم سوابق شرعية للقصص والقصاص واذنا بمجالستهم ، الذي يعني خدمة السياسة ، ويساعد على اشتعال الفتن ، وانقسام الامة الاسلامية .

ويبدو من هذا البحث كذلك ان علماء الامة او قراءها او اهل الافتاء او الامراء والقادة ، وبخاصة قبل احداث الفتنة ونتائجها كانوا قصاصاً دينيين ، ذلك ان الوعظ او التوجيه الفكري كان يعد قصصا في هذه المرحلة المبكرة من صدر الاسلام ، كما ان القصص قبل احداث الفتنة لم يكن لينظر اليه نظرة سلبية، ولما واجه المجتمع الاسلامي بعد الفتوحات والهجرة والاستقرار مشاكل اجتماعية واقتصادية ، وبالتالي سياسية، ادت الى احداث الفتنة التي تمخضت بدورها عن انقسام الامة وظهور الفرق والاحزاب واهل الجماعة ، وقامت السلطة في ظل هذا التطور بالتاكيد على وجهة نظرها ، وراقبت القصص ، او الاعلام الفكري ، وعينت قصاصا يتحدثون باسمها ، ويدافعون عن وجهة نظرها السياسية باسم الدين ، وقامت كذلك بالتاكيد على عدم شرعية القصص لغير السلطة او من ينوب عنها .

وهكذا قام قصاص الجماعة ، او ائمة المساجد ، ايام بني امية بالنيل من علي بن ابي طالب ، وقتلة عثمان ، كل يوم في المساجد ، وقاموا كذلك بالصلاة على خلفاء بني امية ، الى جانب الصلاة على الرسول (ص) ، وقاموا بالدعاء والقنوت على معارضيهم من الفرق والاحزاب الاسلامية الاخرى . ولا شك ان قصاص (علماء) الفرق الاخرى المعارضة قاموا بنفس الوعظ والتحريض ضد السلطة كما راينا في قصص ابي ذر الغفاري وقصص عبيد بن عمير الليثي او قصاص العامة جمعا . وهذا يعني ان قصاص

السلطة والمعارضة عملوا محرضين لخدمة سياساتهم باسم الدين في وقت السلم واثناء القتال في الفتن .

وفي هذا الواقع التاريخي الجديد الذي كان ينذر الامة بالانهيار ويزيد من امكانية اشعال الفتن بشكل مستمر ، ظهر ايام بني امية مجموعة من العلماء (القصاص) الورعين والغيورين على وحدة والجماعة ،ورات هذه المجموعة محاربة هذا التوجه لدى علماء (قصاص) العامة والخاصة ، فاعتزلت الفرق والاحزاب ، ولم تقف مع السلطة في قصصها السياسي، والتزمت بالقرآن الكريم، وسنة الرسول (ص) وسيرة (قصص)

الشيخين ابي بكر وعمر ، وتحدثت عن فضائل الصحابة بما فيهم عثمان وعلي ومعاوية، ولم تتحدث عن قصص الفتنة ، ولم تدخل في تحليل مواقف الذين شاركوا في الفتنة ، كي لا يجرها ذلك الى تخطئة طرف وتبرئة آخر ، وارجأت ذلك الى الله ، ورات ان الحديث عن ذلك سيؤدي الى الفتنة ،ويزيد الخلاف في داخل الجماعة الواحدة ،وروت احاديث الفتن والملاحم ، التي تظهر في جوانبها عدم الدخول في الفتن او اثارتها ، ودعت الى وحدة الجماعة الممثلة بالسلطة القائمة واتباعهم ، ونادت بضرورة مبايعة الخليفة، وعدم جواز نقضها ما اقام الصلاة . وهكذا تحول هؤلاء ، وبدون قصد ، الى مناصرين او حلفاء غير مباشرين للسلطة القائمة ضد المعارضة ، حتى انهم وان كانوا ضد تصرفات الخلافة فانهم لم يدعوا الى الثورة (الفتنة) ضدها . هذه الجماعة من العلماء (القصاص) هم الرعيل الاول من اهل الحديث والسنة ، وانتفى عنهم بذلك لقب القصاص الذي استمر لدى علماء المعارضة وعلماء الدولة الذين سخروا الدين لخدمة سياساتهم .

ولما ظهر الفقهاء الكبار في القرن الثاني للهجرة مثل مالك بن انس وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري والاعمش وغيرهم اتبع هؤلاء وجهة نظر اهل الحديث هؤلاء في جميع الامصار ، وحددوا وعظهم الديني او قصصهم بالقرآن وحديث الرسول (ص) واجراءات صحابته قبل احداث الفتنة ، وحددوا موضوعات وعظهم او قصصهم أو فتاويهم بالامور الآتية : الصلاة ، الوضوء ، الطهارة ، الزكاة (الصدقات) ، الصوم ، التجارة ، الحج ، العتاقة ، والولاء ، فضائل الصحابة ، والفتن والملاحم ، والتفسير ، ولم يتحدثوا عن القصص الديني ذي الصبغة السياسية واكتفوا بتناوله بشكل غير مباشر تحت أبواب الحديث عن الفتن والملاحم . ورفض هؤلاء نتيجة لموقفهم هذا تولي المناصب في الدولة ، كالقضاء وغيره ، تعبيرا منهم عن عدم رضاهم عن سياسة الدولة الداخلية التي تخدم نظريا مفهوم السياسة ، الذي يؤدي الى الفرقة والاختلاف ، ولا تخدم مفهوم النبوة والخلافة الذي يؤدي الى الوحدة والائتلاف .

وامام هذا كله فمن المتوقع ان يتحدث اهل الحديث والفقهاء عن القصاص الذين سخروا الدين لخدمة سياساتهم الحزبية بانهم يزورون احاديث مناكير عن الصحابة(٣٤٨) وانهم من اهل البدع وممن كان يسب السلف(٣٤٩) وممن يكذبون في احاديثهم(٣٥٠) لذا لا يجوز اخذ الحديث عنهم(٣٥١) . وروى كذلك اهل الحديث ان علي بن ابي طالب اعترض على قصصهم وطردهم من المساجد(٣٥٢) ، ونهم كلاً من خباب بن الارت(٣٥٣) وعبد الله بن عمر وابنه سالم(٣٥٤) وابا عبد الرحمن السلمي(٣٥٥) وسفيان الثوري(٣٥٦) من الجلوس اليهم وسماع احاديثهم . واثنى محمد بن سيرين على قرار الامير في العراق بمنعهم من القصص(٣٥٧) واعترض مالك بن انس على مواضيع قصصهم في ايامه(٣٥٨) واعترض عليهم كذلك مجالد بن مسعود السلمي(٣٥٩) وسخر منهم العبادلة : ابن عمر

وابن الزبير وابن عمرو وابن العباس(٢٦٠) ووصفهم عبد الله بن المبارك بالغوغاء(٢٦١). ويبدو أن اختلاف الامة ، وظهور الفرق ، وحصول التطورات ، اظهر في نهاية القرن الهجري الاول قضايا الناسخ والمنسوخ سواء في القرآن أو السنة ، حيث انه لم يتفق على هذه القضايا بين علماء الامة الاسلامية على اختلاف توجهاتهم (٢٦٢) لذا فقد اتهم اهل الحديث القصاص بعدم معرفتهم الناسخ والمنسوخ(٢٦٣) مما يوحي بوجهة نظر اهل الحديث بعدم اعترافهم بافتاء القصاص للناس في أمور حياتهم العامة . وقد اتخذت الدولة العباسية هذا الموقف لدى الفقهاء ، وعزلت القصاص عن مهنة القضاء نهائيا ، وحددت وظيفتهم بامامة الصلاة ، والوعظ الديني غير المسيس ، والدعاء للخليفة ، واهل الجماعة .

لقد لعب القصاص أو الوعاظ ، الذين زجوا بالدين لخدمة توجهاتهم السياسية، دورا كبيرا في اثارة الفتن بين الفرق الاسلامية(٢٦٤) لذا فقد اثنى العلماء من اهل الحديث والسنة او علماء الجماعة وعلماء السلطة على القصص الديني الذي لا يتطرق الى السياسة ، ولعل ما قاله الغزالي يعبر عن ذلك اصدق تعبير :

« أخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة ، فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة ، والتفكير بالموت ، والتنبيه على عيوب النفس ، وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ، ووجه الحذر منها ، ويذكر بآلاء الله ونعمائه ، وتقصير العبد في شكره ، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها ،وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير (القصص) المحمود شرعا »(٢٦٥).

الهوامش

(١) انظر : امين ، احمد : « فجر الاسلام » (يبحث في الحياة العقلية في صد الاسلام الى آخر الدولة الاموية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة التاسعة سنة ١٩٦٤ ، ص ١٥٨ ـ ١٦٢ . سيشار لهذا المرجع عند وروده مرة اخرى هكذا : امين . نجم ، وديعة طه : « تميم الداري أول قاص في الاسلام » مقال في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، السنة الخامسة عدد ٩ لسنة ١٩٦٢ ص ٢٩٤ وما بعدها . نجم ، وديعة طه : « القصص والقصاص في الادب الاسلامي » نشر وزارة الاعلام في الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، سنة ١٩٧٢م ، سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا نجم . الاسد ، ناصر الدين : « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٨م ، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠ ، ٣٩٢ ، ٤٢٥ .

(٢) انظر : القرآن الكريم ، آل عمران : ٦٢ ، النساء : ١٦٤ ، الانعام : ٥٧ ، ١٣٠ ، الاعراف : ٧ ، ٣٥ ، ١٠١ ، ١٧٦ ، هود : ١٠٠ ، ١٢٠ ، يوسف : ٣ ، ٥ ، ١١١ ، النحل : ١١٨ ، الكهف : ١٣ ، ٦٤ ، طه: ٩٩ ، النمل : ٧٦ ، القصص : ١١ ، ٧٥ ، غافر (المؤمن) : ٧٨ . انظر كذلك تاويل الآيات السابقة في الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) : « جامع البيان عن تأويل

آي القرآن » (٣٠) جزءا ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٦٨ ، جـ٣ ص ٢٩٨ - ٣٠٠ ، جـ٦ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، جـ٨ ، ص ٣٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، جـ٩ ص ١٠ ، ١٢٤ - ١٣٠ ، جـ١٢ ، ص١١١ ، ١١٢ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، جـ١٣ ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، جـ١٤ ص١٨٩ ، ١٩٠ ، جـ١٥ ، ص٢٠٧ ، ٢٧٥ . جـ١٦ ص ٢٠٩ ، جـ٢٠ ، ص ١١ ، ٣٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، جـ٢٤ ، ص ٨٦ . سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة اخرى هكذا : طبري ، تأويل .

(٣) القرآن الكريم ، الاعراف : ١٧٦ .

(٤) القرآن الكريم ، هود : ١٢٠ .

(٥) انظر السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥ هـ) : « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م ، ص٥ - ٥٠ (الحكمة من كتابة التاريخ) .

(٦) ولعل هذا يفسر لنا المنهج التاريخي الذي اتبعته المدارس الاسلامية حين تناولت سيرة الرسول والتاريخ الاسلامي من خلال الحديث ابتداء من قصة البدء وقصص الانبياء والرسل .

(٧) القرآن الكريم ، الانعام : ١٢٠ . انظر طبري ، تأويل ، جـ٨ ، ص٣٥ ، القرآن الكريم ، الاعراف : آية رقم ٣٥ . طبري ، تأويل ، جـ٨ ، ص١٦٧ - ١٦٨ .

(٨) القرآن الكريم : النحل : ١١٨ ، أراد الله في قوله تعالى « وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل » أي ما انزلناه عليك يا محمد من تحريم المأكولات على اليهود في سورة الانعام - انظر طبري ، تأويل ، جـ١٤ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٩) انظر ابو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) : « السنن » (٤) أجزاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، جـ٣ ص٣٢٣ ، ٣٢٤ . سيذكر هذا المصدر عند وروده مرة أخرى هكذا : أبو داود .

(١٠) القرآن الكريم ، يوسف : ٢ . انظر : طبري ، تأويل ، ج١٢ ، ص ١٥٠ .

(١١) المجلسي ، جـ٧٤ ، ص ١٣٣ ، انظر موقف عمر من ذلك : السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١ هـ) « تحذير الخواص من اكاذيب القصاص » تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ودمشق ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤م . ص ٤٢٨ ، سيشار له فيما بعد : السيوطي .

(١٢) ابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠ هـ) « الطبقات الكبرى » (٨) أجزاء ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت سنة ١٩٦٠م جـ٧ ، ص ٤٢ ، سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة أخرى هكذا : ابن سعد ، سيوطي ص ٢٣٤ .

(١٣) سيوطي ، ص ٢٤١ .

(١٤) ابن سعد ، جـ٥ ، ص ٤٦٣ . الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت ٨٤٨هـ) « سير أعلام النبلاء » (٢٤) جزء ، تحقيق مجموعة من المحققين ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢م ، جـ٤ ، ص ١٥٧ . سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة أخرى هكذا : ذهبي ، سير . البسنوي ، علاء الدين علي درة ، (ت ٩٩٨ هـ) « محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر » دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م ، ص ٦٩ سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة أخرى هكذا : البسنوي . ابن تغري بردي ، يوسف (ت ٨٧٤ هـ) « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » (١٦) جزء ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٣م ، جـ١ ، ص ١٩٧ ، سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة أخرى هكذا : ابن تغري بردي .

(١٥) الذهبي ، سير ، جـ٤ ، ص ١٥٧ .

(١٦) البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) « تاريخ بغداد » (١٤) جزء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ٩، ص ٣٠٨ ، سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة اخرى هكذا : البغدادي ، تاريخ . الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) « البيان والتبيين »(٤) أجزاء ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى ببغداد ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦١م ، جـ١ ، ص ٢٨٤ ، سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة أخرىهكذا : الجاحظ

(١٧) انظر الغزالي ، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) « احياء علوم الدين » دار القلم ، بيروت ، الطبعة الاولى ، جـ١ ص ٣٣-٣٦ . سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة أخرى هكذا : الغزالي .

(١٨) الغزالي ، جـ١ ، ص ٣٤ . السيوطي ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(١٩) انظر مسلم بن حجاج القشيري (ت٢٦٠هـ) « صحيح » (٥) أجزاء ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة ١٩٨٣م ، جـ٤ ، ص ٢٠٦٩ ـ ٢٠٧٥ ، سيشار لهذا المصدر لدى وروده مرة اخرى هكذا : مسلم . البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ) « صحيح » (٩) أجزاء ، دار الجيل ،بيروت، جـ٨ ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ . سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة اخرى هكذا : بخاري، صحيح . الغزالي، جـ١ ،ص٣٥ . أبو داود، جـ٣ ، ص ٣٢٤ .

(٢٠) انظر القرآن الكريم ، آل عمران : ٥٨ ، الاعراف : ٦٣ ، الحجر : ٩٦، النحل: ٤٤ ، الانبياء ٢ ، ٤٢ ، يس : ٦٩ ، ص : ٨ ، ٤٩ ، فصلت : ٤١ ، الزخرف : ٥ ، القمر : ٢٥ ، القلم : ٥١ ، ٥٢ ، انظر أيضا ابن منظور ، لسان ، مادة « ذكر » .

(٢١) انظر القرآن الكريم ، المائدة: ٩١ ، يوسف: ٤٢ ، الرعد : ٢٨ ، النور : ٣٧، الفرقان: ١٨، ٢٩، الشعراء : ٥ ، العنكبوت : ٤٥، الزمر : ٢٢، ٢٣، الزخرف : ٣٦، القمر : ١٧، ٢٢، الحديد : ١٦، الجمعة :٦٢ ، المنافقون : ٩ ، الجن : ١٧، الاحزاب :٣٥، انظر كذلك ابن منظور ، لسان مادة «ذكر» ابن سيدة ، علي بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ) « المخصص » (٥) مجلدات دار الفكر، بيروت، جـ١٢، ص٨٨ . سيشار اليه عند وروده مرة اخرى هكذا : ابن سيده .

(٢٢) انظر القرآن الكريم ، هود :١٢، العنكبوت: ٥١، ص:٤٣ ، الزمر : ٢١، ق : ٣٧، الذاريات : ٥٥، الاعلى : ٩ ، طه : ٣ ، الحاقة : ١٢، المدثر: ٤٩، ٥٤ .

(٢٣) القرآن الكريم ، النحل ، ٤٣، الانبياء:٧.

(٢٤) انظر طبري ، تأويل ، جـ ١٤ ، ص١٠٧ ، ١٠٨، جـ١٧ ، ص٤ .

(٢٥) انظر المقريزي ، احمد بن عبد الله (ت٨٤٥هـ) « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية » جزءان ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٤هـ (طبعة جديدة بالاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد ، سنة ١٩٧٠م) جـ٢ ، ص٢٥٣ (الزهري والحسن البصري)، سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة اخرى هكذا : المقريزي . السيواطي، ص ٢٢٣، ٢٣٩ .

(٢٦) انظر : ابن سعد ، جـ٢ ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ (محمد بن سيرين) .

(٢٧) انظر : الصيمري ، حسين بن علي (ت٤٣٦هـ) « اخبار ابي حنيفة واصحابه » طبعة مصورة عن طبعة وزارة المعارف والتحقيقات العلمية والامور الثقافية للحكومة الهندية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦م، ص٤٥، ٤٦ . سيشار لهذا المصدر عند وروده مرة اخرى هكذا : الصيمري.

(٢٨) انظر : ابن الاثير ، علي بن ابي الكرم محمد ابن محمد الشيباني (ت٦٠٦هـ) « اسد الغابة في معرفة الصحابة» (٥) أجزاء ، نشر جمعية المعارف ، طهران ١٢٨٦هـ ، جـ١، ص ٢١٥ . ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ) « صفة الصفوة » (٤) أجزاء ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس القلعجي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م ، جـ١، ص٧٣٧. سيشار لهذا المصدر لدى وروده مرة اخرى هكذا : ابن الجوزي ، صفوة.

(٢٩) انظر : ابن سعد ، جـ٢ ، ص ٣٧٢-٣٧٤.

(٣٠) انظر : ابن سعد ، جـ٥ ، ص٤٦٣ . ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ) « المعارف » تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ، سنة١٩٦٩م ص٥٧ ٥، سيشار له : ابن قتيبة ، معارف. الذهبي ، سير ، جـ٤، ص ١٥٧. البسنوي، ص ٦٩ .

(٣١) ابو عبيد ، ناسخ ، ص١٣.

(٣٢) السجستاني ، عبد الله بن ابي داودسليمان ابن الاشعث (ت ٣١٦هـ) «كتاب المصاحف» تحقيق اثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣م ، ص ٨٨ سيشار لهذا المصدر لدى وروده فيما بعد هكذا : السجستاني.

(٣٣) انظر : الجاحظ ، جـ١، ص ٢٨٤. ابن قتيبة ، معارف ، ص٥٨٧ .

(٣٤) المقريزي ، جـ٢، ص ٢٥٤.
انظر : ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ) « فتوح مصر وأخبارها» تحقيق محمد صبيح ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ، ١٩٧٤م ص ١٥٢. (كان سليم يقوم الليل كله بقراءة القرآن)سيشار اليه هكذا : ابن عبد الحكم .

(٣٥) انظر ابن ابي شيبة ، مصنف ، جـ٢، ص٥.

(٣٦) انظر البغدادي ، تاريخ ، جـ١ ، ص٢٠٨.

(٣٧) الجاحظ ، جـ١ ، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

(٣٨) انظر : المقريزي ، خطط ، جـ٢ ، ص٢٥٤، ٢٥٥.

(٣٩) انظر : ابن النديم ، محمد بن ابي يعقوب « كتاب الفهرست » تحقيق رضا تجدد ، طهران ، سنة ١٩٧١م ، ص٣٠، ٣١ . سيشار اليه فيما بعد : ابن النديم . الذهبي، سير، جـ٥ ، ص٣١٩.

(٤٠) انظر : ابن قتيبة ، معارف ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٤١) انظر : ابن النديم ، ص٣٠، ٤٠ .

(٤٢) ابن حنبل ، احمد بن محمد (ت٢٤١هـ) « كتاب المسند »(١٤) جزء، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٩م - ١٩٥٥م ، جـ٦ ص ٢١٧. انظر : بخاري ، صحيح ، جـ٨ ص ٩١ (ابن عباس).

(٤٣) ابن سعد ، جـ٧ ، ص ٤٢. انظر ايضا : البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ)« كتابات التاريخ الكبير» (٤) اجزاء في ثماني مجلدان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ،الدكن، الهند جـ١ ق١ ، ص ٤٤٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد : البخاري، تاريخ.

(٤٤) انظر : المديني، علي بن عبد الله (ت٢٣٤هـ) « علل الحديث ومعرفة الرجال » تحقيقعبد المعطي امين قلعجي، دار الوعي ، حلب ، الطبعة الاولىسنة ١٩٨٠م،ص١٦٧(الهامش). سيشار اليه فيما بعد : المديني.

(٤٥) ابن الجوزي ، عبد الرحمن « نواسخالقرآن» نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٩٨٥م ، ص٣٠ ، سيشار للمصدر فيما بعد : ابن الجوزي ، نواسخ.

(٤٦) الفسوى ، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ) « كتاب المعرفة والتاريخ » (٣) اجزاء، تحقيق

اكرم ضياء العمري،مؤسسة الرسالة،الطبعة الثانية سنة ١٩٨١ م ، ج٢ ، ص٥١٦،٥١٧ سيشار للمصدر فيما بعد : الفسوى .

(٤٧) الفسوى ، جـ ٢ ، ص٣٢٠ .

(٤٨) الجاحظ ، جـ١ ، ص ٢٨٤.

(٤٩) انظر : الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) « تاريخ الانبياء والرسل والملوك » (١٠) اجزاء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف القاهرة، سنة ١٩٦٦ ــ ١٩٧٠م، جـ١ ، ص ١٨٢ : سيشار اليه فيما بعد : طبري ، تاريخ.

(٥٠) انظر ، طبري ، تاريخ، جـ١ ، ص٢٦١.

(٥١) انظر ، ن.م ، ص ٢٧٧ .

(٥٢) انظر : طبري، تاريخ ، جـ٢ ،ص٣٠٠.

(٥٣) انظر : ن.م ، ص ٣٩٠ .

(٥٤) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ١ ،ص١١٥ .

(٥٥) انظر : ن.م ، ص ٧٦ .

(٥٦) انظر : ابن اسحق ، محمد (ت ١٥١هـ) «كتاب السير والمغازي » تحقيق سهيل زكار نشر دار الفكر ، الطبعة الاولى سنة ١٩٧٨م،ص ٦٥ سيشار اليه فيما بعد : ابن اسحاق.

(٥٧) انظر : الواقدي ، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ) « كتاب المغازي » (٣) اجزاء ، تحقيق مارسون جونس ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، جـ١ ،ص٢٣٤-٢٣٥. سيشار اليه فيما بعد هكذا : الواقدي.

(٥٨) انظر : ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) « كتاب عيون الاخبار » (٤) اجزاء، مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة سنة ١٩٢٥م، جـ١ ، ص ٣١٨، سيشار اليه فيما بعد : ابن قتيبة ، عيون . ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ) « الخراج » المطبعة السلفية ، الطبعة الرابعة ، القاهرة سنة ١٣٩٢هـ ، ص ٨ سيشار اليه : ابو يوسف .

(٥٩) انظر البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ) « انساب الاشراف » ، جـ١ ،ق٤ (بنو عبد شمس) ، تحقيق احسان عباس ، دارالنشر فانتس شتاينر بفيسبادن ، بيروت ١٩٧٩م، ص٣١٣، سيشار اليه فيما بعد : البلاذري انساب ، جـ١ق٤ .

(٦٠) انظر : البلاذري ، احمد بن يحيى(ت٢٧٩هـ) « فتوح البلدان » تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٦م، ص ٤٨، سيشار اليه فيما بعد ، البلاذري، فتوح .

(٦١) انظر ابن حزم ، علي بن احمد (ت٤٥٦هـ) «الاحكام في اصول الاحكام » جزءان ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة الامام بمصر، جـ٢، ص١٠١٨ ، سيشار اليه فيما بعد هكذا :ابن حزم .

(٦٢) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ١، ص ١٥١، ١٥٢، ٣١٢.

(٦٣) انظر : ن.م ، ص ١٧١.

(٦٤) انظر : ن.م ، ص ٤٥١.

(٦٥) انظر : طبري، تاريخ،جـ٢، ص٣٥٦.

(٦٦) انظر : ابن سيد الناس ، محمد بن محمد ابن عبد الله (ت ٧٣٤ هـ) « عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير » جزءان ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ ، جـ١ ،ص ١٩٣. سيشار اليه فيما بعد : ابن سيد الناس .

(٦٧) ابن العربي ، محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٥٣ هـ) « العواصم من القواصم ؛ تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي(ص)» تحقيق محب الدين الخطيب ، لجنة الشباب المسلم سنة ١٣٧١هـ ، ص ٨٣ (الهامش) سيشار اليه : ابن العربي .

(٦٨) انظر : ابن العربي ، ص ٨٣ (الهامش).

(٦٩) انظر : مالك بن انس (ت ١٧٩هـ) « الموطأ» رواية محمد بن الحسن الشيباني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف « دار القلم ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤ م، ص ٤٣. سيشار للمصدر فيما بعد : مالك .

(٧٠) انظر : مسلم ، جـ٤ ، ص ٢٠٩٦ .
(٧١) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ١ ، ص١٥١.
(٧٢) انظر : ابو يوسف ، ص٧ .
(٧٣) انظر : بخاري ، تاريخ جـ ١ق١، ص١٧٣. ابن قتيبة ، معارف ص ٤٥٩ .
(٧٤) انظر : طبري ، تاريخ ،جـ٢ ، ص ١٣٣، ١٣٨.
(٧٥) انظر : البلاذري ، احمد بن يحيى(ب٢٧٩هـ) « انساب الاشراف » الجزء الاول ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩م، ص ٥٢٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد : بلاذري ،انساب ،جـ١.
(٧٦) انظر : بلاذري ، انساب ،جـ١ ،ص ١٢٨.
(٧٧) انظر : البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ) « انساب الاشراف » العباس بن عبد المطلب وولده ، القسم الثالث ، تحقيق عبد العزيز الدوري، فرانتس شتاينر بفيسبادن ، بيروت سنة ١٩٧٨م ص ٢٣ ،سيشار اليه فيما بعد: بلاذري ،انساب ،ق٣.
(٧٨) انظر : بلاذري ، انساب ، ق٣،ص٥١.
(٧٩) انظر : الواقدي، ص٥٨٦.
(٨٠) انظر : ن.م ، ص ١٠٧٩ .
(٨١) انظر : ن.م، ص ١٠٢٥.
(٨٢) انظر : الشافعي ، محمد بن ادريس (ت ٢٠٤ هـ) « الرسالة » تحقيق احمد محمد شاكر ، نشر المكتبة العلمية ، بيروت، ص٧٥،سيشار اليه فيما بعد هكذا :شافعي، رسالة .
(٨٣) انظر : شافعي ،رسالة ،ص١٦٢ .
(٨٤) انظر : ن.م ، ص ٧٩.
(٨٥) انظر : ن.م ، ص ٣٠٢ .
(٨٦) انظر : ن.م ، ص٣٢٥، ٣٢٦.
(٨٧) انظر : ن.م ، ص ٣١٧، ٣٢٠.
(٨٨) انظر : ن.م ، ص ٣٢٢، ٣٢٣.
(٨٩) انظر : ن.م ، ص٤٠٤ .
(٩٠) انظر : ن.م ، ص ٤٤٦.
(٩١) انظر : ن.م ، ص ٥٤٤.
(٩٢) انظر : ابن قتيبة ، معارف ، ص٤٥٨ ، ٤٥٩ .
(٩٣) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ١، ص ٢٧٠.
(٩٤) انظر : ن.م ، ص٣٠٦ .
(٩٥) انظر : ن.م ، ص ٣٢٩.
(٩٦) انظر : ن.م ، ص ٤١٨-٤٢١.
(٩٧) انظر : ن.م ، ص ٨٧ ٤، ٤٨٨ .
(٩٨) انظر : ن.م ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
(٩٩) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ١٢١، ١٢٢ .
(١٠٠) انظر : بلاذري ، انساب ، جـ١ ، ص٢٥٥.
(١٠١) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ ٢، ص ٣٤٤.
(١٠٢) انظر : ن.م ، ص ٣٣٨-٣٤١.
(١٠٣) انظر : ن.م ، ص ٣٧٢.
(١٠٤) انظر : ن.م ، ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
(١٠٥) انظر : ن.م ، ص ٥٢٩ .
(١٠٦) انظر : ن.م ، ص ٥٦٥، ٥٧٩، ٥٨٠ .
(١٠٧) انظر : ن.م ، ص ٦٣٤ ، ٦٣٥ .
(١٠٨) انظر : بلاذري ، انساب ، جـ١،ص٢٥٨.
(١٠٩) انظر : ن.م ، ص٤٥٤.
(١١٠) انظر : واقدي ، ص ٧٣.
(١١١) انظر : ن.م ، ص ١٧٦ .
(١١٢) انظر : ن.م ، ص ١٨١.
(١١٣) انظر : ن.م ، ص ٥١ ٤، ٤٥٢ .
(١١٤) انظر : ن.م ، ص ٥١٧ .
(١١٥) انظر : ن.م ، ص ٧٦١ .
(١١٦) انظر : طبري ، تاريخ، جـ٤ ، ص ٢٥٦.
(١١٧) انظر : بلاذري ، انساب ، ق٣ ، ص٤٥.
(١١٨) انظر : بخاري ، تاريخ ، جـ٣ق١، ص١٨١. الذهبي ، سير ، جـ٥، ص ٣١٩.
(١١٩) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٢، ص ١٣٧-٣٩ .
(١٢٠) انظر : بلاذري ، انساب ، جـ١ ق٤، ص ١٢٨.
(١٢١) انظر طبري ، تاريخ ، جـ١، ص٧٧ .
(١٢٢) انظر : المقريزي ، جـ٢ ، ص ٢٥٤.
(١٢٣) انظر : طبري ، تاريخ، جـ١، ص٢ ٦.
(١٢٤) انظر : ن.م ، جـ٢ ، ص ٣٥٦.

(١٢٥) انظر : العصفـــري ، خليفة بن خيـاط (ت ٢٤٠هـ) « تاريخ» جزءان ، تحقيـــق سهيل زكار ، وزارة الثقافة والارشادالقومي، دمشق ، سنة ١٩٦٧م ، جـ١، ص١٣٨ . سيشار اليه فيما بعد : العصفري.

(١٢٦) انظر : الذهبي ،جـ٥ ، ص٢٠٥ .

(١٢٧) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٥ ، ص٢١٧.

(١٢٨) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٥،ص٢١٧.

(١٢٩) انظر : ن.م ، ص٢١٧.

(١٣٠) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٦ ، ص ١٦٣، ١٦٤ .

(١٣١) انظر : ن.م ، ص ١٦٣،١٦٤ .

(١٣٢) انظر : ذهبي ، سير ، جـ٥ ، ص ٢١١ ،ابن قتيبة ، معارف ، ص ٤٧٦.

(١٣٣) انظر : بلاذي ، انساب ، جـ١ ق٤،ص٣٧٨.

(١٣٤) انظر : ابن سيد الناس ، جـ١ ،ص١٧٧.

(١٣٥) انظر : بلاذري ، انساب ، جـ١ ، ص٥١٢، ٥١٣.

(١٣٦) انظر : ن.م ، ص ٣٢٧ .

(١٣٧) انظر : ن.م ، ص ٣٩٢ .

(١٣٨) انظر : ن.م ، ص٤٨٨، ٤٨٩.

(١٣٩) انظر : بلاذري ، انساب ،جـ١ق٤،ص١٢٧.

(١٤٠) انظر : بلاذري، انساب ،جـ١،ص٥٢٢ .

(١٤١) انظر : الذهبي ، سير ، جـ٥، ص٤٥٣.

(١٤٢) انظر : طبري ، تاريخ ،جـ ١،ص٢٨١.

(١٤٣) انظر : ن.م ، ص ٤٨١.

(١٤٤) انظر : البخاري ، تاريخ،جـ٣ق١، ص٩٣. ابن حجر ، احمد بن علي الكناني (٨٥٢ هـ) « تهذيب التهذيب » (٢) جزء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر ابادالدكن، الهند، عام ١٣٢٥هـ (طبعة جديدةبالاوفست، دار صادر بيروت عام ١٩٦٨م)، جـ٢ ،ص ٩٢ سيشار اليه فيما بعد هكذا : ابن حجـر، تهذيب .

(١٤٥) انظر : ابن حجر ، تهذيب ، جـ٢،ص٩٢.

(١٤٦) انظر : الفسوى ، جـ٢ ، ص٧٧٥.

(١٤٧) انظر : طبري ، تاريخ ،جـ٥، ص٣٩٢،٣٩٣.

(١٤٨) انظر : بخاري ، تاريخ ، جـ٣ق١، ص٣٣٥.

(١٤٩) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٤،ص٤٥١.

(١٥٠) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٥،ص١٦،١٧ .

(١٥١) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٢، ص٦٢٠،جـ٦، ص٣٣٦ . ابن حجر ، تهذيب ، جـ٣،ص٩٦.

(١٥٢) انظر : الصيمي، ص ٨٢ .

(١٥٣) انظر : طبري ، تاريخ، جـ٢، ص٦٢٠ .

(١٥٤) انظر : الجاحظ ، جـ١ ، ص ٢٨٤. الغزالي جـ١ ، ص ٣٦ .

(١٥٥) انظر : وكيع ، محمد بن خلف بن حيان، (ت ٣٠٦ هـ) « اخبار القضاة » (٣) اجزاء، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة عام ١٩٤٧م ، جـ١،ص٥، سيشار لهذا فيما بعد : وكيع .

(١٥٦) انظر : ابن النديم، ص٢٠٢.

(١٥٧) انظر : طبري، تاريخ، جـ١، ص٩٨،١٠١، ١٠٢،١٨٥ . البلاذري، انساب ،جـ١، ص ٢٧٧ .

(١٥٨) انظر : ابن قتيبة ، معارف ، ص ١٨. طبري ،تاريخ ،جـ١ ، ص١٤٤،١٤٨،١٥٠، ١٦٠ .

(١٥٩) انظر : طبري ، تاريخ :جـ١، ص ١٨١، ١٨٦،١٩٢،٢٠٩ .

(١٦٠) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ١، ص ٢٦٤ ، ٢٦٩،٢٦٠،٢٧٧ .

(١٦١) انظر : ن.م ، ص ٢٨٥ .

(١٦٢) انظر : ن.م ، ص ٣٢٤.

(١٦٣) انظر : ن.م، ص ٣٥٢،٣٥٧،٣٥٨،٣٦٠، ٣٦٣ .

(١٦٤) انظر : ن.م، ص ٤٨٢ .

(١٦٥) انظر : ن.م ، ص ٤٩٢ .

(١٦٦) انظر : طبري، تاريخ جـ٢ ، ص ١٩٠.

(١٦٧) انظر : ن.م ، ص ٣٢٢. البلاذري، انساب، جـ١ ، ص ١٠ ١.

(١٦٨) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٥٥٧.

(١٦٩) انظر : طبري ، تاريخ، جـ٤، ص ٨٩،١٤١، ١٨٦، ٢٦٦ .

(١٧٠) انظر : ن.م ، ص ١٠ ٢.

(١٧١) انظر : ن.م ، ص٢٦٦ ، ٣١٤ . العصفري،

تاريخ ، جـ١ ، ص١٦٦ .

(١٧٢) انظر : المعسفري ، جـ١ ص ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٢٣ . الطبري ، تاريخ ، جـ٤ ، ص ٣٥٣ ، ٣٧١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(١٧٣) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٤ ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(١٧٤) انظر : ن.م ، ص ٤٠٥ .

(١٧٥) انظر : ن.م ، ص ٤١٨ .

(١٧٦) انظر : ن.م ، ص ٤٢٩ .

(١٧٧) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٥ ، ص ٥٣ .

(١٧٨) انظر : بلاذري ، أنساب ، جـ١ ق٤ ، ص ١٢٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ . طبري ، تاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٧٩ .

(١٧٩) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٥ ، ص٥٠٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢١

(١٨٠) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٦ ، ص٥٩٤ ،

(١٨١) انظر : البلاذري ، أنساب ، جـ١ ، ص١٨١ ، ١٨٦ . ابن قتيبة ، معارف ، ص ٢٦٤ .

(١٨٢) المعسفري ، جـ١ ، ص١٤١ .

(١٨٣) انظر : ن.م ، ص ٢٢٧ .

(١٨٤) انظر : ن.م ، ص ٢٨٥ .

(١٨٥) انظر : البلاذري ، أنساب ، جـ١ ، ص٣١ .

(١٨٦) انظر : ن.م ، ص ١٦٠ .

(١٨٧) انظر : ن.م ، ص ١٦٣ .

(١٨٨) انظر : ن.م ، ص ١٧٤ .

(١٨٩) انظر : ن.م ، ص ٢٥٦ .

(١٩٠) انظر : ن.م ، ص ٣٨٣ .

(١٩١) انظر : ن.م ، ص٤٦٣ .

(١٩٢) انظر : ن.م ، ص٤٩٤ ، جـ١ ق٤ ، ص٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٣٨٢ .

(١٩٣) انظر : بلاذري ، أنساب ، جـ١ ، ص٥٥١ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ .

(١٩٤) انظر : ن.م ، ص ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ٥٩٠ .

(١٩٥) انظر : بلاذري ، أنساب ، جـ١ ق٤ ، ص١٢٨

(١٩٦) انظر : ن.م ، ص ٣٥٠ ، ٤١٧ ، ٤١٨ .

(١٩٧) انظر : ن.م ، ص ٣٨٥ .

(١٩٨) انظر : ن.م ، ص٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٥٦١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ .

(١٩٩) انظر : البلاذري ، انساب ، ق٣ ، ص٣١ .

(٢٠٠) انظر : ن.م ، ص٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٢٠١) انظر : البلاذري ، أنساب ، ق٣ ، ص٢٦٢ .

(٢٠٢) انظر : الذهبي ، سير ، جـ٥ ، ص ٢١١ (أحمد بن حنبل) . الطبري ، تاريخ ، جـ١ ، ص١٣ .

(٢٠٣) انظر : ابن قتيبة ، معارف ، ص٤٦٢ . المعسفري ، جـ٢ ، ص ٥١٤ .

(٢٠٥) انظر : بلاذري ، أنساب ، جـ١ ، ص١٢٣ ، ق٣ ، ص ٣٥ . الطبري ، تاريخ ، جـ١ ، ص٢٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ١٠١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٤٥٠ ، جـ٢ ، ص١٩ ، ٢٠ .

(٢٠٦) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ١ ، ص١١ ، ١٤ .

(٢٠٧) انظر : ن.م ، ص ٨٣ ، ٨٦ ، ١٠١ .

(٢٠٨) انظر : ن.م ، ص ١٠٥ ، ١٢١ ، ١٤٨ .

(٢٠٩) انظر : ن.م ، ص ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٦٠ .

(٢١٠) انظر : ن.م ، ص ١٧٨ ، جـ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٢١١) انظر : ن.م ، ص ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢

(٢١٢) انظر : ن.م ، ص٢٠٩ .

(٢١٣) انظر : ن.م ، ص ٢٨٠ ، ٢٨٥ .

(٢١٤) انظر : ن.م ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٥ .

(٢١٥) انظر : ن.م ، ص ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ .

(٢١٦) انظر : ن.م ، ص ٣٧٥ ، ٤٠٥ .

(٢١٧) انظر : ن.م ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(٢١٨) انظر : ن.م ، ص ٤٧٩ .

(٢١٩) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٥ ، ٩ ، ١٠ .

(٢٢٠) انظر : ن.م ، ص ٣١٦ .

(٢٢١) انظر : ن.م ، ص ٣٨٧ .

(٢٢٢) انظر : ن.م ، ص ٤١٧ .

(٢٢٣) انظر : ن.م ، ص ٤٣٣ .

(٢٢٤) انظر : ن.م ، ص ٥٥٧ .

(٢٢٥) انظر : ن.م ، ص ٣٦٠ .

(٢٢٦) انظر : بلاذري ، أنساب ، جـ١ ص١١١ .

(٢٢٧) انظر : ن.م ، ص ١٦٥ .

(٢٢٨) انظر : ن.م ، ص ١٨٥ ، ١٨٩ .

(٢٢٩) انظر : ن.م ، ص ٢٥٦ .
(٢٣٠) انظر : ن.م ، ص ٣٧٠ ، ق٣ ، ص ٤٧ .
(٢٣١) انظر : ن.م ، ص ٥٤٢ .
(٢٣٢) انظر : بلاذري ، انساب ، جـ١ ق٤ ، ص ٢٣ ، ص ١٠٨ ، ١١٣ .
(٢٣٣) انظر : ن.م ، ص ٢١٩ ، ٢٣٠ .
(٢٣٤) انظر : ن.م ، ص ٢٦٥ .
(٢٣٥) انظر : ن.م ، ص ٤٨٦ ، ٥٤٤ .
(٢٣٦) انظر : ن.م ، ص ٥٠٠ .
(٢٣٧) انظر : ن.م ، ص ٥٤٤ .
(٢٣٨) انظر : ن.م ، ص ٥٧٣ .
(٢٣٩) انظر : ن.م ، ص ٥٥٦ .
(٢٤٠) انظر : بلاذري ، ق٣ ، ص ٣٧ .
(٢٤١) العصفري ، جـ١ ، ص١٢٨ .
(٢٤٢) انظر ، ابن سعد ، جـ٧ ، ص ٤٤٥ ، ٤٤٦. البخاري ، تاريخ ، جـ٢ ق١ ، ص٢٦٦ . الطبري ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٩٨ ، جـ٤ ، ص٥٨ ، ٥٩. ابن قتيبة ، معارف ، ص٤٣٠. الدوري ، عبد العزيز « بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب » الطبعة الكاثوليكية . بيروت ، عام ١٩٦٠، ص ١٣٠ . سيشار اليه الدوري ، بحث .
(٢٤٣) انظر : البلاذري ، فتوح ، ص ١٠٨٢ .
(٢٤٤) انظر : الواقدي ، ص ١٠٨٢ .
(٢٤٥) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ١ ص١٠ ، ١٦.
(٢٤٦) انظر : ن.م ، ص ٤٤ ، ٥٩ .
(٢٤٧) انظر : ن.م ، ص ١١٥ .
(٢٤٨) انظر : ن.م ، ص ٢٦٥ .
(٢٤٩) انظر : ن.م ، ص ٢٦٥ ، جـ٢ ، ص١٨ ، ١٩ ، ٢٣٦ .
(٢٥٠) انظر : ن.م ، ص٦٥ ، ٧٥ ، ٣٧٢ ، ٢٧٣ .
(٢٥١) انظر : ن.م ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .
(٢٥٢) انظر : الطبري ، تاريخ ، جـ٤ ، ص ٥٨ – ٥٩ .
(٢٥٣) انظر : ن.م ، ص ٥٩ .
(٢٥٤) انظر : ن.م ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ .
(٢٥٥) انظر : ن.م ، ص ٢٨٤ .
(٢٥٦) انظر : بلاذري : انساب ، ق٣ ، ص ٤٣.
(٢٥٧) انظر : الازرقي ، محمد بن عبد الله بن احمد « اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار » تحقيق رشدي الصالح ملحس ، دار الثقافة ، بيروت ومطابع دار الثقافة مجلة ١٣٥٢ هـ ، ص٤٠.
(٢٥٨) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٤ ، ص٢٥٥ .
(٢٥٩) انظر : ن.م ، ص ٣٤٣ .
(٢٦٠) انظر : بلاذري ، انساب ، ق٣ ، ص٨٦ .
(٢٦١) انظر : ابن حجر ، تهذيب ، جـ١ ، ص٥٠٨.
(٢٦٢) انظر : ابن سعد ، جـ٧ ، ص٤٥٢ .
(٢٦٣) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٩٣ . بلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٩ .
(٢٦٤) انظر : بلاذري ، فتوح ، ص٢٧٩ .
(٢٦٥) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٩٣ .
(٢٦٦) انظر : طبري ، تاريخ ، جـ٦ ، ص ١٤٢ .
(٢٦٧) انظر : بلاذري، انساب ، ق٣، ص٨٥ ،٨٦.
(٢٦٨) انظر : الدوري ، بحث ، ص ١٥٢ ، وما بعدها .
(٢٦٩) انظر : ن.م ، ص ١٥٢ وما بعدها .
(٢٧٠) انظر على سبيل المثال لا الحصر : ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨١٨هـ) « المقدمة » نشر القدس عام ١٩٦٠ ، ص ٧٨٧ ، سيشار اليه فيما بعد : ابن خلدون .
(٢٧١) انظر : الشافعي ، رسالة ، ص٤٥٦ ، ٤٥٧.
(٢٧٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر : ابن سعد، ص ٣٥٤ (طلب من ابي ذر الغفاري ، وكان يقص ، عدم الافتاء ، فأصر على أن يروي ما سمعه من رسول الله(ص) للناس). الصيمري ص٦٠ ، ٦١ (أبو جعفر المنصور يسأل الفقهاء ليفتوه في موقفه من احلاله دماء أهل الموصل لنقضهم بيعته) . البغدادي ، تاريخ ، جـ١٣ ص٣٦٦ (زوجة القاص يفتي الحضرميين في مسجدهم) . ابن عبد الحكم ، ص١٥٥ (سعيد ابن المسيب يبعث الى قاضي مصر لينهي اهلها عن تعاطي الربا فيما بينهم اعتمادا على حديث سمعه من عثمان عن الرسول (ص) . الفسوي جـ٢ ، ص١٦ ، ص ٥١٧ (قاضي مسجد القدس ينهي الناس عن عشرة أمور كان الرسول (ص) قد نهى عنها).

(٢٧٣) هبة الدين سلامة « الناسخ والمنسوخ »وهو بهامش كتاب أسباب النزول لابي الحسين علي بن احمد النيسابوري ، نشر المكتبة التوفيقية ، ص٥ ، ص ٦ ، سيشار اليه هكذا : هبة الله .

(٢٧٤) أبو عبيد ، ناسخ ، ج٣ ، انظر كذلك : ابن الجوزي، نواسخ، ص٢٩-٣١ . الهمداني محمد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤ هـ) « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار » تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الوعي، حلب ، الطبعة الاولى عام ١٩٨٢م . ص٦ . سيشار اليه فيما بعد : الهمداني .

(٢٧٥) أبو عبيد ، ناسخ ، ص ٤١٣ . ابن الجوزي، نواسخ ، ج٣١ . الهمداني، ج٧ . هبة الله ج٦ (يضيف الى أن الحادثة حصلت مع عبد الله بن عمر ايضا) .

(٢٧٦) المجلسي ، ج٨٩ ، ص ٩٥ ، ١١٠ .

(٢٧٧) القرآن الكريم ، سورة الانعام : ٥٧ .

(٢٧٨) انظر : طبري ، تأويل ، ج٧ ، ص٢١٠ .

(٢٧٩) ابن الجوزي ، نواسخ ، ج٣١ . الهمداني، ج٧ . البغدادي ، نواسخ ، ج٣ . الغزالي ج١ ، ص٢١ .

(٢٨٠) هبة الله ، ص ٧ .

(٢٨١) البخاري ، تاريخ ، ج٢ ق١ ، ص ٢٦٦ ، ج٣ ق١ ، ص ٩٣ . ابو داود ، ج٣ ،ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٢ ، ص٩٢ ، ابن منظور ، لسان، مادة «قصص».

(٢٨٢) الغزالي ، ج١ ، ص٢١ (الهامش) .

(٢٨٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤٥ (المدائني) ، ص ٦٧ (الهامش) . انظر ايضا ترجمة ابي حازم بن دينار عند ابن قتيبة ، معارف ، ص ٤٧٩ .

(٢٨٤) ابن تغري بردي ، ج١ ، ص١٩٧ .

(٢٨٥) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ابن وهب (ت ٨٤ هـ) « تاريخ » جزءان ، دار بيروت ، بيروت ، عام ١٩٦٠ . ج٢ ، ص٢٥١ ، سيشار اليه : اليعقوبي .

(٢٨٦) انظر : الجعدي ، عمر بن علي بن سمر (ت ٥٨٦ هـ) « طبقات فقهاء اليمن » تحقيق فؤاد سيد ، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية عام ١٩٨١ ، ص ٥٧ ،سيشار اليه الجعدي . اليافعي ، عبد بن اسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ) « مرآة الزمان وعبر اليقظان » (٣) أجزاء ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد . الدكن ، الهند ،عام ١٣٣٧هـ ، ج٩ ، ص ٢٤٨ .

(٢٨٧) مقريزي ، ج٢ ص ٢٣٥ . انظر ايضا : ابن عبد الحكم ، ص ١٥٢ .

(٢٨٨) الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص ١٣٢ .

(٢٨٩) انظر : المقريزي ، ج٢ ، ص٢٥٤ . ابن ماكولا ، علي بن هبة الله (ت٤٨٧ هـ) «الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكني والانساب »(٧) أجزاء ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ،الدكن، الهند ، ج٢ ، ص ١٩١ ، ج٥ ، ص١٣٩ ، سيشار اليه : ابن ماكولا . ابن عبد الحكم، ج٧ ، ص ١٥ . الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص ١٣١ .

(٢٩٠) انظر : الفسوي ، ج٢ ، ص٣٢٠ . الذهبي « تذكرة الحفاظ »(٤) أجزاء ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الدكن ، الهند ، الطبعة الثانية عام ١٣٣٣هـ ، ج١ ، ص٥٦، ٥٧ ، سيشار اليه : الذهبي ، تذكرة . المعسفري ، ج ١ ص ٣٩٠ .

(٢٩١) انظر : وكيع ، ج١ ، ص ١٠٤ (قال الزهري : ان أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض حتى كانت الفتنة ، فاستقضى معاوية . وقال مالك بن انس: أول من استعمل قاضيا معاوية ابن أبي سفيان) . المقريزي ، ج١ ، ص٢٣٥ (يذكر أن سليم بن عتر التجيبي أول من قعد بمصر ، تولى القصص بها عام ٣٨هـ ، وفي عام ٤٠ هـ ، وهي سنة مبايعة معاوية، أضيف اليه القضاء ، وبقي على القضاء والقصص حتى عام ٦٥هـ) .

(٢٩٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ .
(٢٩٣) ن.م ، ص ١٥٧ .
(٢٩٤) الذهبي ، تذكرة ، جـ١ ص ٥٧ .
(٢٩٥) انظر : ابن عبد ربه ، أحمد بن محمـد (ت ٣٢٨ هـ) « العقد الفريد » (٨) ، تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة . الطبعة الثانية ، ١٩٥٣م ، جـ١ ، ص٢٠ . المبرد ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) « الكامل في الادب » (٤) اجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته . مطبعة نهضة ، مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦م . جـ٢ ، ص ٣٦ .
(٢٩٦) ابن عبد ربه ، جـ١ ، ص ٢٢ .
(٢٩٧) الصميري ، ص ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٣ .
(٢٩٨) أوردت معاجم اللغة أن من معاني الذكـر والدعاء والقنوت الصلاة ـ انظر ابن منظور، مواد « ذكر » و « قنت » و « دعا » . ابـن سيدة ، مخصص ، جـ٢ ، ص ٩٥ ، جـ ١٢، ص ٨٥ ـ ٨٨ .
(٢٩٩) انظـر السنوي ، ص ٩٤ .
(٣٠٠) انظر ابن خلدون ، ص ٤٧٧ .
(٣٠١) انظر : ابن الاثير ، أسد ، جـ١ ، ص ٢١٥. البسنوي ، ص ٩٣ .
(٣٠٢) انظر : ابن الاثير ، أسد ، جـ١ ، ص ٢١٥. ابن الجوزي ، صفة ، جـ١ ، ص ٧٣٧ .
(٣٠٣) اليعقوبي ، جـ٢ ، ص١٤٠ .
(٣٠٤) ابن حزم ، جـ١٠ ، ص ٢٢٣ .
(٣٠٥) المقريزي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ . السيوطي ، ص ٢٣٩ .
(٣٠٦) المقريزي ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .
(٣٠٧) انظر : الشافعي ، محمد بـن ادريس (ت ٢٠٤ هـ) « كتاب الام » (٨) أجـزاء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٨٣م جـ ١ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣٢ ، سيشار اليه : الشافعي ، الام .
(٣٠٨) انظر عن خطبة الجمعة : الشافعي ، الام ، جـ١ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣١ . انظ عن القصص: المقريزي ، جـ٢، ص ٢٥٣ (سليم بن عتر).
(٣٠٩) انظر : ابن منظور ، لسان ، مادة قصص.
(٣١٠) انظر عن كون الصلاة من مهمات القاضي في : ابن حيان ، حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٢٢ هـ) « المقتبس من أبنا ءاهل الاندلس» تحقيق محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، عام ١٩٧٣م ، ص ٧٢ ، ٧٥ انظر كذلك : ص ٥١ ، ص ٥٧ . الشافعي ، الام، جـ١ ، ص ٣١ (كان محمد بن أبي بكر قاضي (قاص) المدينة وامامهم في صلاتهم) .
(٣١١) الجاحظ ، جـ١ ، ص٢٨٤ .
(٣١٢) الفسوي ، جـ٢ ، ص ٥١٦ ، ٥١٧ .
(٣١٣) مقريزي ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .
(٣١٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٩ . الفسوي ،جـ٢ ص ٤٣٦ .
(٣١٥) انظر باب رقم (٦) من هذا البحث .
(٣١٦) انظر قول الليث بـن سـعيد عن القصص ومهمته ايام بني العباس : المقريزي، جـ٢، ص٢٥٣ .
(٣١٧) انظر : المقريزي ، جـ٢ ، ص ٢٥٣، ٢٥٤ .
(٣١٨) الاشعري ، علي بن اسماعيـل (ت٣٣٠هـ) « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين»تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبـة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة عام ١٩٦٩م، ص ٣٤ .
(٣١٩) المجلسي ، جـ٢٢ ، ص ٣٩٥ انظر كذلك ص٣٩٦ـ ص ٣٩٨.
(٣٢٠) المقريزي ، جـ٢،ص٢٥٣ .
(٣٢١) المقريزي ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ . انظـر ايضا السيوطي ، ص ٢٥٢ .
(٣٢٢) المقريزي ، جـ٢ ، ص٢٥٣ ، ٢٥٤ . انظـر ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٤٧٧ (فلسفـة الدعاء وتاريخه) .
(٣٢٣) البلازري ، انساب ، جـ١،ق٤، ص٣٤٥.
(٣٢٤) ابن سعد ،جـ٥، ص ٤٦٣ .
(٣٢٥) انظر :ابن منظـور ، لسان ، مـادة «ذكر» .
(٣٢٦) الشافعي ، الام ، جـ١ ، ص٢٣٣.

(٣٢٧) ابن الجوزي ، عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ) « سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد » تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى عام ١٩٨٤م ص ٢٧٣ .

(٣٢٨) انظر : البغدادي ، تاريخ ، جـ١٣، ص ٣٦٦ (ابو حنيفة وزرعة القاص) الغزالي ، جـ١، ص٣٦ . ابن الجوزي، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ) « تلبيس ابليس » تحقيق مجموعة من علماء الازهر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٢٣. سيشار اليه : ابن الجوزي، تلبيس . ابن، ص١٥٩. نجم ، القصص، ص٤٣-٤٧.

(٣٢٩) البلاذري ، انساب ، جـ١ ق٤ ، ص٤٥، انظر ايضا : جـ٣ ، ص ٣٨ (ابراهيم النخعي القاص وسبب اختلاف الامة). السيوطي، ص٢٢٦ . مسلم ، جـ٤، ص٢٠٧٠ (انظر شكوك معاوية في جلسات اهل الذكر واهدافه..). الفسوي ، جـ ٢ ص ٣٣١ .

(٣٣٠) البخاري، تاريخ ، جـ٢ق١ ، ص ٢٢٦ . انظر: السيوطي ص ٢٢٥. ابن خلدون ، ص٣٨٩، ٣٩٠ (انظر موقف الدولة من الافتاء (القصص) في المساجد الجامعة والمساجد العامة) .

(٣٣١) انظر : ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ . المقريزي، جـ٢، ص ٢٥٤ .

(٣٣٢) انظر ، بخاري ، تاريخ ، جـ١ق١، ص١٧٣ (عطاء بن يسار) ، جـ٣ ق١ ، ص ١٨١ (عبد الله بن كثير)، جـ٩، ص٥١، ٣٣٥(عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري). ابن ماكولا، جـ٦ ، ص ٩٥ (ابن بلفاريسة)، ص ٢٩٣ (سليم بن عتر) . المقريزي، جـ ٢ ،ص٢٥٣، ٢٥٤ ،(قصاص الجماعة بمصر) . الذهبي، سير ، جـ ٥، ص ٣١٩ (عبد الله بن كثير).

(٣٣٣) البخاري، تاريخ، جـ٢ ق١، ص ٢٦٦، جـ٣ ق١ ، ص ٩٣ . ابو داوود ، جـ٣، ص ٣٢٣، ٣٢٤. السيوطي، ص ٢٢٤، ٢٢٥ . ابن حجر، تهذيب ، جـ٢، ص ٩٢. ابن منظور ، اللسان، مادة « قصص » .

(٣٣٤) الهداني ، ص٧ . ابن الجوزي، نواسخ، جـ٣١، هبة الله ص٧ . الغزالي ، جـ١، ص ٢١.

(٣٣٥) المقريزي ، جـ٢، ص ٢٥٣ .

(٣٣٦) الاصبهاني ، ذكر ، جـ١ ، ص ١٢٦ . البغدادي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ١٠١ الابشيهي ، محمد بن احمد (٨٥٠ هـ) « المستطرف في كل فن مستظرف »جزءان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، جـ١، ص ٩٩ . البسنوي ، ص ٦٩، ٧٠. المقريزي جـ٢ ، ص ٢٥٣. الغزالي ، جـ١ ، ص٣٦. السيوطي ، ص ٢٢٢، ٢٣٥ .

(٣٣٧) المقريزي ، جـ٢، ص ٢٥٣ .

(٣٣٨) ابن ابي شيبه ، جـ١٤، ص١١٤.

(٣٣٩) ن.م ، ص ١١٤ .

(٣٤٠) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص ١٧.

(٣٤١) سيوطي ، ص ٢٣٤.

(٣٤٢) ن.م ، ص ٢٣٤.

(٣٤٣) الغزالي ، جـ١ ، ص ٣٦ .

(٣٤٤) سيوطي، ص ٢٦٠، ٢٦١ .

(٣٤٥) غزالي ، جـ١، ص٣٦ .

(٣٤٦) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص ١٧.

(٣٤٧) السيوطي ، ص ٢٥.

(٣٤٨) انظر : بغدادي ، تاريخ ، جـ٩ ، ص٣٠٩.

(٣٤٩) انظر : مسلم ، جـ١ ، ص١٥، ١٦.

(٣٥٠) انظر : الغزالي ، جـ١ ، ص ٣٦، (الاعمش واحمد بن حنبل). مسلم جـ١، ص٢٣، ٢٦.

(٣٥١) انظر : مسلم ، جـ١، ص٢٠، ٢٣ . ابن حجر، تهذيب ، جـ٣ ص ٢١٨. الفسوى ، جـ٢، ص٧٧٥. ابن قتيبة ، معارف ، ص ٤٤١.

(٣٥٢) انظر : المجلسي ، جـ ٦٩، ص ٢٦٥. السيوطي ، ص ٢٦٣ .

(٣٥٣) انظر : الزمخشري ، جـ٣ ، ص ٢٨ .

(٣٥٤) انظر : الغزالي ، جـ ، ص ٣٦ ، السيوطي، جـ١ ص ٢٥٩ .

(٣٥٥) انظر : مسلم ، جـ١ ، ص ٢٠، ٢٣. سيوطي، ص٢٣٥.

(٣٥٦) انظر : الغزالي ، جـ١، ص٣٦.

(٣٥٧) انظر : ن.م ، ص ٣٦ .

(٣٥٨) انظر : ن.م ، ص ٣٤.

(٣٥٩) انظر : ابو عبيد القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ) « غريب الحديث » (٤) اجزاء طبعة جديدة بالاوفست ، دار الكتاب العربي ، بيروت، عام ١٩٧٦، جـ٤، ص ٣٠٤ .

(٣٦٠) انظر : بغدادي ، تاريخ ، جـ٩ ، ص٤٢٥.

(٣٦١) انظر : الابشيهي ، جـ١، ص٩٩ .

(٣٦٢) قال محمد بن سيرين : جهدت ان اعلم الناسخ من المنسوخ فلم اعلمه ـ انظر : ابن الجوزي، نواسخ ، ص٣٢ . ابو عبيد ، ناسخ ، ص٤ . قال الزهري : اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله (ص) من منسوخه . اهتمام الشافعي بالناسخ والمنسوخ في الصيمري ، ص١٢٣.

(٣٦٣) انظر : ابو عبيد ، ناسخ، جـ٣. ابن الجوزي، نواسخ ، ص ٢٩ ـ ٣١ . المهداني، ص٦ . الاصبهاني ، ذكر ، جـ١، ص٨٩. هبة الله ، ص٦ . المجلسي ، جـ٨٩، ص٢٩٩. قال احمد بن حنبل : من لم يعرف الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة لم يكن عالما. انظر ابن الجوزي ، نواسخ، ص٣٢.

(٣٦٤) انظر : ابن كثير ، جـ١١ ، ص٦٤، ٧٦، ٢٨٩ ، ٣٣٩ . المجلسي ، جـ٢٧ ، ص٣٢٧، جـ ٣٨، ص ٦٤.

(٣٦٥) الغزالي ، جـ١، ص٣٦، انظر كذلك في نفس الصفحة راي كل من ابي ذر الغفاري وعطاء بن يسار واحمد بن حنبل . انظر كذلك : السيوطي ص١٦ (موقف مالك بن انس من القصص في ايامه وبدايته في صدر الاسلام). الذهبي ، سير ، جـ٥ ، ص٢١١، ٢٢٢(موقف حماد بن سلمة واحمد ابن حنبل من قصص ثابت بن اسلم البناني وقتادة) . ابن الجوزي، تلبيس ، ص١٢٣، ١٢٤ (موقف ابن الجوزي من القصص في بداية الاسلام).

* * *

البنية النظرية لكتاب الانيق في المناجيق(١)

لابن ارنبغا الزردكاش

المهندس آزاد علي
معهد التراث العلمي العربي

تعتبر الصناعات الحربية منذ فجر التاريخ قضية استراتيجية . لذلك نجد ان خط تطور تلك الصناعات والعلوم متصاعد دوما وبشكل خطي تقريبا . ويلمس الباحث هذا المسار بشكل واضح من دراسة الصناعات والعلوم الحربية في الحضارة العربية الاسلامية ، اذ انها كانت تتقدم وتتطور باطراد مع الانتعاش الحضاري العام . وهي مرتبطة بشكل وثيق مع النظم الدفاعية للدول ، ومن مقومات استمرارها ووجودها ، وتكتسب أهمية كبيرة في فترة الحروب والغزوات . ومن الواضح أن العلوم العسكرية والصناعات الحربية ، طرات عليها قفزة نوعية في العهد الايوبي بسبب الحرب الطويلة مع الفرنجة . واحتدت نهضة الصناعات والتحصينات العسكرية طوال حكم المماليك لاعتبارات عديدة ، منها التاثر بالمراحل السابقة ، وطبيعة حكم المماليك العسكرية والصراعات الدائمة بينهم .

ولاجراء تأريخ صحيح لهذه العلوم ، لا بد من رسم خط بياني يلاحق كافة التغيرات التي طرات عليها . ولا يمكن الوصول الى ذلك الا من خلال دراسات علمية مقارنة للمؤلفات والوثائق العلمية التاريخية ، من مخطوطات وكتب محققة ، وآثار متبقية ، لتحديد اهم سماتها وخصائصها المميزة . وما دراستنا هذه الا محاولة من هذا القبيل لتسليط الضوء على اهم سمات كتاب الانيق الذي يعود تاليفه الى فترة حكم المماليك وبشكل تقريبي الى عام (٨٣٦هـ)(٢) . ولكنه يعد حصيلة علمية متراكمة من الفترات التي سبقت تاريخ التأليف . لذلك يمكن اعتباره من اهم الوثائق العلمية، التي تعبر عن طبيعة ودرجة رقي الصناعات الحربية في عهد المماليك .

يحتوي الكتاب على موضوعات عديدة عن مجموعة متنوعة من الآلات الحربية ، وخاصة المناجيق ، والتي هي اهمها واكبرها حجما . ولا نهدف من بحثنا هذا ، التعريف بالكتاب ، وبدرجة تطور الصناعات والعلوم الهندسية في تلك المرحلة فحسب وانما قراءة النص العلمي من الداخل ، بمنهج علمي تاريخي . وبمعنى آخر ، تحليل النص من منظور الاسس العلمية المعاصرة ، وضمن ظرفها التاريخي المحدد ، دون ان يطغى التاريخي على العلمي النظري ، او هذا على ذاك . وغايتنا من ذلك الاحاطة بالنص والقاء الضوء على بنيته النظرية العلمية ، والكشف عن اهميته التاريخية في

دراسات تاريخية ، ٣٣ و ٣٤ ، أيلول ـ كانون الاول ١٩٨٩

تطور العلوم الهندسية ومساهمتها في وضع الاسس العلمية للصناعات الهندسية عامة، والحربية بشكل خاص .

وكتاب الانيق كغيره من الكتب العلمية القديمة ، لا يتميز بالتخصص الدقيق . فعلى الرغم من انه يهتم بالمناجيق اساسا ، الا انه يتطرق الى الكثير من المواضيع الاخرى ، والتي لا تخرج عن اطار الصناعات والتحصينات الحربية ، مهما تشعبت وتنوعت . فالموضوع الاول هو صناعة المنجنيق ونصبه والرمي به وخاصة نوع (قره بغري) ، الذي يستخدم لرمي الحجارة والقذائف ، وهدم القلاع والحصون . ويمكن تعريف المنجنيق باختصار : بانه آلة كبيرة الحجم ، مصنوعة من الخشب ، فيها جزء متحرك يدعى السهم ، وهو عارضة خشبية طويلة في نهايتها ثقل معاكس ، وفي الطرف المقابل كفة توضع القذيفة فيها . ودون الخوض في شرح مفصل للمنجنيق وآلية الرمي ، نقول انه يعتمد على القوة العضلية وقوة الثقالة ، في رمي القذائف والحجارة الكبيرة الى مسافات بعيدة ، وذلك بشد السهم حتى يرتفع الثقل المعاكس (الصندوق) ، ثم توضع القذيفة في الكفة التي تكون قد هبطت الى الارض ، وتوجه نحو الهدف بترك الصندوق يهبط تحت تاثير الجاذبية الارضية مما يؤدي الى ارتفاع الكفة في الجهة الاخرى كالارجوحة ، وبتسارع كبير ، فتنطلق القذيفة بقوة بدائية ، وتتحرر من الكفة ، ومن ثم تخضع لظرف سير القذائف ، وترسم المسار المعروف نظريا ، بالقطع المكافيء ، حتى تبلغ الهدف . وثمة انواع اخرى ، وصفها ابن ارنبغا الزردكاش ، ورسمها واهمها المنجنيق (الزيار) والذي لا يحوي على صندق كبير ، وانما ثقل معاكس صغير . والمنجنيق (الفرنجي) ، الذي يحوي ثقلين معاكسين صغيرين ، ويستند على قاعدة افقية وعمود قائم ، وميزيه الرمي الى مختلف الجهات، ويدور حول محوره . اما المنجنيق (السلطاني) فهو مشابه للسابق الا انه لا يحوي ثقل معاكس بل يعتمد بدلا عنه على قوة تزيير (شد) الاوتار وتحويلها الى قوة الرمي . وفي لوحات حصار القلاع وفتحها (انظر اللوحات ١ـ٦) نجد ان المؤلف قد اعطى اهمية لسلالم الحصار وانواعها واوضحها بالرسم . وفي الواقع تدخل هذه الفقرة ضمن العلوم العسكرية واستراتيجية الحصار ، التي لا تهم بحثنا كثيرا بقدر ما يهمنا انواع تلك السلالم وكيفية رسمها . فهي جسور خشبية عادية (عوارض) ، تستند على جدران القلعة ويتسلقها الجنود المهاجمون . والى جانب السلم العادي المؤلف من عارضتين خشبيتين ووصلات قصيرة تربط بينهما ، هناك سلالم اخرى لها ارجل حاملة يسميها الكاتب بارجل الجسر ، الا ان اهم تلك السلالم هو السلم البرجي الشاقولي المؤلف من اربع قوائم (اعمدة شاقولية) تنتهي بمنصة افقية ، تربط بها سلالم من الحبال ، ويصعد اليها الجنود مؤقتا ومن ثم الى برج القلعة او السور المحاصر (اللوحة ٧) .

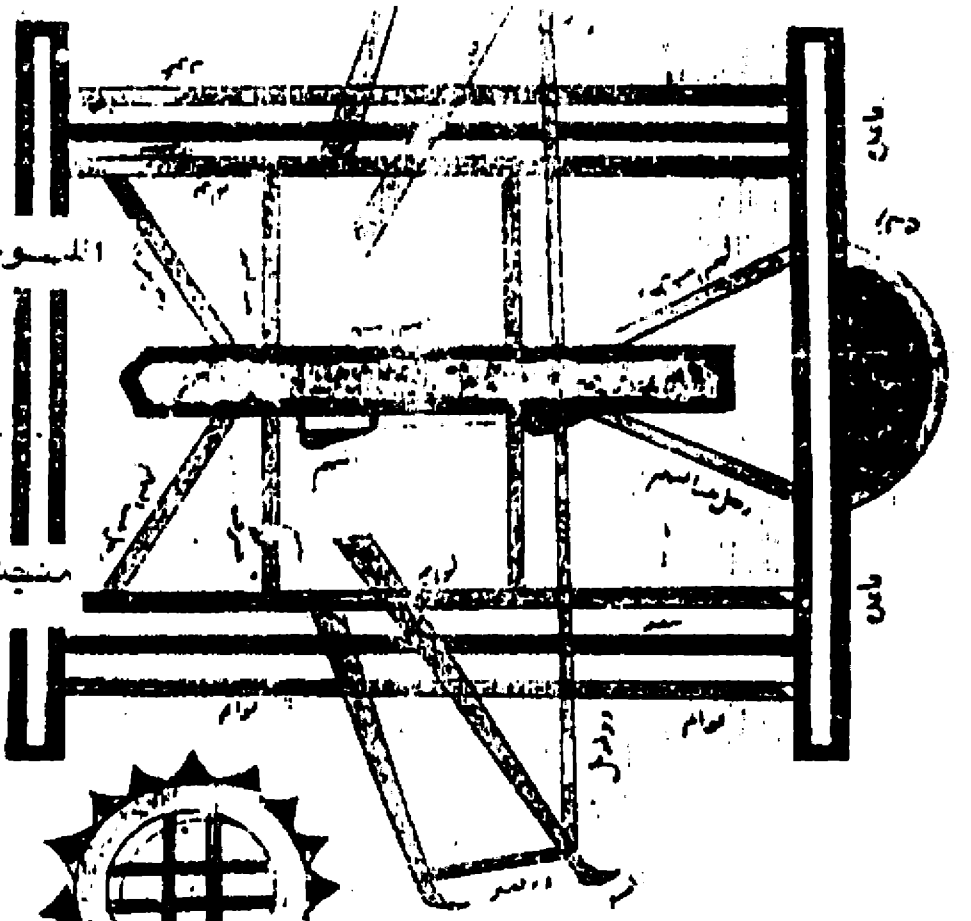

اللوحة (٦)

تسكنجيل

منجنيق لرمي السهام

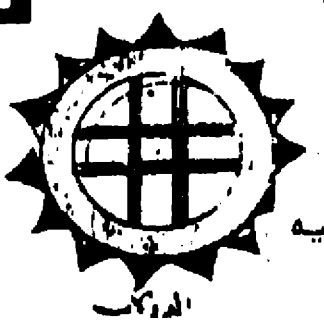

يستند الى أكره لتسهيل التوجيه

والدولاب لشد الاوتار

وهو خارج الهيكل للتوضيح

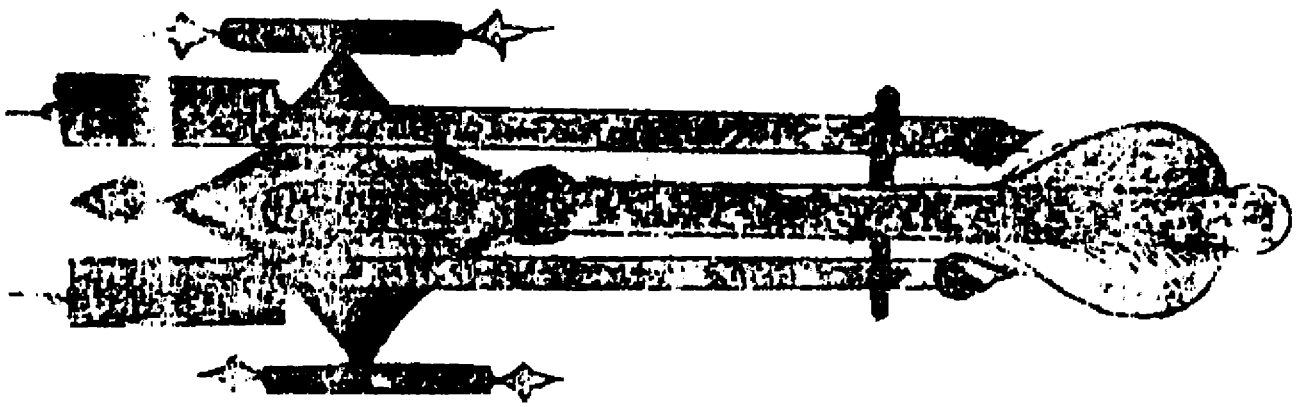

السهام . قذائف طائرة

تشبه الاجهزة النفاثة

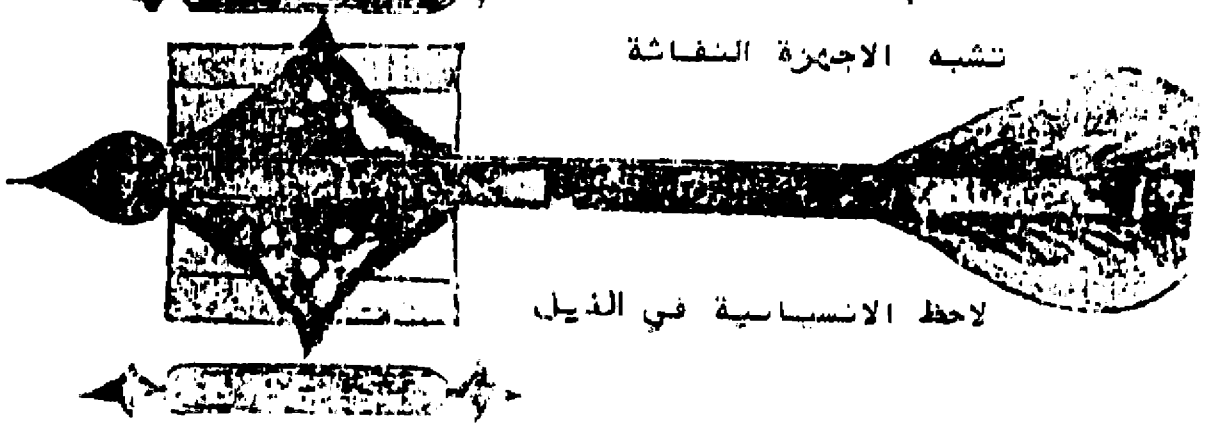

لاحظ الانسيابية في الذيل

كما نجد أن الزحافة(٣) ، وهي من الالات الحربية الهامة وردت في الكتاب ، ورسمت من الجانب (مسقط جانبي) تبدو فيها جدران الفرقة التي تحوي الجنود مزخرفة ، ومتباينة الالوان ، وفي مقدمتها جسر على امتداد الجسر الطويل ، يشكل معه قاعدة وهيكل الزحافة ، وفي الوقت ذاته امتداد وارضية خلف الفرقة لاحتماء الجنود خلف الفرقة ،وللمحافظة على توازن الزحافة وزيادة عامل الامان ضد الانقلاب، لكون معظم ثقل الزحافة يتركز في المقدمة (اللوحة ٨) .

والى جانب هذه الالات الكبيرة ، يعالج المؤلف كيفية صنع القذائف واستعمالها واهمها القدر(٤) وهي باختصار أوعية وأوانٍ مختلفة الاشكال والاحجام تحوي مواد متفجرة وحارقة وسامة ، وذات روائح كريهة او مسيلة للدموع (قدر الجير) ، حسب وظيفة كل قدر والالة التي تقذفها .

بالاضافة الى ذلك ثمة مواضيع اخرى متفرقة حول العديد من الاسلحة والادوات، الفردية منها والجماعية ، واهمها : الكسكنجيل(٥) التي ترمي السهام(٦) ،والمكاحل(٧)، والقوارير(٨) ، والدبابيس(٩) ، وصناديق المخاسفة(١٠) . (انظر اللوحات المرفقة) .

*** النص :**

يبدأ النص الكتابي بالبسملة والحمد لله والصلاة على نبيه . ثم تتدفق التراكيب الادبية والسجع لمدح اتابك العساكر الاسلامية (منكلي بنا الشمسي)(١١) ، الذي أهدى المؤلف كتابه اليه . ومن الملاحظ أن المقدمة والاهداء طويلان بالنسبة الى الحجم الكامل للنص المكتوب والذي لا يتجاوز عشر صفحات . ومع ذلك ضمت المقدمة بيتا من الشعر . وتبدو لغة المقدمة منمقة وسليمة ، اكثر بكثير من لغة النص العلمي والشروحات الملحقة به ، والتي تهبط احيانا الى مستوى الاخطاء النحوية وضعف التعبير وهشاشة الجمل والمقاطع ، وكان الذي كتب المقدمة غير الذي كتب المتن . ان نسبة الصفحات في النص المكتوب (تمييزا عن اللوحات والرسومات والتي نعتبرها ايضا نصا) ، الى اللوحات ، أو بتعبير آخر الى الصفحات التي تحوي رسومات هندسية وشروحات مختصرة ، لا تتجاوز العشر . وهذا مؤشر الى ان الكاتب يعتمد على الرسم بشكل رئيسي .

ولكن ما اهم سمات النص الكتابي في كتاب الانيق؟. اذا امعنا النظر نجد من الوهلة الاولى انه لا يحوي اية معادلة او صيغة رياضية ، أو حتى رمزية . ويبدو ان النص هدف بالدرجة الاولى الى توجيه النصح والارشاد للقارىء في كيفية استعمال المنجنيق وطريقة نصبه ، وشروط الرمي ، وليس للبرهان على صحة تلك المعلومات او تفسير الظواهر العلمية نظريا . فالنص اذاً حلقة وصل بين اللوحات التي هدفها الانشاء والاستعمال الامثل في المعارك ، وبين المستعمل او الرامي : « ولا بد من ذكر وضع هذا

المنجنيق فنقول كيفية وضعه حتى يصير الرامي به مستانسا فنذكر ما يحتاج اليه من الاخشاب ، وهي ثمانية وعشرون قطعة من الخشب وفيها ما يزيد وما ينقص ، فاذا اردت وضعه فتنظر الى ما قد وصفته من الاخشاب في هذا الكتاب فتعمل امثالها واعدادها والصندوق المرسوم فلا تخرج عن عمله وانظر ايضا الى طول النشاب وما هو عليه فاعمل هياته وسفله واعلاه وبخوش الخنزيرات وغير ذلك من الاعمال . ثم جميع المنجنيق وما يحتاج اليه » .(١٢) .

ولو حاولنا استشفاف بعض المبادىء العلمية من النص ، وخاصة الفيزيائية ، والتي تنظم آلية عمل المنجنيق ، ومسار القذائف ، لا نجد اشارة واضحة ومتبلورة اليها ، باستثناء المقطع الذي يشير الى كيفية زيادة مدى القذيفة او نقصانها ، وذلك بالقيام ببعض الترتيبات العلمية : « اذا اردت ان ترمي بعيدا فانك تضع الحجر في المنجنيق وترمي به الى مطلوبك فان اردت ابعد منه فانك تدهن في الثانية اصبع المنجنيق بالزيت . . . وان اردت ابعد منه فانك تدخل في اصبع المنجنيق كعكة من حبل وترمي به فانك تبلغ مقصودك . . . »(١٣) . وهي كما رأينا اجراءات عملية كزيادة عامل الاحتكاك المؤثر على دوران السهم (العارضة الحاملة للقذيفة) حول المحور الحامل لها والمرتبط مع هيكل المنجنيق ، والتلاعب بالثقل المعاكس ، وثقل القذيفة نفسها ، وتخفيض الارضية التي يستند عليها المنجنيق .

ومن الاهمية الاشارة الى تدريجات القنداق(١٤) ، ومدى ارتباطها بآلية الرمي ، وفهم علمي واضح لدور الفتحة (زاوية الرمي) في زيادة مدى القذيفة (منزلة) . ومن قراءة المقطع التالي نجد ان المدلول العلمي واضح في العلاقة الطردية بين المسافة الافقية وزاوية الرمي : « صفة قنداق وخاصتها انها ترمي بها مرة بعد اخرى ، وكل مرة ابعد من الاخرى . . . والقاعدة فيه أنك تبتدىء من الخط التحتاني ثم الى الثاني ثم الى الثالث الى حين تفرغ الخطوط والخط الاخير اعلى من الكل »(١٥) . ومجموع التدريجات هي (٦٥°) ، منها (٣٥°) فوق خط الافق و (٣٠°) تحته تقريبا (اللوحة٩) .

وفي الجزء المخصص لصناعة القدور وباقي القذائف لا نجد ايضا اي معادلة كيميائية، او رمز او صيغة ، ولا اي تحليل او شرح نظري لمسألة خلط المواد الكيميائية او تفاعلها . وانما يوضح النص طريقة صنع المركبات الداخلة في تركيب القذيفة ،وكيفية وضعها في اماكنها المخصصة بدقة . واهم ما يميز الشرح هو اعطاء نسب وزن المواد الى بعضها البعض رقميا وبدقة ، وكيفية المزج . فالنسب هي اساس نجاح التركيب وتحقيق مفعوله ، ونوعية المواد الداخلة في التركيب اذاً ، ونسبها ، هي الاساس العلمي لصناعة القذائف . وقد تحدد الاوزان احيانا في بعض القدور والسهام باستخدام واحدة الوزن (الدرهم = ٣ر٨) غرام . ومع ذلك لا نلمس اهتماما كافيا من المؤلف

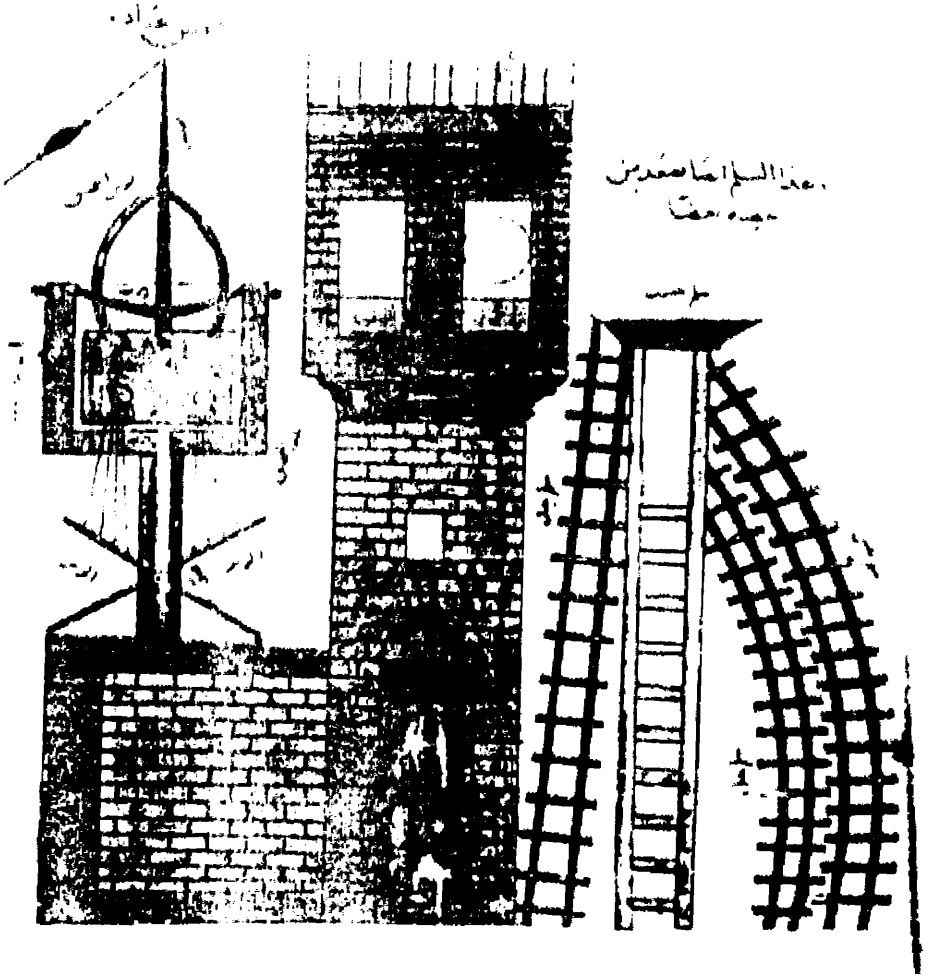

اللـــوحـــــة (٧)

السلم البرجى الشاقولي
ذو المنصة
واضح أثر استخدام الادوات
الهندسية في الرسم .

(عن المخطـوط)

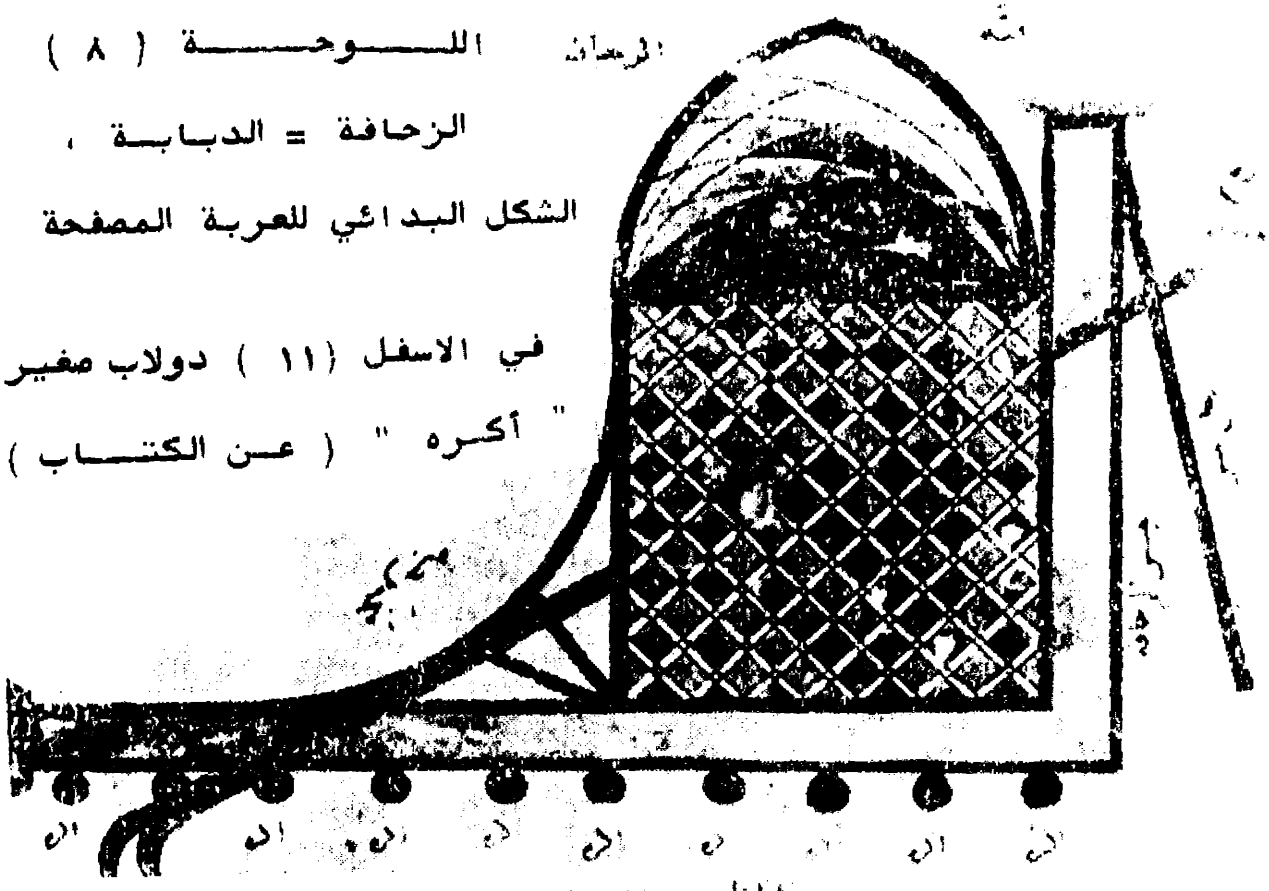

اللـــوحـــــة (٨)

الزحافة = الدبابـة ،
الشكل البدائي للعربة المصفحة
في الاسفل (١١) دولاب صغير
" أكـره " (عـن الكتـــاب)

الهامش: لاحظ طريقة رسم القبة في الاعلى

اللـــــوحـــــة (١)

منجنيق جاهز للرمي

من نوع قره بغـــرى

الصندوق في الاعلـــى

وبهبوطه تنطلق القذيفة

الرسم مفكك للايضاح

ارتباط الدولاب مع الهيكل غير موضـــح

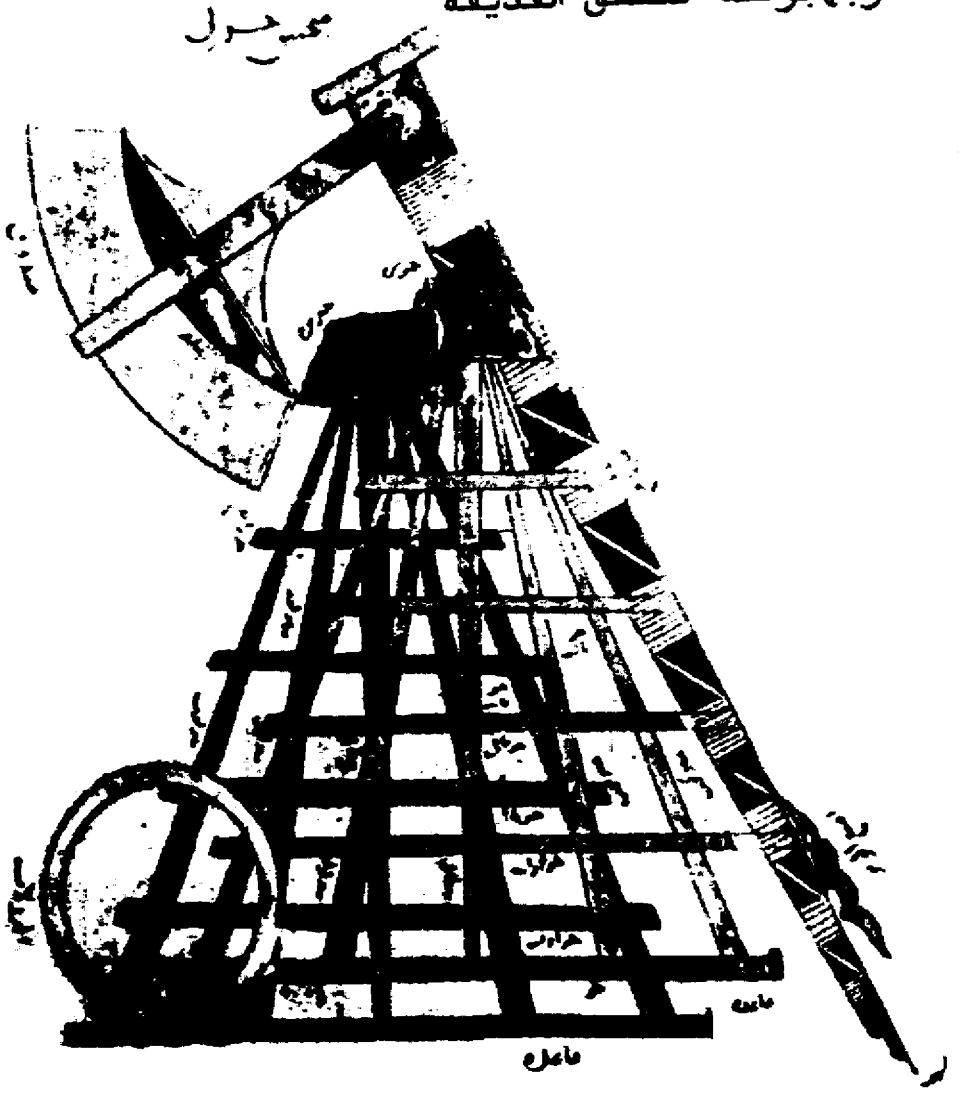

اللـــــوحـــــة (٢)

المنجنيق الزيار

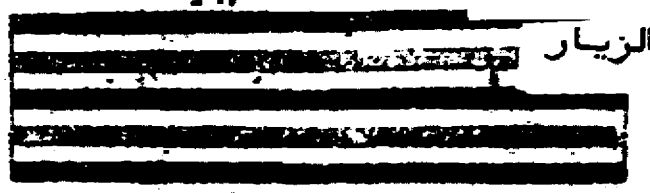

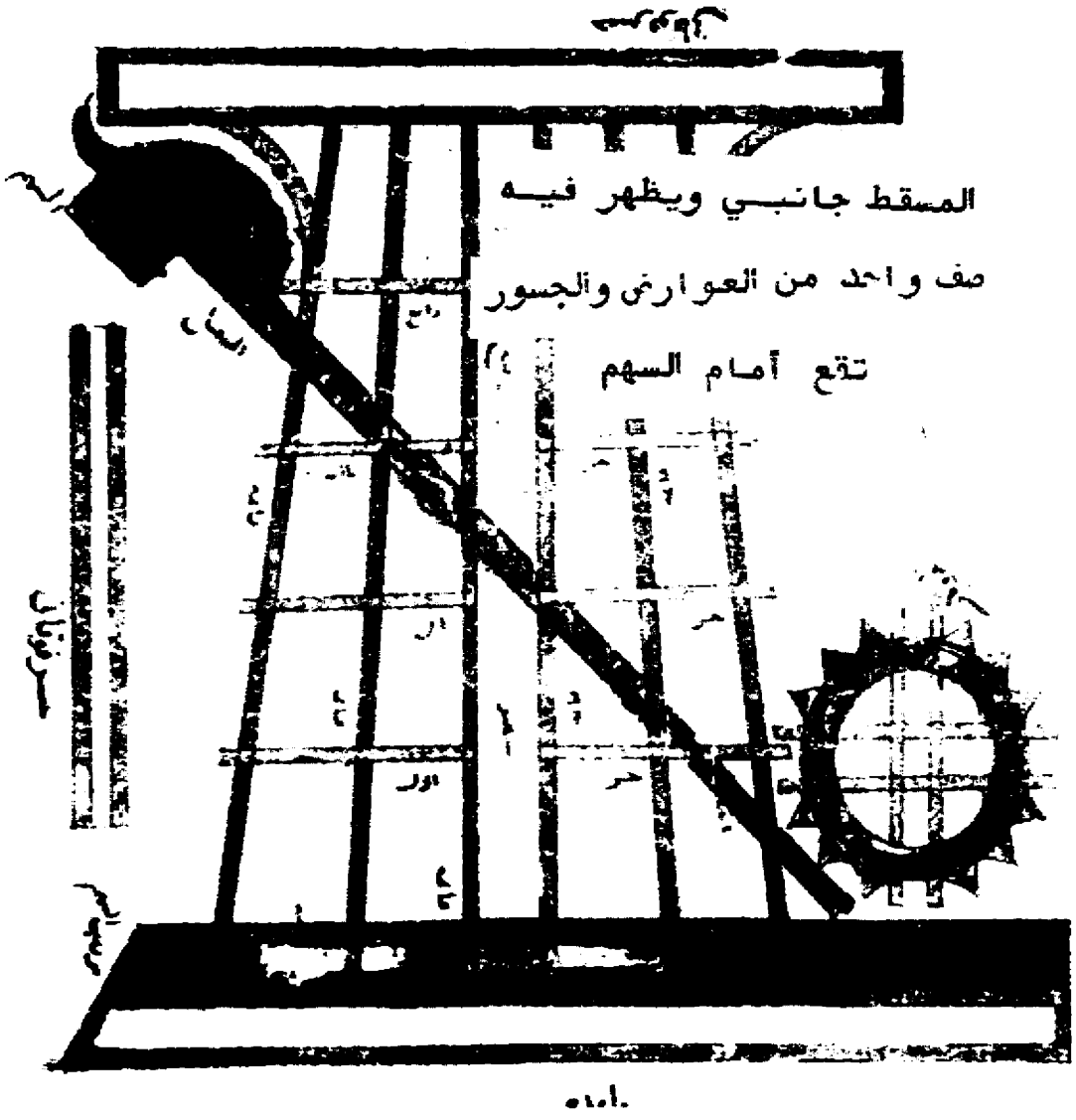

المسقط جانبـــي ويظهر فيـــه

صف واحد من العوارض والجسور

تقع أمام السهم

بالوحدات والمقاييس ، وحتى في القنداق لا يتحدث عن الدرجة كمقياس للزاوية ، ولا عن الاذرع كمقياس للمسافات الافقية . ولربما كانت قلة الشروحات الرياضية والتفسيرات الفيزيائية والكيميائية عائدة الى طبيعة المواضيع التي تعالجها ، وهي ذات طابع انشائي بحت .

ومع ذلك فقد وضع المؤلف عدة اجهزة لقياس المسافات ورصد الاماكن البعيدة ولتسوية الارض (دقق في اللوحة ١٠) . ودون مبالغة يمكن اعتبار الطريقة التي اتبعها المؤلف الشكل البدائي للرصد الطبوغرافي واعمال المساحة الحالية بواسطة اجهزة النيفو والتيودوليت المعاصرة . وبالرغم من عدم وجود نص يشرح طريقته في ذلك ، وبالتالي الدليل القطعي على اجراء هذه الاعمال ، فقد اشار المحقق باختصار الى انها (حسب نظرية فيثاغورث)(١٦) . الا اننا نعتقد ان الطريقة تتلخص في رصد المكان او الهدف ، وقياس زاوية رصد اعلى نقطة مع مستوى الافق بواسطة « ميزان القريب والبعيد » والتي تحوي تدريجات من (٠ ـ ١٨٠°) . ويتم رصد الهدف ايضا بواسطة المثلث القائم المتغير الاضلاع فتتحدد الزاوية (α) وابعاد المثلث القائم « زاوية لمعرفة طول الشجر ». وبطريقة تقريبية يتم حساب المسافة الافقية (X) او الارتفاع (y) حسب طبيعة المسألة . وثمة احتمالات اخرى عديدة لن نتخيلها . لكن المهم ان الرصد عن بعد واستخدام المثلث القائم الصغير لحل مسائل تشابه المثلثات ، كذلك رصد الشاخصة « الشجر » قد استخدمت في قياس المسافات الافقية والارتفاعات العالية. وهنا شكل متخيل لعملية الرصد والحساب

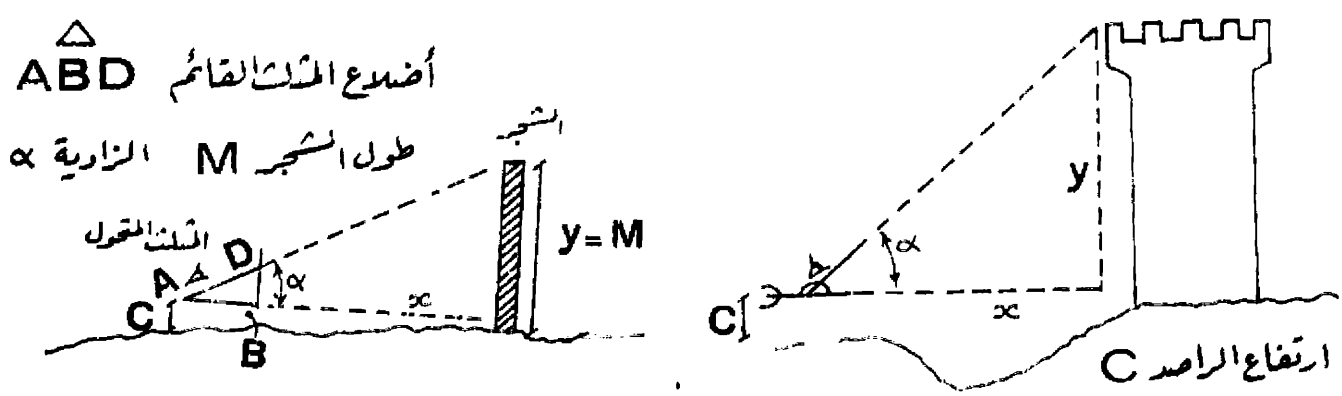

وبمعرفة المعاليم المبينة اعلاه ، تحل المسائل بعد ذلك حسب عدد المجاهيل .

اخيرا ان اشكال السهام الكبيرة المبينة في الكتاب تدل على فهم علمي لمقاومة الهواء

وتوازن الاجسام الطائرة . فالاسهم لها صفائح معدنية موجهة وأجنحة وزوائد لحفظ توازن السهم المنطلق ورسم مسار صحيح له أثناء الاطلاق والتوجيه .

من هذه الملاحظات الاولية لنص الكتاب ،نجد أن المؤلف لم يعتمد كثيرا على الشرح النظري والتعبير اللغوي ، وانما اعتمد أساسا على الرسم ، وكأنه أراد ان يثبت مقولة ان الرسم هو لغة المهندسين . بل أحيانا يشك المرء في أمره ، على اعتبار أنه لم يشق بالنص فاستعان بالرسم لزيادة التوضيح ، كما في المقطع التالي وغايته اظهار طريقة لحرق الحقول والمزارع بواسطة قطة وكلب : « تأخذ قططا وكلابا وترسم في أذنابهم — (من الملاحظ انه يستخدم كثيرا كلمة ترسم ويقصد هنا ربط فتيلة بأذنابهم) فيحرقوا الزرع وهذا هو المثال »(١٧) ، مشيرا الى رسم موضح في لوحة . ولهذا يمكن القول ان اهمية الكتاب الرئيسية تكمن في القدرة على جعل لغة الرسم لغة علمية تساهم في شرح المواضيع الهندسية ، وتقوم بأعباء نقل صور الاشكال ، ونسبها ، وطريقة صنعها ، بالاضافة الى تركيبها واستعمالها . فوظيفة الرسم عند الزردكاش متعددة الجوانب : للاستعانة بها أثناء انجاز وتنفيذ الالة ، واعطاء فكرة وصورة عن المنشاة ، الى جانب وظيفتها التعبيرية التي تساعد اللغة والنصوص والشروحات على توضيح الفكرة النظرية ذاتها ، وايصالها الى القارىء بأبسط واسرع الطرق .

* خصائص الرسم الهندسي :

يمكن القول ان الاساس النظري الثابت لكتاب الانيق هو الرسم ، وهو لغته العلمية وعمودها الفقري . فهل استطاع تحقيق ذلك ، وبلوغ مستوى كفيل بنقل رسالة المؤلف العلمية ، وما اهم سمات الرسم الهندسي نفسه بالمقارنة مع ما هو معاصر ؟!. الرسم كما يبدو من أول نظرة ، رسم ايضاحي بشكل عام ، وتنفيذي أحيانا ومع ذلك لا يعتمد الرسم على الترقيم ، فلا نجد أي رقم أو بُعد على اللوحات ، ولا أي رمز رياضي (الاحرف الابجدية) ، وانما اسماء كاملة . فالجسر مثلا مكتوب عليه (جسر) وليس (ج) على سبيل المثال . مع العلم ان المهندسين العرب قبل عصره بفترة طويلة ،لجأوا الىالرمز والاختصار في هذا المجال ، (الجزري — بنو موسى ..).

ولتوضيح لوحاته وارشاد القارىء أو الحرفي الذي سينفذ هذه الالات ويصنعها، لجأ الى تركيب اجزاء الالات في صور متعاقبة ، والى اساليب ايضاحية اخرى نذكر منها ، استخدام عدة الوان ، كالاسود الغامق والرمادي والابيض ، في الرسم ، بتدرج يحدد لنا اختلاف جزء عن آخر ، مع اللجوء الى التفريد وتجزئة الاشكال ، ورسم القطع ، منفصلة أو مجتمعة . اما من حيث المساقط ، فأغلب اللوحات هي عبارة عن رسم لاظهار مجسم الشكل ، أو يعتمد علي رسم مسقط

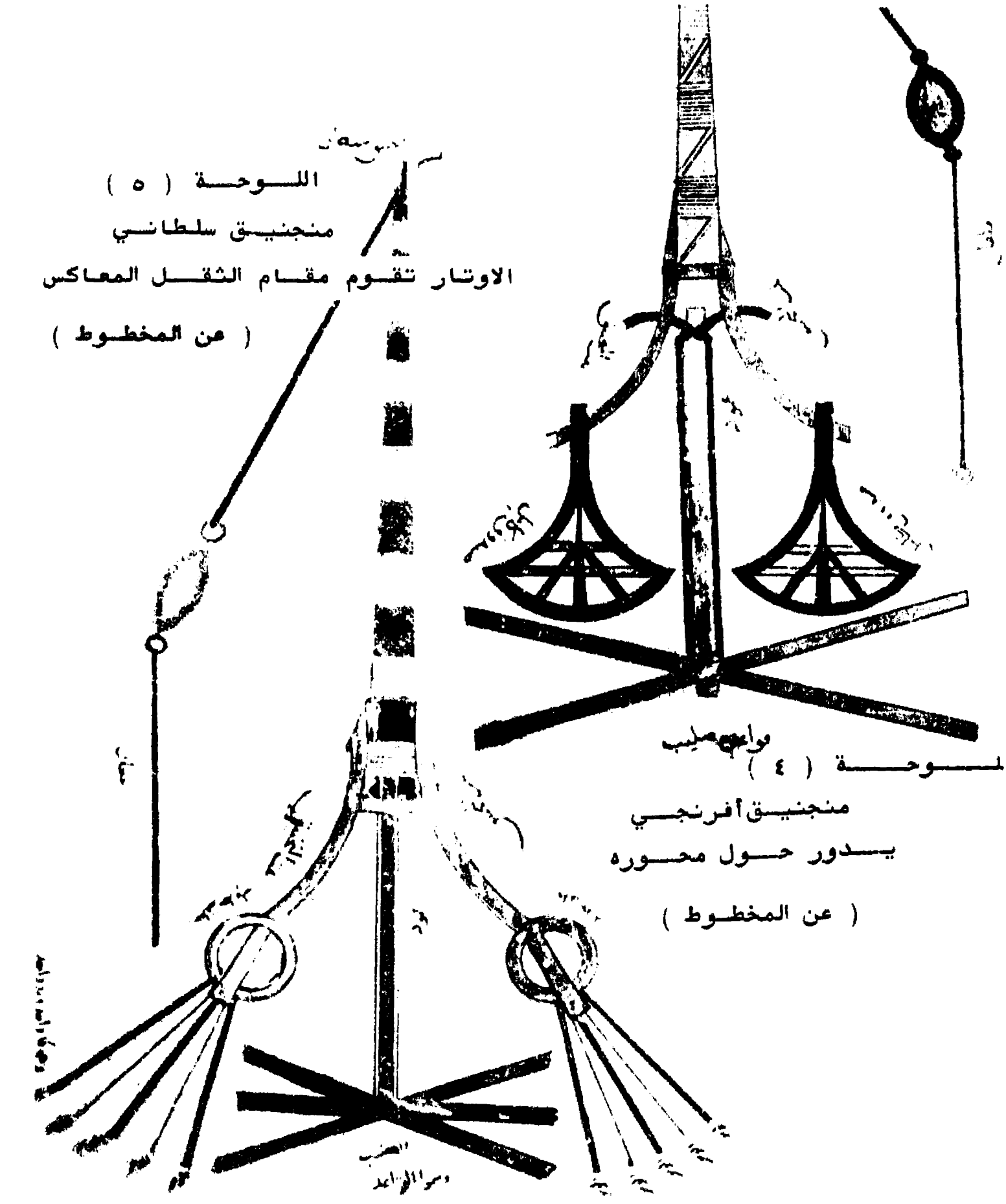

اللـــوحـــة (٥)
منجنيـــق سلطانـــي
الاوتار تقـــوم مقـــام الثقـــل المعاكس
(عن المخطـــوط)

لـــــوحـــــة (٤)
منجنيـــق أفرنجـــي
يـــدور حـــول محـــوره
(عن المخطـــوط)

اللـــــوحـــــة (١٦)

صنـــدوق المخاســـفة (عن المخطـوط)

مسقط رأسي (واجهة) الى جانبها مسقط جانبي تظهر فيه الاجزاء غير المرئية (شبه مقطع) لاحظ الزخارف وهي معـدة للانفجار .

(عن المخطوط)

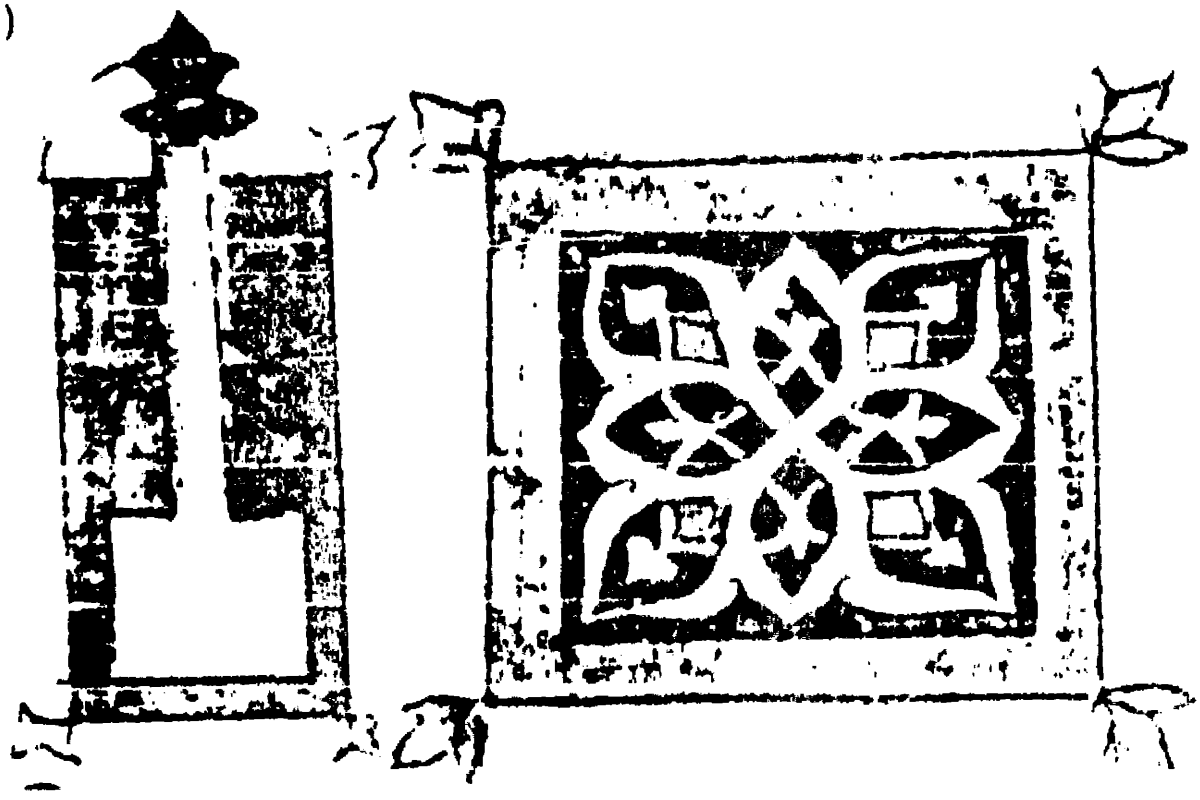

صندوق آخر مؤلف من قسمين واحـد للمواد المتفجرة والاخر للحارقة

يصل بينهما انبوبـان (عن الكتـــاب)

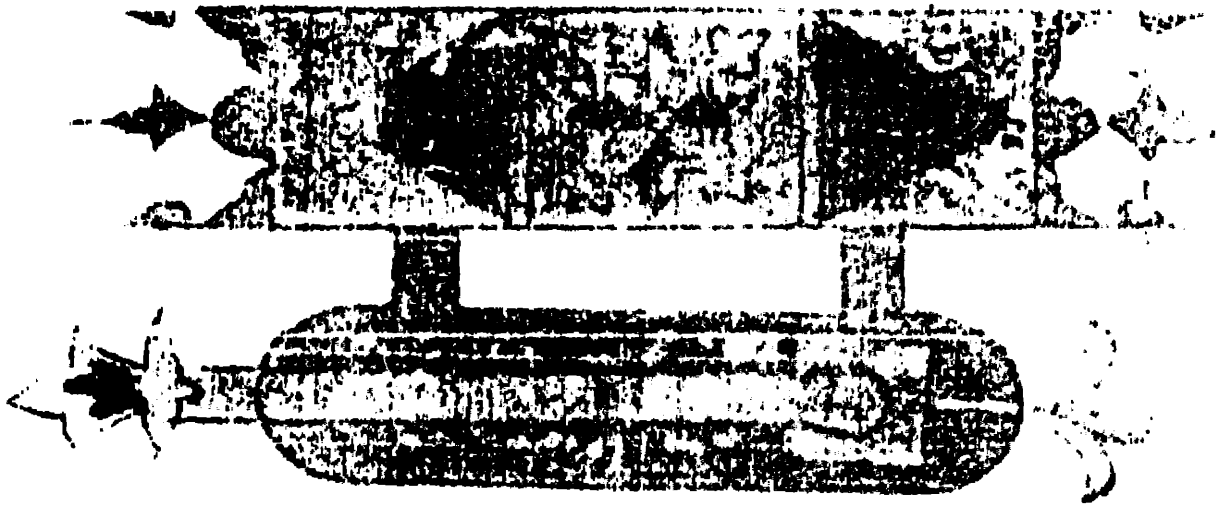

جانبي واحد ، يكون الاكثر اهمية من بين باقي المساقط ، اي تعطي الفكرة الرئيسية عن المنشأة او الاداة ، وتحوي على مواقع اهم اجزاءها .

واحيانا اخرى كان الرسم يجمع صفة المسقط Plan والمقطع Section اي صيغة متوسطة بين الحالتين ، والى جانبها رسم للوحة نفسها بالطريقة الحديثة لتوضيح الفروقات .

وكذلك في صندوق المخاسفة (اللوحة ١٦) ، نجد الى جانب المسقط الامامي مسقطا آخر جانبيا ، ولكنه شبيه بالمقطع العرضي (شبه مقطع)، تظهر داخله الانبوبة. اما في اللوحة (١٧) « آلية شد قوس الزيار » فمن الواضح انه استخدم فيها مسقطين جانبيين ، لتبيان شكل الثقوب وطريقة ادخال الاوتار وامرارها .

ولكن اهم ما يلاحظ في الرسم الهندسي المذكور ، اظهار الاجزاء غير المرئية في المساقط الجانبية ، وذلك برسمها بلون مخالف للون المسقط ، وتصغير الجزء غير المرئي ونقله الى داخل حدود الرسم ، كما في اللوحة (١٨) . والى جانبها رسم هندسي معاصر للقدر نفسها ، لتوضيح الفروقات وتبيان خصوصية الرسم في كتاب الانيق .

ان هذه الطريقة تؤدي الى نوع من الكثافة في مركز اللوحة ، وتضفي مسحة جمالية خاصة على الرسم الصناعي ، تجعل القارىء يتقبله بصورة افضل ، اذ يتحول الى لوحة من طراز خاص ، بعد نقل الاجزاء الزائدة عن الاطراف الى داخل اللوحة ، وتصغير الجزء الواقع في الجهة الاخرى بشكل متناسب . ان النزوع الى الرسم المنمق وذي الطابع الجمالي واضح في كل الرسومات الصناعية عند الزردكاش ، اذ لا توجد تقاطعات حادة ولا اشكال صناعية بحتة ، على عكس المعمارية ، حيث نجد صور القلاع وواجهاتها عبارة عن كروكيات غير دقيقة ، خطوط متقاطعة ومداميك ، قلما تظهر عليها الحلي المعمارية .

وهنا نشير الى وجود احتمالين في مسألة الطابع الجمالي للرسم ، الاول ان رسم الاشكال الهندسية الصناعية بهذه الطريقة له هدف واحد ، وهو ان يخفف ويعدل شكلها الفعلي وطابعها الصناعي ، ولكي يوافق ذوق القراء الذين لم يتعودوا بعد استساغة اشكال كهذه في الكتب . وكمثال نأخذ رسم « وردة اللباد » الموجودة في اغلب اللوحات وهي في الواقع مجرد فتيلة لاشعال القذائف ، الا انها ترسم كوردة حقيقية في اللوحات . والاحتمال الاخر ان بعض تلك الالات والادوات كانت جميلة فعلا ، ولكننا نقع في اشكال اذا اعتقدنا بصحة هذه الاخيرة ، فمن غير المنطقي ان يزخرف الصانع او المهندس الحربي قدرا او سهما معينا ويزينه لكي يلقيه على الاعداء ولينفجر بعدئذ!،لان المسحة الجمالية والزخرفية واردة في الادوات والاسلحة الفردية التي يحتفظ بها

المقاتل ، وليس التي يلقيها على الخصوم . ومهما يكن فعنصرا التوضيح والجمال قد اجتمعا في طريقة ارنبغا في الرسم الهندسي ، وكان التوضيح احيانا على حساب التناسب مثل طرق نصب المناجيق والسلالم على القلاع ، وكذلك الجمال على حساب الايضاح كما في القدور والاسهم والدبابيس .

وهذا الجمع بين الجمالي والعلمي التعبيري ، يرتقي احيانا الى مستوى فني خاص لدرجة ترسخ لدينا فكرة شبه مؤكدة ، وهي ان المؤلف كان مهندسا او حرفيا اصلا ، وليس رجلا مختصا في العلوم النظرية .

هذه الملاحظات تقودنا الى القول ان العلوم الهندسية ،الانشائية منها والصناعية، كانت قد امتصت قدرا كبيرا من الطاقة الابداعية والفنية للحرفيين والمهندسين في الحضارة العربية الاسلامية ، حتى اضفت على معظم الالات والادوات والمنشآت مسحة جمالية لم تكن بحاجة اليها ولا ترتبط بوظائفها . ورأينا كيف كان الرسم الهندسي ، والصناعي بشكل خاص، يحور من شدة الاعتناء حتى يتحول الى لوحة او منمنمة تزين الكتاب ، وبالتالي النص ، وتحببه الى القراء . والى جانب هذه الظاهرة او بشكل ادق قبلها كانت النصوص العلمية ذات صيغ لغوية راقية تصل الى مستوى الادب في جذالة التعابير ورصانة التراكيب . وكان الهدف من كل ذلك ليس تقريب العلم الى قلوب القراء ، والكتابة حسب القيم والاذواق السائدة فحسب ، وانما الوحدة العضوية المعرفية العامة ، والتي تبدو أكثر تماسكا وارتباكا كلما توغلنا في تاريخ الثقافة والمعارف الانسانية .

ختاما لا يمكن لنا بهذه العجالة ان نكشف عن الاسس النظرية لكتاب الانيق في المناجيق ، ومدى تقدم هذه الاسس والمرتكزات واهميتها في السياق التاريخي العام لتقدم الصناعات الحربية ، لان معظم الكتب العلمية القديمة تعاني من انها تقوم بعدة وظائف معا ، وفي مقدمتها طرق الاستعمال ، وخوض المعارك ... الى كيفية صناعة وتركيب الالات الحربية نفسها . ويظل السؤال الهام مطروحا في هذا المجال على كل باحث ، وهو الى اي درجة كانت الصناعات وطرق الانشاء تعتمد على العلوم الاساسية وخاصة الرياضية والفيزيائية ؟ . وما دور التجربة العملية في ذلك ، ومن اي المصدرين انبثقت اولا ؟! .

وكتابنا هذا ان لم يعط الجواب الوافي على هذا السؤال ، الا انه يمهد بشكل ملحوظ للاجابة عليه . فالكتاب هام جدا في مجال الصناعات الحربية ،وان كان اساسه النظري ضعيف ، لانه عوّض عن هذا النقص بكثرة الرسم ، ورفع سويته الى مستوى التعبير اللغوي العلمي . فالكتاب اذن تصنيف تاريخي Catalogue للصناعات الحربية ، وظيفته الاساسية نقل المعارف وتوجيه الحرفي اثناء التنفيذ ، وتصنيع

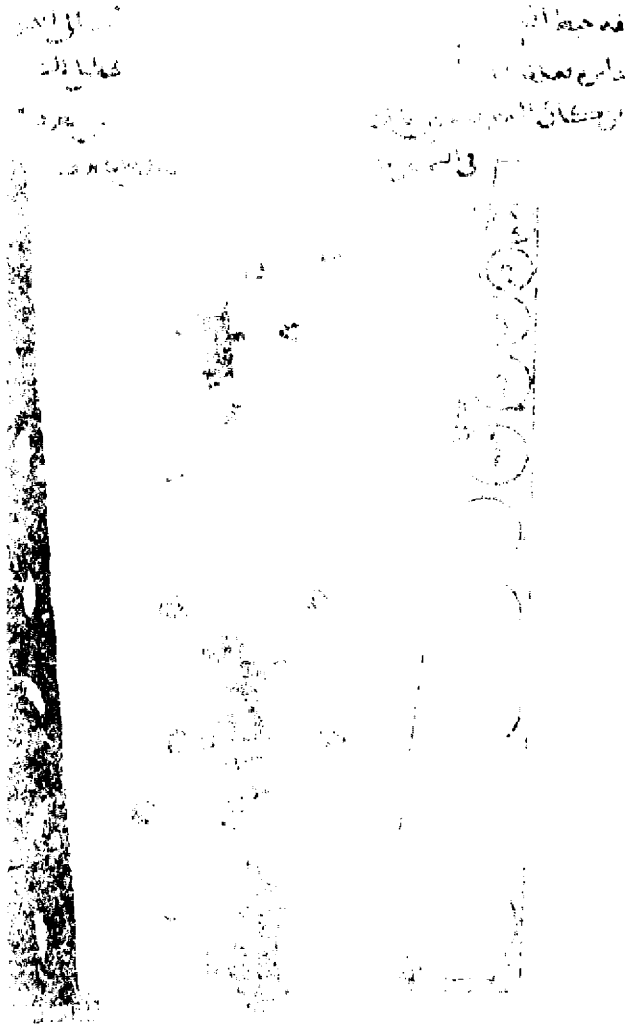

اللـــــــوحـــــــة (١٧

تركيب قلب توربين الزيـــــــار .

الزيـــــار وكيفيـــــة تزييرها وتعييرهـــــــ

(المضغـــوط)

اللـــــــوحـــــــة (١٨)

قدم مناسفة مضرس .

عن الكتـــاب

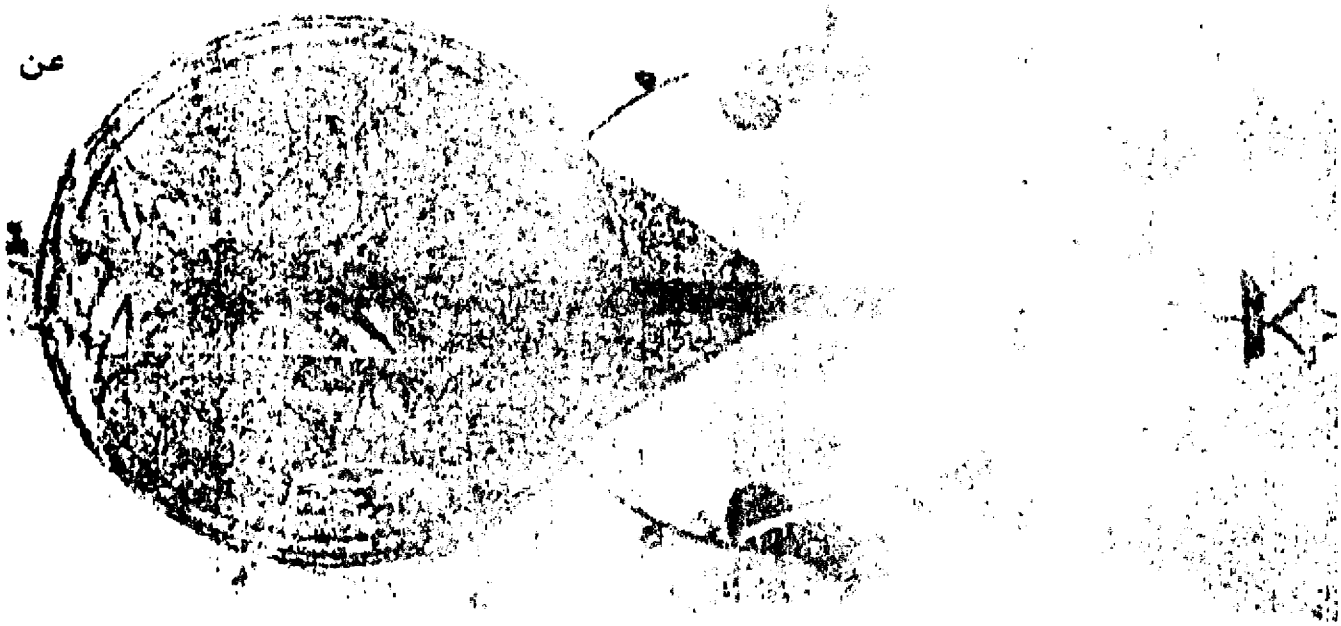

الجزء الأيمن من الصورة هو المقبض لليد .

اللـــــوحـــــة

جهاز القياس زاوية الرمـ
المكاحل وآلات القاذفة الـ

(عن المخطوط)

اللـــــوحـــــة

أجهزة قياس الزوايا أجهزة

الشجر = الشاخصة عدة الاعمال

تلك الالات . ومن المحتمل ان يكون نص الكتاب الاصلي (القسم اللغوي) قد ضاع أو تعرض للاختصار اثناء النسخ . ولا يستبعد أن يكون المؤلف قليل الالمام باللغة العربية، فدفعه ذلك الى الاعتماد بشكل اساسي على الرسم ، او كانت معلوماته شفهية تجريبية فدونها على شكل مخططات للسهولة ، ولكونه يجيد الرسم بشكل أفضل .

ومهما يكن فكتاب « الانيق » بالمقارنة مع المؤلفات المماثلة التي سبقته ، وخاصة مخطوطة الطرسوسي : « تبصرة ارباب الالباب وكيفية النجاة من الحروب . . . » يعتبر تقدما كبيرا في مجال ادخال الرسم في الكتب العلمية ، لان مخطوطة الطرسوسي تعتمد كليا على النص اللغوي والمصطلحات العلمية والمفاهيم الفيزيائية ، في حين أن عدد لوحاتها قليل جدا ، على عكس اسلوب الزردكاش الذي ادخل الرسم بهذا الاتساع في مجال الصناعات الهندسية والحربية ، وقام بوضع الاسس والقواعد الهامة للرسم الهندسي ، كالمساقط واشباه المقاطع ،والتي ساهمت بدورها في تقدم العلوم الهندسية ونشرها بواسطة المخططات التنفيذية واللوحات ،دون الحاجة الى الترجمة او الاسهاب في الشرح . انه كتاب مطابق حقا لعنوانه ، كتاب « أنيق » .

الهوامش

(١) الانيق في المناجيق . ابن أرنبغا الزردكاش. دراسة وتحقيق الدكتور احسان هندي . من منشورات جامعة حلب . معهد التراث العلمي العربي (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) . المرجع الاساسي للبحث .

(٢) المرجع السابق ، الصفحات (١٣ ـ ١٥ ،. التاريخ تقريبي .

(٣) الزحافة : هي الشكل البدائي للدبابة أو العربة المصفحة . اللوحة (٨) . وقد رأينا صورة اخرى لزحافة على شكل سلحفاة في مخطوطة : العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع .لابن غانم الاندلسي (١١٩٨هـ)

(٤) القدر : هي وعاء من الفخار أو المعدن وتعتبر اصل القنابل حسب التطور من قدر ← قنبرة ← قنبلة .

(٥) كسكنجيل : هو منجنيق صغير خاص لرمي السهام بواسطة قوة شد الاوتار .اللوحة(٦).

(٦) السهام : مفردها سهم ، وهي أجسام على شكل رماح صغيرة ، عبارة عن قذائف من نوع خاص لها عدة أنواع وتحمل موادا حارقة او متفجرة تطلق من مناجيق او مدافع خاصة (مكاحل) .

(٧) المكاحل : الشكل الاولي للمدافع .

(٨) القوارير : اداة طويلة لها مقبض وراس تحمل موادا قابلة للاشتعال ، وظيفتها انارة الاماكن المظلمة ، على شكل مشعل .

(٩) الدبابيس : مفردها دبوس ، وهو سلاح حربي يدوي على شكل هراوة ، للضرب ،ولها انواع سريعة العطب تلقى على الاعداء .

(١٠) صندوق المخاسفة : صندوق متفجر ، اكثر تطورا واكبر حجما من القدر . اللوحة (١٦)

(١١) جرت العادة أن تهدى الكتب العلمية الى أحد القادة أو الامراء ، والمؤلف اهداها الى منكلي بنا الشمسي الذي كان اتابك العساكر الاسلامية . وهو منكلي بغا الصالحي الظاهر برقوق، ويعرف بالعجمي. تزوج الاميرة خوند فاطمة ابنة الملك الاشرف شعبان ، ثم اصبح اتابكا للعساكر الاسلامية عام ٨٣٠هـ حتى مات ٨٣٦هـ . وهذا ما دفع المحقق ان يعتبر أن تأليف الكتاب تم قبل عام ٨٣٠هـ ثم

اهديت اليه اثناء توليه المنصب . وللتفصيل راجع النجوم الزاهرة ، ج١٥ ص١٤٣ و١٦٩.

(١٢) كتاب الانيق ص ٤٦ .

(١٣) المرجع السابق ص ٤١ .

(١٤) القنداق : كلمة تركية معناها اخمص البارودة ، وهنا تعني ميزان الرمي : جهاز لقياس زاوية الرمي بين محور المدفع (المكحل) والافق . اللوحة (٩) .

(١٥) كتاب الانيق ص ١٣٧ .

(١٦) التعليق على اجهزة القياس ص ٥٠ . كتاب الانيق .

(١٧) المرجع السابق ص ١٩٩ .

* * *

المراجع الثانوية

- مخطوطة « تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء .. » لمرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي . نسخة مصورة في معهد التراث تحت رقم (٥) عن نسخة المتحف الحربي بالقاهرة .
- مخطوطة الانيق في المناجيق . المصورة في معهد التراث العلمي العربي ـ جامعة حلب .
- مخطوطة «العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع » لابن هائم الاندلسي الشهير بالرياش. النسخة المصورة عن نسخة الخزانة التيمورية. بالخط المغربي . تاريخ النسخ ١١٩٨هـ تحت رقم (١١) مخطوطة في معهد التراث .
- الحياة العسكرية عند العرب ، احسان هندي، دمشق ١٩٦٤ .

* * *

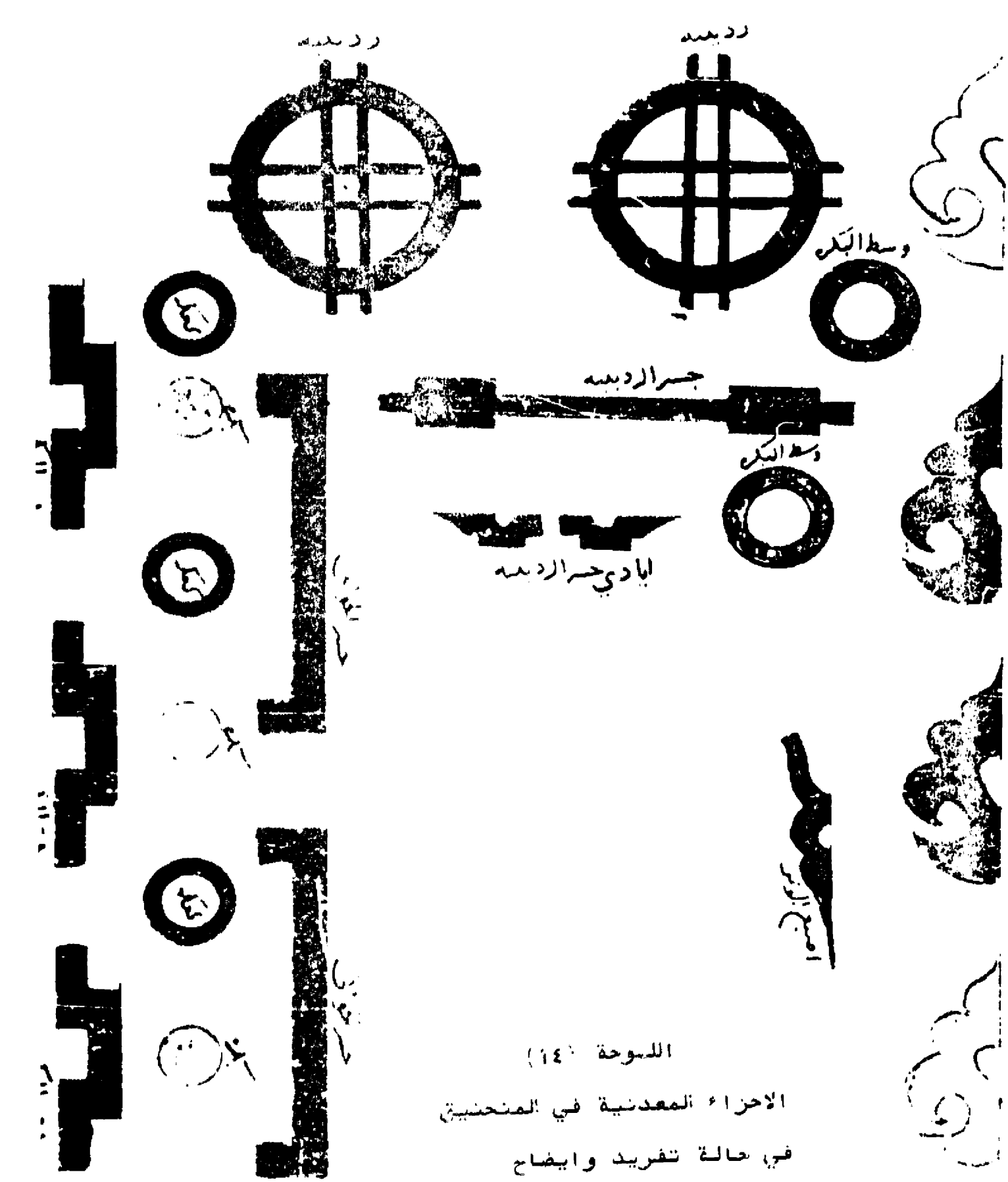

اللوحة (١٤)

الاجزاء المعدنية في المنحنيين

في حالة تفريد وايضاح

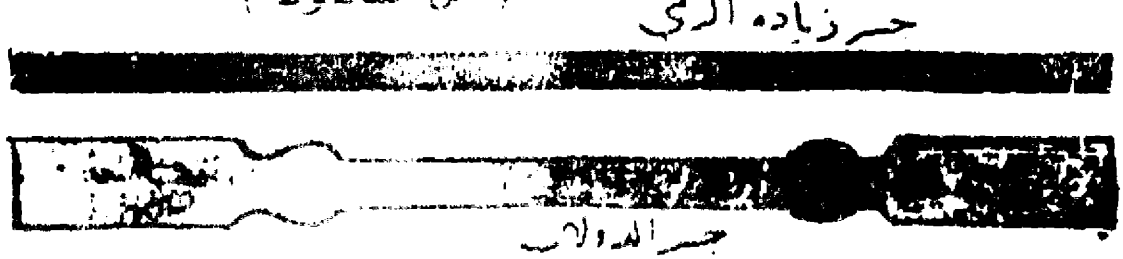

من تاريخ اللغــة العربيــة

د. مسعود بوبو
جامعة دمشق

مدخــل :

لم تحظ لغتنا العربية بالعناية المطلوبة في ميدان « علم اللغة التاريخي العام » إذ لم يفرد لها الباحثون ــ تاريخيا ــ دراسات عقدت على هذا الغرض وحده ، أو أفردت له واستقلت به ، أو برديفه « علم اللغة الجغرافي » ، بل لم تفرد دراسات خاصة حــول جغرافية انتشار العربية في الآفاق ، وبين الشعوب واللغات الاخرى . .

اجل ، إن كتب التراث انطوت في تضاعيفها على شيء من ذلك ، ولكنها المت بــه عرضا ، وفي جملة معالجتها لجوانب أخرى مــن العلم والبحث ؛ لا على غرار ما فعــل بعض الباحثين المحدثين حين خصصوا ابحاثــا خالصــة للتاريخ للغاتهــم ، أو للتاريخ للدراسات اللغوية ، محليا ، أو عالميا . . وبسبب هذا النقص في مكتبتنا العربية كانت حصيلتنا من المعرفة التاريخية ــ اللغوية نزرة ومبعثرة لا ينتظمها منهج ، ولا يقيدهــا تصنيف . فحتى نولي هذا الجانب حقه من العنايــة والمنهجية ينبغي أن نؤسس لــه مبدئيا بتعرّف المسار التاريخي للعربية منذ نشاتها حتى العصــر الحديث ، مركزين على توضّح ســماتها وشخصيتها العامــة وابرز العوامل التــي عملت على إغنائهــا او إضعافها او التي المت بها واثّرت فيها ، تجديدا وتطويرا .

قد يكون للعربية تاريخ خاص انفردت به ، ولكن ليس لذلك كبير اهمية من وجهة نظر علم اللغة الحديث الذي لا تعنيه المفاضلة بين لغة واخرى ، لانه ينزع الى البحث عن قوانين عامــة تحكم الظاهرة اللغويــة كلها ، ونحن ــ من وجهــة النظر التاريخية الصرفة ــ معنيون بأن نتثبت من انفراد العربية بهذا التاريخ الخاص المتميز بين لغات العالم وما اُطلق عليه « اللغات الساميــة » ، معنيون أن نقف على مســالك التداخل والارتباط بين الخاص والعام في التاريخ اللغوي ، وأن نستقرىء علاقات التاثير والتاثر وطبيعة الدور الذي اسهمت به الحضارة العربية من خلال ذلك في تكوين الحضــارة الانســانية .

ولعل أبرز قسمات الخصوصية الواضحة في تاريخ العربية قِدَمها واستمرارها بخصائصها الأساسية المتمثلة في انساق قواعدها التي بقيت محافظــة على اصــولها

دراسات تاريخية ، ٣٣ و ٣٤ ، ايلول ــ كانون الاول ١٩٨٩

واطرّادها بصفة عامة ، الأمر الذي لم ينقيّض لسواها من « الساميات » وهي ــ على الرغم من تلك المحافظة ــ لا يمكن أن ترمى بالجمود أو الاستغناء بقواعدها الناظمة عن حيوية مواكبة الزمن في تطوره ؛ بل لقد كان لها من النمو والتوليد والثراء اللفوي ما دعا بعض الدارسين الى عدّ ذلك تزيّدا أو تضخما لغويا ، على حين رأى فيه بعضهم الآخر حيوية ونماء استطاعت به أن تستوعب الفكر الاسلامي ، وأن تكفل له من الذخيرة الدلالية خاصة ما يسد حاجته ويفي بمتطلباته من المسميات والمصطلحات في شؤون التنزيل والتفسير والفقه والتشريع . . كما استطاعت به أن تفي بحاجة الحكم الأموي في تعريب الدواوين ونظم الادارة والترجمة ، وان تصلح لاستيعاب الحضارة العباسية المزدهرة وعلومها ومسمياتها . ولقد فعلت ذلك مستفيدة من تجربة الحضارات الأخرى غير رافضة لعملية التأثر ، وبذلك برهنت على أصالتها وعراقتها وإنسانيتها بغير ما تعصب ولا انغلاق .

وكان من خصائص العربية في تاريخها الانساني انتشارها في الآفاق ، وخاصة زمن الفتوحات حاملة رسالة التوحيد الاسلامية وحضارة العرب في ظروف تدعو الى الدهشة والتأمل ، وتحفز على البحث والاستقصاء بعيدا عن محاولات التضييق والتقويم المتعصب ، وبمعزل عن روح الهوى والافتآت على العلم بالآراء المتسرعة .

ويُحترَز من الخلط بين التأريخ بمفهومه العام ، وبين التأريخ للّغة ، ثم بينهما وبين (علم اللغة Linguistics) إذ أن التاريخ بمفهومه العام يُعنى بتسجيل الأحداث والحالات التي تطرأ على الأفراد والمجتمعات والظواهر الطبيعية في أوقات معلومة محددة ، على حين يعني التأريخ للّغة شيئا من الخصوصية التي لا تؤرخ للظاهرة اللغوية بصفة عامة ، أو بالنظر الى اللغة على انها موضوع مادي أو طبيعي كما يراها اللغويون المحدثون ، ولكنها في الوقت نفسه خصوصية لا تعزل العربية ، أو أية لغة أخرى عن هذا الاطار العام عزلا تاما ، بل تتطلب من المؤرخ اللغوي ان يمازج بين وجهتي نظر المؤرخين واللغويين مستفيدا من منهجيهما في العمل ، وهذا يعني ــ في إيجاز ــ عدم الاكتفاء هنا برصد المسار التاريخي للغة العربية والاقتصار على الأحداث التي عرضت لها وحسب ، كما يعني الى جانب ذلك الاستعانة بالتحليل اللغوي أحيانا وحيث تستدعي طبيعة البحث ، والافادة من النتائج والملاحظات والدراسات المختلفة التي اثمرتها جهود علماء اللغة وخاصة في المجال التاريخي . ويترتب على هذا الاّ يطغى منهج التحليل اللغوي بروحه التخصصية البحتة على طبيعة البحث ذاك ، حتى لا يبدو الأمر وكأنه معاودة عرض المعلومات اللغوية بزيّ جديد ، إذ أن مسلكا كهذا قد يجنح بالدراسة الى ميدان علم اللغة الخالص . ومن هنا لا ينبغي أن نجعل من الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية في اللغة موضوع معالجة أساسية

متقصين ما تنطوي عليه من اسرار وتفصيلات ؛ إنما الذي يعنينا من ذلك ان نستخلص ما لهذه الظواهر واشباهها من اثر فعال في تطور العربية ، أو تعديل مجراها او ما كوّن نقطة بارزة أو منعطفا واضحا عبر رحلتها التاريخية الطويلة .

وربما كان من المفيد هنا الالماح الى اصالة البحث اللغوي في مجمله عند العرب ، والى اصالة حوافزه وقوة الخلق والابداع فيه ، من غير أن نعزو الى الحضارات المجاورة كبير اثر واهمية في ذلك ، كما يحلو لبعض المتطرفين ان يفعلوا او يبالغوا ، ذلك لأن البحث في اللغة ، والتاريخ لها وللحضارة العربية الاسلامية مسالة اَمْلَتْها بواعث العلم الأصل ، علم الدين الذي احتل المرتبة الأولى بين علوم العرب ، وأسس لها ، ومن هنا يمكن الاطمئنان بداهة الى اصالة المنطلق وسلامة المقدمات الموضوعية التي ترجّح ان العمل اللغوي والتاريخي كانا اصيلين منذ البداية ، وبعيدين عن الاقتراض والاقتباس والتقليد مما يجعلنا في مواجهة موضوع مستقل وجدير بالمدارسة والتفحص في هذا الميدان من ميادين الحضارة العربية .

اللغة العربية قبل الاسلام

١ ـ مرحلة الانتماء :

تتناقل المرويات ، ويتردد في كتب التراث والمأثورات الدينية انه بعد طوفان نوح (عليه السلام) جاء من اولاده الثلاثة : سام وحام ويافث شعوب عمّرت الأرض . والى « سام » ينتسب الساميون (على ما جاء في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، من التوراة) . واللغة التي كان يتكلمها هؤلاء سميت « اللغة السامية » . واول من اطلق عليها هذه التسمية عالم اللاهوت المستشرق الالماني النمسوي الأصل: لودفيج شلويتسر A.L. Shloester سنة ١٧٨١م ، وتبعه في هذا عالم الماني آخر هو : آيخهورن Eichhorn منذ سنة ١٨٠٧م ، ومن هذه اللغة انحدرت أو تفرّعت العربية(١). ذلك هو الاكثر شيوعا ودورانا على الألسنة وفي كتب التاريخ واللغة في العصر الحديث. وأساس هذه الفكرة هو قول شلويتسر إنه : « ... من البحر المتوسط الى الفرات ، ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوبا سادت كما هو معروف لغة واحدة ، ولهذا كان السوريون والبابليون والعبريون شعبا واحدا ، وكان الفينيقيون « الحاميون » ايضا يتكلمون هذه اللغة ، التي أود ان اسميها اللغة السامية » .

وهذه الفكرة تنامت وتقوت حتى تحولت الى « نظرية » عند المستشرقين الأوروبيين منذ القرن التاسع عشر . ولتطوير هذه النظرية والترويج لها شرع اولئك المستشرقون يبحثون عن موطن اصلي « للساميين » ويتتبعون هجراتهم التي اطلقوا

عليها ايضا اسم الهجرات السامية ، على الرغم من الاقرار التاريخي بأن تلك الهجرات قد خرجت من قلب الجزيرة العربية، من أرض (العرب) ، ومن الموقع الذي لم يتفقوا على انه الموطن الأصلي « للساميين » . ذلك أن المهد الاول لتلك الاقوام التي لقبوها بالسامية مختلف على تحديده ، فلا هو معين بدقة في المظان التراثية القديمة ، ولا هو محل اجماع وتحديد في الدراسات الحديثة ؛ انما هناك اجتهادات او افتراضات ليست قاطعة أو معززة بوثائق وثبوتيات؛ بل ان بعض الباحثين المتحمسين في هذا الميدان ينفي امكانية تحديد مهد للساميين ، يقول اسرائيل ولفنسون مثلا : « من العسير أن نجزم براي في المهد الاصلي للأمم السامية » .. ثم يضيف : « والذي يمكننا أن نجزم به هو ان اكثر الحركات والهجرات عند اغلب الامم السامية التي علمنا اخبارها واسماءها كانت من نزوح جموع سامية من ارض الجزيرة الى البلدان المعمورة الدانية والقاصية في عصور مختلفة »(٢) .

وغير خفي هنا أن ولفنسون اقتصر على قوله : « ارض الجزيرة » التي يقصد بها ــ بداهة ــ الجزيرة العربية ، كما هو متفق عليه تاريخيا ، ولكنه فرّ من التسمية الكاملة كي يتملص أو يتهرب من ربط « العروبة » بتلك الهجرات . .

وبعض الباحثين يفترض تخمينا مهدا معينا لهؤلاء « الساميين » ، مثل كارل بروكلمان الذي يقول: « . . ولكن اذا ما تأمل المرء في انه قد لوحظ في العصور التاريخية، كيف ان بلاد الحضارة في ما بين النهرين وسورية ، كانت تكتسحها دائما وابدا موجات من القبائل البدوية القادمة من الصحراء العربية ، حتى غمرت احدى هذه الموجات القوية ، وهي المسماة بالموجة العربية ، كل صدر آسيا وشمالي افريقيا ــ اذا ما تأمل المرء في كل هذا ، فانه يمكنه حقا ان يعتقد ان الجزيرة العربية هي المكان الذي يصلح لأن يكون مهد الساميين الاول ، ذلك المهد الذي يرجح ان الشعب السامي الذي يقطن الحبشة ، قد خرج منه كذلك »(٣) .

والذي تعنينا ملاحظته في كلام بروكلمان اقراره الواضح بأن تلك الموجات البشرية قدمت من « الصحراء العربية » ، واقواها « الموجة العربية » ، وان المكان الذي يصلح لأن يكون مهد « الساميين » الاول هو « الجزيرة العربية » . . فهو بذلك يخلع الطابع العربي على كل ما يكوّن عناصر « النظرية السامية » ويكمل اطارها . اي انه يقر ضمنيا ، أو يميل في دخيلة نفسه الى ان مقومات ما سمي بالنظرية السامية ذات اصول عربية من منظور الواقع العلمي التاريخي ،وتلك قضية كانت بحق موضوع جدل وتفنيد عند من لم يتنقد للأخذ بفكرة شلويتسر ، أو عند من لم يتلقوا هذه التسمية ويقبلوا بها كحقيقة مطلقة لا تقبل المناقشة .

وممن لم يطمئنوا الى هذه « النظرية » ، أو يسلموا بما ذهب اليه شلويتسر المستشرق الالماني المعروف « تيودور نولدكه » الذي يرى أن شلويتسر هذا « بنى تقسيمه (للشعوب السامية) على اعتبارات سياسية ، وحدود جغرافية فحسب »(٤).

اي انه لم يبن تقسيمه اعتمادا على معطيات تاريخية او مستند علمي .. ويقول سبتينو موسكاتي : « ... لا حاجة الى مناقشة نظرية « الجنس السامي » جنسا متميزا يشمل جميع الشعوب التي تتكلم اللغات السامية ، فهي نظرية تنتمي الى ميدان الدعاية السياسية التي عفت آثارها الآن اكثر مما تنتمي الى العلم الجاد ، وقد نبذها علماء الجنس عن حق »(٥) .. ويقول في موضع آخر :

« ليس هناك قطعا شيء اسمه الجنس السامي »(٦) .

ويحمل على هذه « النظرية » أيضا « بيير روسي » ويستنكرها قائلا :

« .. انه لمن غير المنطقي أن يفرض علماء الغرب الموسوعيون عن طريق فكرهم العلمي ميثولوجيا مؤسسة على الأساطير التوراتية »(٧) . ثم يقول في موضع آخر :

« .. انها لميزة يمتاز بها هؤلاء الخبراء (المستشرقون) الذين لا يتفقون فيما بينهم على شيء إلا على أمر واحد ـ ويا للغرابة ـ انه هذا التعبير (ساميّ) الذي لم يتفقوا أبدا على محتواه(٨) .

ويرى الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى أن « التسمية التي نادى بها شلويتسر تسمية تقريبية على أحسن الافتراضات »(٩) . ثم يقول : « الحديث عن جنس سامي أو عنصر سامي يصلح اساسا للتسمية السامية هو أمر أقل ما يقال فيه انه مستبعد علميا »(١٠) وهو « حديث غير وارد في ضوء الأدلة العلمية » .

والى مثل هذا يذهب الدكتور محمد حرب فرزات حيث يقول :

« .. من الواضح ان هذا الاصطلاح غير دقيق لانه مبني على اساس تصور الكاتب التوراتي المصطنع للجغرافية البشرية وللقرابة بين الشعوب ولاختلاف المصادر التي اعتمد عليها في صياغة نصوص الاسفار التاريخية خلال المرحلة الطويلة التي استغرقتها كتابتها وتم فيها جمعها بين القرنين الحادي عشر والقرن الخامس ق.م »(١١).

وقد أفرد الدكتور توفيق سليمان لهذا الغرض كتابا براسه بعنوان « اسطورة النظرية السامية »(١٢) حاول فيه كشف زيف هذه النظرية وما تنطوي عليه من تكلّف أو تعصب تعوزه الدقة والادلة العلمية المقنعة .

ان اصحاب هذه الآراء ونظراءهم ممن لم يسلّموا او يقبلوا بمقولة شلويتسر : (أود أن أسميها اللغة السامية) قد احتكموا في رفضهم لهذه التسمية الى العقل العلمي ملتمسين الحقائق والادلة ، فلما لم يقفوا عليها اطلقوا تلك الاحكام متيقنين من أن شلويتسر قد انقاد لهوى ديني او سياسي ظاهر التعصب ، ثم اطلق التسمية « السامية » استجابة لهذا الهوى واغفالا لحقائق العلم والتاريخ . ولما لم تكن تلك الحقائق معروفة للناس قبلا بالقدر الكافي فقد قبلوا تسميته وأخذوا بها من غير تدقيق ثم شاعت بينهم وتناقلتها الالسنة والاقلام حتى اكتسبت قوة المصطلح وألفها الناس حتى صار الاعتراض عليها مستغربا اكثر من التسليم بها . ونحن ليس في نيتنا بصورة اساسية هنا أن نتقصى الآراء التي انتصرت لفكرة شلويتسر او رفضتها ؛ انما الذي يعنينا اصلا المضمون الذي اطلقت عليه التسمية وارتبطت به . فهذا المضمون يتلخص في أن الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة العربية ، وانتشرت في مختلف الاتجاهات كانت تتكلم في الغالب لغة واحدة ، ثم توزعتها الاماكن واللهجات توزعا تفاوتت ، تبعا له ، نسب الاختلاف او الاتفاق اللغوي ، وهذا ما عبر عنه كارل بروكلمان بقوله :

« وعندما كان الساميون يكوّنون شعبا واحدا ، فلا بد انهم كانوا يتكلمون فيما بينهم ، بلغة واحدة مشتركة ، غير انه ليست هناك بالطبع لغة واحدة عامة ، في منطقة واسعة نوعا ما ، لم تنقسم الى لهجات . فاللغات التي ظهرت لنا في العصور التاريخية في صورة لغات مستقلة ، لم تكن إلا لهجات للغة واحدة ، في الوقت الذي كان فيه الشعب الاول لا يزال افراده يعيشون معا في منطقة واحدة ، وان كانت خصائصها لم تظهر واضحة ، إلا في وقت متأخر ، بعد انفصالها بعضها عن بعض . ومن الطبيعي ان تلك اللهجات ـ تماما كاللغات فيما بعد ـ لم ينفصل بعضها عن بعض انفصالا صارما »(١٣) .

أجل ان تلك اللهجات او اللغات « السامية » لم ينفصل بعضها عن بعض انفصالا صارما ، بل احتفظت بأوجه تشابه مؤكدة ، في الاصوات ، والتراكيب ، والدلالات ، وكثير من الخصائص التي ورثتها من اللغة الام. وغالبا ما نسبت تلك اللهجات اصطلاحا الى متكلميها ، او الى الارض التي استقروا عليها فترة طويلة نسبيا ، او الى ما يمكن أن نطلق عليه اليوم اسم « عاصمة » اشتهرت بمنعتها وسعة سلطانها ، او حضارتها المتفوقة على ما جاورها .. ذلك هو الشائع المألوف في تسمية اللغات او تصنيفها عبر التاريخ ، فالأسر اللغوية (كالسانسكريتية ، والصينية ـ التيبتية ، واللاتينية ، وغيرها ..) لم تنسب الى أبناء نوح الذين جاء منهم « شعوب عمرّت الارض » كما نسبت الساميةوالحامية،مع أن تلك الأسر اللغوية ليست اقل قدما وعراقة فيالتاريخ،

فعلى اي اساس إذن نقبل بنسبة اللغات التي خرج حاملوها من « جزيرة العرب » الى سام بن نوح ولا نقبل بنسبتها الى تلك الجزيرة ؟! او الى « العرب » ؟!

يقول سبتينو موسكاتي : « الشعوب التي تتكلم اللغات السامية وفدت في العصور التاريخية من الجزيرة العربية »(١٤) . ويقول في موضع آخر : « فالساميون يظهرون في اقدم المصادر على انهم بدو صحراء العرب »(١٥) .

ونحن ـ اخذاً بهذا كله ـ نود ان نسميها «العربية القديمة» . ولو ان شلويتسر او من سبقه سماها كذلك اعتمادا على ما يوافق هذه التسمية من الحقائق التاريخية التي بين أيدينا لكانت لقيت القبول والاجماع واستقرت مصطلحا بديلا من السامية أو الساميات . ولكانت تسمية اقل عرضة للنقد ، ان لم تكن اقرب الى العلم والموضوعية.

وما اخذنا بمصطلح « السامية » احيانا هنا الآن إلا تجنبا للالتباس ودفعا للاشكال الذي قد يؤدي اليه تعدد المصطلحات أو تداخلها .

وبعد ، فهذه الاسرة اللغوية تحتل مكانة عريقة ووجودا موغلا في القدم بين السلالات اللغوية في العالم ،وقد صنفها اللغويون المحدثون والمؤرخون على النحو التالي:

١ ـ الفرع الشرقي .
٢ ـ الشمالي الغربي .
٣ ـ الجنوبي الغربي .

١ ـ وواضح ان تسمية الفرع الشرقي بالنسبة الى جزيرة العرب ، لأن مسرحه كان في شرقها ، واقدم لهجة أو لغة منه « الأكادية » التي كان موطنها بلاد الرافدين : « دجلة والفرات » في أعقاب اللغة «السومرية» التي لم يصنفها علماء اللغة بين ما اطلقوا عليها « اللغات السامية » ، وقد تاثرت بها « الأكادية » واخذت منها كثيرا من من المفردات . والأكادية نسبة الى مدينة « اكد » التي كانت تقع الى شمال المدن السومرية . وللأكادية الشرقية فرعان هما : « البابلية » و «الآشورية» . ينسب الاول الى مدينة « بابل » التاريخية ، والثاني الى مدينة « آشور » التي نقلت اليها عاصمة الدولة في بلاد الرافدين بعد بابل . وبهاتين اللغتين دُوِّن اقدم الشرائع البشرية : قانون (حمورابي) . وقد عثر على نقوش مختلفة كتبت بهما ترجع الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد كنقوش ورُقم «ماري» وغيرها ،وذلك منذ ١٨٤٠ حين بدأ قنصل فرنسا حفرياته قرب « الموصل » ، تلك الحفريات التي كشفت عن نقوش مكتوبة على الواح من الفخار او الطين المشوي بالخط المسماري « الاسفيني » .

وينسب الى الفرع الشرقي ايضا اللغة « الكلدانية » بعد ان صارت السلطة الملكية بايدي ملوك من قبيلة بني كلدان القادمين الى بابل من جوار الخليج العربي .

٢ ـ اما الفرع الشمالي الغربي فيقسم الى :

ـ كنعاني ، وآرامي .

والفرع الكنعاني ينقسم الى قسمين: كنعانية شمالية تعرف باسم «الاوجاريتية» نسبة الى « اوجاريت » ، وهي مدينة اثرية على الساحل الشمالي لبلاد الشام ، قرب مدينة اللاذقية حاليا ، ويسميها السكان المحليون « راس الشمرة » . وتمثل الأوجاريتية حضارة مزدهرة كما دلت النقوش التي كشفت فيها ، والتي كتبت على الالواح والاعمدة الحجرية الضخمة بالخط المسماري ، ولكن بالنظام الابجدي ، لا المقطعي كما كانت الحال في الاكادية .

ـ وكنعانية جنوبية ومما اكتشف من آثار مكتوبة بها ما عرفت في مصر باسم مراسلات « تل العمارنة » . وكانت منها ايضا لغة الطقوس الدينية للعشائر العبرية واقدم ما اكتشف من آثار مكتوبة بهذه ترجع الى القرن التاسع او الثامن ، على ابعد تقدير ، قبل الميلاد(١٦) . ومنها ايضا (من الكنعانية) : « المؤابية » التي عرفت في « الاردن » نحو ٩٠٠ ق.م . ولعل اشهر فرع يمثل تمركز الكنعانية وكثافتها هو « الفينيقية » ، او ما اطلق عليه اليونان اسم الفينيقية التي عرفت خاصة في «بيبلوس» أو « جبيل »(١٧) من الشاطىء اللبناني للبحر المتوسط ، وانتشرت الى الشمال والجنوب من جبيل، في صور ، وصيدا ، وارواد ، حتى اوجاريت . وفي جبيل عرفت الكتابة الابجدية منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وربما قبل هذا التاريخ ، وعن ابجديتها اقتبست اوروبا فكرة الكتابة الابجدية بعد ان اجرت على اصوات لغاتها ما يناسبها من تعديلات ، كما انتقلت هذه الابجدية الى غرب آسيا وجزء كبير من افريقيا ، في الفرع الكنعاني الذي عرف باسم« البونية » التي حملها الكنعانيون الى شمال افريقيا وتمركزت خاصة في « قرطاجة » ، في تونس حاليا .

ـ ومن هذا الفرع (الشمالي الغربي) : الآرامية . وكان الآراميون ينتشرون في سهول سورية وبوادي بلاد الشام ، وقد امتدت آثار لغتهم من شمالي انطاكية وبلاد الشام والرافدين حتى فلسطين وجزيرة « فيلة » بأسوان من بلاد مصر . ووصلت في بعض مراحل تاريخها حتى الهند ، وكانت لغة الادارة و (الدبلوماسية) لدى الفرس الأخمينيين تكتب بها الوثائق الرسمية والعقود والرسائل في كل انحاء الامبراطورية الفارسية(١٨) . . وكان الآراميون في كثير من الاحيان الوسيط في توصيل الدخيل اليوناني واللاتيني الى اللغة العربية(١٩) . وترجع الآثار المكتشفة المكتوبة بالآرامية الى القرن التاسع والثامن قبل الميلاد .

ومن فروع الآرامية الشرقية آرامية « الصابئة » التي تسمى « المندعية » او

توزع اللغات «الساميّة»

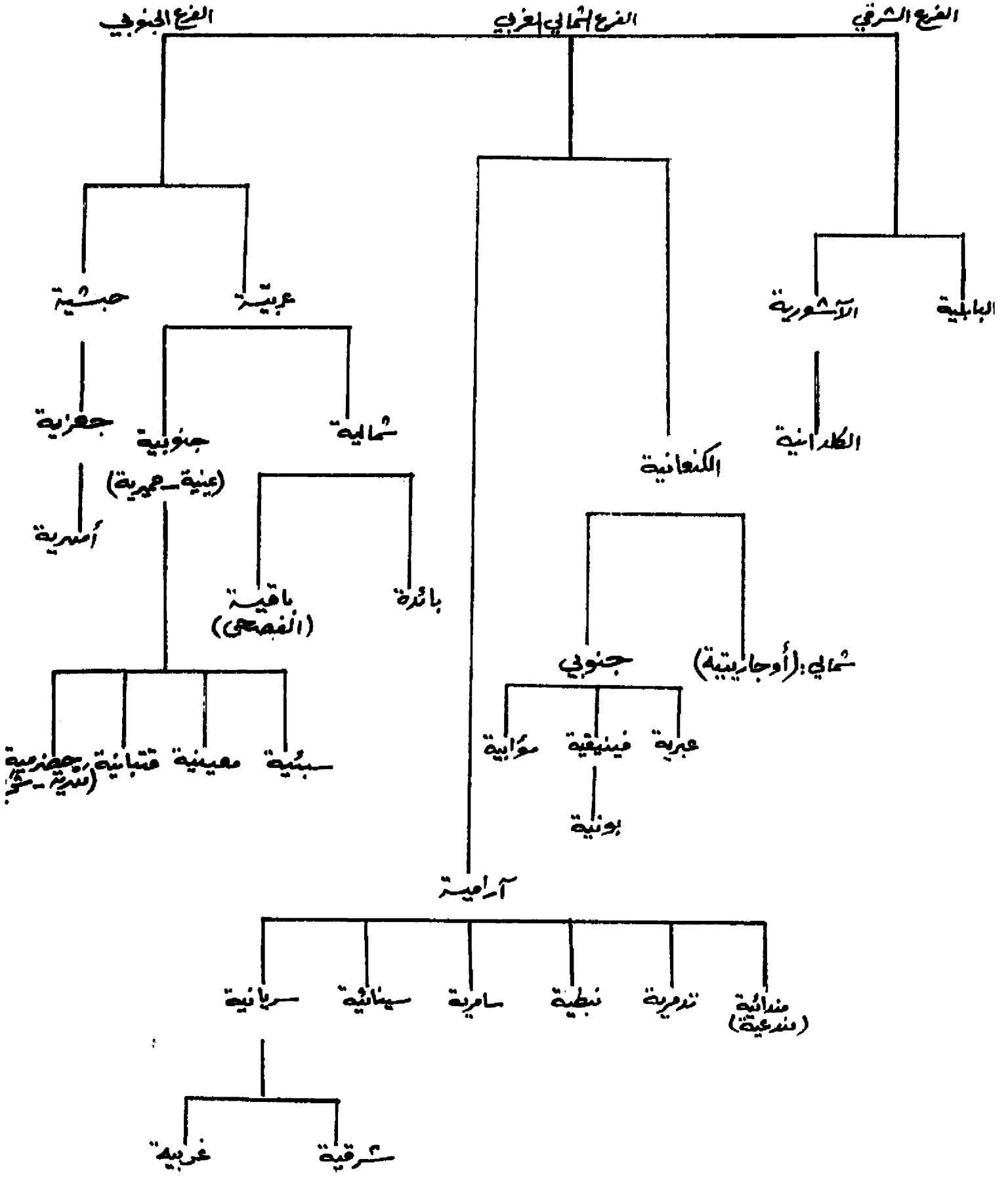

المندئية وقد انتشرت في جنوب بلاد الرافدين قرب البصرة وواسط . وآرامية التلمود البابلي التي بها شرح أحبار اليهود هناك كتاب « المشنا » ـ أو التي كانت لغة كتب الشريعة الشفوية ، تقابلها في الغرب « الآرامية الفلسطينية المسيحية واليهودية » التي ركزت على الجانب الديني وخدمة الكتاب المقدس . وآرامية السامرة التي بها ترجم يهود السامرة التوراة ، وكانوا لا يؤمنون الا بها . ومثلها آرامية نقوش صحراء سيناء .

ومن فروع الآرامية : « النبطية » وكانت مدينة سلع (بترا) عاصمة النبط في بادية شرقي الاردن وقد انتشرت النبطية فيها وفي « بصرى » من إقليم حوران جنوب دمشق ، وفي « العلا » او مدائن صالح بشمال الحجاز . وعن هؤلاء اخذ العرب الكتابة، في ارجح الاقوال . . ثم الآرامية « التدمرية » التي عرفت تاريخيا بين القرن الاول قبل الميلاد وسنة ٢٧٣ بعد الميلاد عندما سقطت مدينة « تدمر » في يد الرومان(٢٠) .

بقي من هذا الفرع « اللغة السريانية » وهي لهجة آرامية قديمة نشأت وازدهرت في مدينة « الرها » قرب الحدود السورية التركية الآن ، وعرفت بالسريانية الشرقية النسطورية بعد ان دخلتها المسيحية منذ القرن الاول لانتشارها . وقد » بدات تسمى السريانية تمييزا لها عن الآراميات الوثنية او اليهودية ، لاسيما ان لفظ « آرامي » كان قد اتخذ في أذهان العامة في هذا الاقليم مدلولا يشبه لفظة « جاهلي » عند المسلمين ، أي لا يؤمن ، ويعبد الاصنام »(٢١) .

وفي مقابل لهجة « النساطرة » في الشرق تفرعت السريانية الى لهجة اخرى هي لهجة « اليعاقبة » في الغرب ، وكان ذلك الانقسام نتيجة خلاف مذهبي فرز كنيستين ولهجتين . ولا تزال آثارهما اللغوية باقية الى اليوم بجوار « الموصل » و «نصيبين» و « طور عابدين » . . في الشرق ، وفي قرى : معلولا ، جب عدين ، نجعا ، في الغرب ، قرب دمشق ، وهي من بقايا السريانية القديمة يتكلم بها المواطنون في تلك الاماكن ، ولا يستخدمونها في الكتابة .

٣ ـ الفرع الجنوبي الغربي :

وهذا الفرع يتشعب الى قسمين اساسيين هما : الحبشية ، والعربية .

وما الحبشية في الاصل إلا لغة الاقوام العربية التي عبرت البحر من مضيق باب المندب منتقلة من اليمن الى ما يعرف ببلاد الحاميين في افريقية حاملة معها هذه اللغة على موجات بشرية في فترات متباعدة لا يعرف ابتداؤها على ان ذاك يرجع الى ما قبل ميلاد السيد المسيح . وقد سميت هذه اللغة بعد ذاك « بالجعزية » نسبة الى شعب

« الجَعز » القديم ، ثم ورثتها اللهجة الامهرية . وقد توزعت الحبشة اليوم الى لهجات متعددة تنتشر هنا وهناك من بلاد الأحباش « اثيوبيا » ، وفي الصومال ، الى جانب العربية وبعض لهجات اللغة السواحلية . ومن اللهجات الحبشية « التيجرية Tigra » و « التيجرينية Tigrinna » .

ـ والقسم الثاني من هذا الفرع هو : العربية . وهو الاهم بالنسبة لموضوع بحثنا العام .

والعربية تقسم الى :

ـ عربية جنوبية .

ـ عربية شمالية .

وتعرف الأولى عند اللغويين باليمنية لأن موطنها اليمن، جنوب الجزيرة العربية، كما تعرف بـ (الحِمْيَرِيّة) وتنقسم الى لهجتين هما : «السبئية»و«المعينية»، ويرجع تاريخ أقدم آثارها المكتوبة بالخط « المسند » الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وقد بقيت الى القرن السادس الميلادي،ومن لهجاتها المشهورة : الحَضْرَمِية ، والقَتَبَانية، ولهجة مَهْرَة والشِحْر .

ـ والثانية العربية الشمالية التي اتفق على تسميتها بـ«العربية الفصحى»وتقسم عند اللغويين العرب الى : عربية بائدة ، وعربية باقية ، فالبائدة هي التي اندثرت قبل الاسلام ، واشهر لهجاتها : الثمودية ، والصفوية ، واللحيانية ، وآثار نقوشها الباقية ـ في معظمها ـ مدونة بخط مشتق من « المسند » أو من الخط الآرامي ، وهذه الآثار قريبة الشبه بالفصحى العالية التي قيل بها الشعر الجاهلي ، ونزل بها القرآن الكريم، والتي كان مهدها قلب الجزيرة العربية وشماليها .. تلك الفصحى التي بقيت وانتشرت انتشارا واسعا منذ فجر الاسلام حتى اضمحلت امامها الفروع « السامية » الاخرى كلها بعد أن استقرت لغةَ العلم والأدب والتشريع ، بل ولغة بعض الاقوام غير العربية ممن دخل الاسلام ، او بقي على دينه في ظل الحكم العربي الاسلامي . وهذا الانتشار الواسع للعربية الشمالية في الاصقاع وعلى الالسنة المختلفة ، تاريخيا ، وتطوريا ، ونموا ،وثراء ، واستمرارا هو ما سنعرض له بما يمكن من التفصيل والتتبع بعد ، بعون الله .

بقي أن نقول : ان الاسس والقرائن التي اعتمد عليها الباحثون لتصنيف هذه اللغات او اللهجات في أسرة لغوية واحدة هي من الوضوح بقدر كاف يجعلنا نطمئن الى الاقرار بانحدارها من أصل لغوي واحد ، والى أن منطلقها ومسرحها الجزيرة

العربية اصلا ، وان متكلميها هم الاقوام الذين خرجوا من تلك الجزيرة . اي ان الاطر : (الجغرافي ، والتاريخي ، والبشري ، والاجتماعي) هي الاطر التي احاطت باللغة الام ، وهيأت لها من التفاعل الحيوي والنشاط البشري ما جعلها تتوزع وتتطور مكوّنة كيانات شبه مستقلة ، ابتعد بعضها عن مركز الدائرة ، او عما يمكن ان يسمى بالاطار الجغرافي خاصة حتى بدا غريبا او معزولا (كالحبشة) . وان ترجيحنا لمثل هذا التصور مبني على حصيلة من نتائج الابحاث التاريخية واللغوية ، توصل اليها اصحابها بعد استقراء طويل متأنٍ للمكتشفات والوثائق والنقوش والدراسات اللغوية المقارنة. . من ذلك مثلا ما ذكر عن ورود الفاظ ومصطلحات في رسائل كتبت باللغة البابلية وبالخط المساري ، وكانت مشوبة ببعض الكلمات الكنعانية ، وهي موجهة من بعض الافراد الكنعانيين الى احد الفراعنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهي تشبه مادة اللغة العبرية شبها كبيرا(٢٢) . كما ان دواوين الحكومة في بابل ، في مستهل الالف الثاني قبل المسيح كانت تستعمل لغة تكاد تكون تواما للعربية الفصحى هي البابلية(٢٣) . ومما يلحظ من اوجه التقارب والتشابه في تلك اللهجات من الجانب اللغوي كثرة صيغ الجمع في الحبشية واليمنية القديمة ، والعربية الحديثة الفصحى ، وبعض هذه الصيغ جاء من الاكادية او من السريانية والارامية ، وقل مثل ذلك في اسماء الجمع، واسماء الجنس الجمعي(٢٤) .

اجل بعد استقراء طويل لخصائص تلك اللهجات وصفاتها ومقارنة بعضها ببعض لاحظ الباحثون انها تمتاز بظواهر لغوية عامة تتشابه تشابها كبيرا ، كوجود الجملة الاسمية او شبه الجملة الاسمية فيها ، وكاعتماد الفاظها او مشتقاتها على جذر (اصل) لغوي ثلاثي في الغالب ، وكتشابهها في تصريف الافعال بتضمنها صيغتين اثنتين ، احداهما تدل على تمام وقوع الحدث وانقضائه وانقطاعه ، وهي التي تسمى بصيغة الفعل الماضي ، والثانية تدل على استمرار الحدث وعدم تمامه ، وهي التي تسمى المضارع(٢٥) . وتتشابه في تشكيل اواخر الكلمات ، او وجود ظاهرة الاعراب كما في العربية والاكدية ، والاوجاريتية التي فيها ظواهر المنع من الصرف ، والتعريف بأل كالنبط (الله ، اللات ، العزى) ، ولكنها كانت تكتب بحذف الالف نحو : وهب لهي وعبدلهي(٢٦) . وبين العربية والاوجاريتية تشابه في استعمال المثنى ، وان كانت الاوجاريتية تستعمل الميم للمثنى والجمع ، والعربية تستعمل النون . وبين الساميات تشابه في اصواتها وصفات تلك الاصوات من حيث العدد والتضخيم او (التفخيم) والترقيق والاطباق ، الى جانب طغيان السواكن فيها . وتميل كلها تقريبا الى ادغام « النون » فيما يليها مباشرة من الاصوات الصامتة . (الا : انلا ، مما : من ما ، عما: عن ما . .) (٢٧) . ويقول بروكلمان :

« لايمكن بحسب قوانين المقاطع في اللغات السامية ان يلتقي صوتان صامتان في اول الكلمة ، ولذلك فانه اذا وجد مثل هذين الصوتين في صيغة ما، نشأت حركة جديدة قبل الصوت الاول ونادرا بعده ، وكونت معه مقطعا مستقلا . . (ابن ، انقتل)(٢٨).

ومن الخصائص العامة لهذه اللغات نبر(٢٩) اصوات الكلمة وفقا لطبيعة الدلالة اللغوية او الغرض من الكلام في الخطاب ، « وفيما عدا (نبر الكلمة) هناك في كل اللغات السامية ايضا ، ما يسمى بـ (نبر الجملة) ذلك النبر الذي يدرج نبر الكلمات في في الجملة » (٣٠) .

اما تشابه الالفاظ في تلك اللغات فعلى قدر كبير من الوضوح والبينة ، وخاصة تلك التي تتصل بالحيوانات المعروفة في جزيرة العرب ، وبالاعداد التي هي الادوات الاولية والضرورية في تنظيم المعاملات بين الجماعات والافراد ، وبالضمائر ، وباعضاء الجسم وافراد الاسرة وآلة العيش والعمران .

واذا ما امعن الباحث في تتبع التفصيلات واعتمد على منهج لغوي مقارن فانه سيقف على اوجه من التقارب اللهجي تعزز الاقتناع بأن عملية التطور الصوتي المعروفة كقانون عام في اللغات قد تركت اثرا واضحا يمكن التدليل به على حقيقة التقاء تلك اللهجات في اصل واحد كقولنا في العربية « افعل » بصيغة التعدية الشائعة ايضا في الحبشية والسريانية ، على حين هي في العبرية والسبئية وبعض اللهجات الارامية « هفعل » ، وفي المعينية والقتبانية والحضرمية « سفعل » ، وفي الاكادية « شفعل ».

ويضيق المجال عن تتبع امثلة اخرى وعرضها لهذا الغرض ، فضلا عن ان طبيعة هذا البحث تقتضي الا نتوفر على استقصاء تلك التفصيلات لئلا تنعطف بنا السبيل ويطول بنا الاستطراد في غير ما ننوي ان نتجه اليه اصلا . ولكن ما نخلص اليه هنا هو أن هذه الصفات المتقاربة ، والالفاظ الدالة عليها تشير الى مجتمع واحد ، او الى مجتمعات شديدة التقارب كما تصور الالفاظ التي تؤدي معنى القرابة او صلة الدم ، فهذه تشير الى تكوين الاسرة وهي خلية المجتمع الاولى التي تبدأ قبل اي تكوين اجتماعي آخر ، كما نجد ذلك في الالفاظ الدالة على تنظيمات الدولة والعلاقات الاجتماعية والقصائد الدينية ، وهذه كلها تتصل بالمجتمع في حدوده الواسعة(٣١).

بقي أن نشير الى حقيقة عامة اصبحت اليوم موضع ارتضاء واقتناع وهي ان هذا الفرع الذي أطلق عليه اسم العربية الفصحى هو ما قيّض له البقاء والانتشار، وهو أقدم صورة حية من اللغة الأم ، وهو الذي كان النموذج والمثال للغة « القدمى» الأصل . و «المستشرقون في بحثهم للغات (السامية) ومقارنة بعضها ببعض يتخذون عادة لغتنا العربية نموذجا لأقدم صورة كانت عليها شقيقاتها الاخرى ، ويفترضون ان

العربية قد انعزلت في جزيرة العرب فاحتفظت اكثر من غيرها بظواهر سامية قديمة ، اما اللغات (السامية) الاخرى فقد طرأ عليها من التغير والتطور ما باعد بينها وبين الاصل السامي القديم »(٣٢) .

٢ ـ العربية والنقوش الاثرية (مرحلة القرابة) :

ان اعتماد البحث العلمي على أدلة ووثائق مادية كالنقوش الاثرية من افضل السبل المنهجية للوصول الى نتائج سليمة ومقبولة في تصنيف اللغات والتاريخ لها ، وليس من المبالغة في شيء ان نقول ان ارض العرب تعد من اغنى بقاع العالم بتلك الادلة والوثائق الاثرية حتى ولو اكتفينا بما اكتشف منها الى اليوم . فلقد اكتشف في المنطقة العربية نقوش وكتابات تستعصي على الحصر ، دُوِّن بعضها على الحجر ، وبعضها الآخر على الالواح الطينية المشوية بالنار ، وعلى المعادن ، وورق البردي ، والجلود وغيرها من أدوات الكتابة البدائية بمختلف اشكالها .

وتمتد خارطة تلك المكتشفات الاثرية من جنوب الجزيرة العربية الى قلبها فشمالها فشرقها حتى اقصى بلاد الرافدين وشواطىء بلاد الشام وسيناء وصعيد مصر .. بعضها حلت رموزه ودرست وقيل فيه ما قيل ، وبعضها ما زال موضع مدارسة ونقاش وتأمل(٣٣) . وجدير بالذكر هنا ان نشير الى ان الكتابة بأي شكل من اشكالها ،كانت رمزا او اَمَارة على تقدم أصحابها واستقرارهم ونقطة البدايةالصحيحة للتاريخ عندهم . وربما من هنا عَزَتْ بعض الشعوب القديمة قوة الكتابة الى الآلهة والحكماء ، واتخذ منها الباحثون المحدثون شاهدا وثائقيا على رقي الفكر والتحضر وادراك اهمية اللغة . وقد مرّت الكتابة بمراحل ثلاث هي :

ـ التصويرية .

ـ المقطعية ذات الرموز .

ـ الصوتية ذات السواكن والحركات ، وصولاً الى الابجديات .

والذي يعنينا من هذه النقوش والكتابات المكتشفة في بلاد العرب معرفة مدى صلة لغتنا العربية الحالية بها ، والى اية فترة من التاريخ يمكن ان نرجع تلك الصلة؟

وتجنبا للاطالة نلتمس بغيتنا في النقوش المتأخرة التي لا تتعدى في القدم اكثر من قرنين من الزمان قبل ظهور الاسلام ، مع الاشارة الى ان الكتابات المقروءة التي تتضمن مادة علمية ومعلومات يطمأَنّ اليها لا ترجع الى ابعد من القرن الرابع او الخامس قبل الميلاد .

اجل لقد اكتشفت نقوش في سيناء يمتد تاريخها الى ٢١٠ م وحتى ٢٥٣ م ، كما اكتشفت نقوش في « مدائن صالح » شمال الحجاز تاريخها نحو ٢٦٧م ، ولكن اهمية مثل هذه النقوش ضئيلة بالنسبة الى بحثنا ، فهي لا تحتوي على مادة لغوية تتصل بالعربية الحديثة او تكفي للتحليل والمقارنة بحيث تكون اساسا للخروج بأحكام سليمة .. لذا ربما كان من المناسب ان نقف قليلا عند تلك التي عرفت بالنقوش الثمودية والصفوية المكتشفة في اماكن متفرقة من شمال الجزيرة العربية لما لخصائصها من وجوه التشابه والاتفاق مع العربية الفصحى . اما عما يتصل برموزها الكتابية « الخطية » فيقول بروكلمان :

« وقد وجدت هذه النقوش في المسافة ما بين دمشق و « العُلا » في شمالي الحجاز في ثلاثة نماذج تسمى : الصفوية واللحيانية ، والثمودية ، غير ان هذه الانواع القديمة من الخطوط ، قد اكتسحها الخط الآرامي الحامل لحضارة عالية مزدهرة ، وعلى الاخص في شكله لدى النبط »(٣٣) .

ولعل اهم وجوه الاتفاق بين تلك النقوش والعربية الفصحى ما وجده المستشرق الالماني انو ليتمان Enno Littmann وهو ان عدد الحروب الأبجدية الصفوية ثمانية وعشرون حرفا ، مثل الأبجدية العربية . وأن أصحاب تلك الكتابات كانوا من العرب ، ليس بينهم وبين قبائل العرب في الجزيرة فروق كبيرة »(٣٤) .

وقد قرر المستشرق الفرنسي رنيه ديسو ان : « اللهجة الصفوية لهجة عربية قريبة من لغة القرآن ، او هي عربية الكتابة كما يدل على ذلك اقدم نص يرجع الى القرن الرابع الميلادي ، وهو نقش النمارة(٣٥) (الذي سنقف عنده بعد قليل) . وقرر غير « ديسو » أن لغة تلك النقوش عربية فيها حروف : الذال والثاء والغين والضاد.. كما يوجد فيها أفعل التفضيل وعلامة التنبيه التي هي من الخصائص البارزة للغة العربية .

وأما الكتابات الثمودية فانما عرفت بهذا الاسم لأن بعضها وضع بوساطة القبائل الثمودية أو في بلدان كانت مواطنها في شمال الحجاز ، ولكن قد لوحظ أن هذه الخطوط كانت مستعملة عند قبائل سواها وفي مناطق غير مناطقها ،مثل بلاد نجد وهضبات شبه جزيرة سيناء(٣٦) .

ولعل المقصود باستعمال تلك الخطوط عند قبائل اخرى هو ما ذهب اليه بعض الباحثين المحدثين من انها تشبه خطوط اللغة الحِمْيَرية الخالية من رموز الحركات وحروف المد واللين ، أو العلة ، نحو «مناة» التي تكتب عندهم « مَنَتْ » ومالك تكتب « ملك » ، وأنا تكتب « أنَ » ، كما يكتب اسم « الحارث » و « اسحاق » في العربية

من تراثنا . . ولأنها كانت تكتب غالبا من الشمال الى اليمين على هيئة الخط المعيني والسبئي المعروف بخط المسند ، مما رجّح أن كاتبيها كانوا من عرب جنوب الجزيرة، وإن وجد فيها الكثير من الكلمات الآرامية والنبطية والعبرية . وقد تردّد مثل هذا الرأي في مواضع كثيرة ومظان مختلفة(٢٧) .

وبوجه عام فقد انتهت مجموعة من الاثريين مثل : إنتو ليتمان ، وزميله هالفي ، وجلازر الى القول : ان اللحيانية والثمودية والصفوية تمثل فترة مبكرة من حياة اللغة العربية في الشمال سابقة لعصر نضجها وازدهارها .

ولعل اهم ما عثر عليه اربعة نقوش متاخرة نسبيا ، وهي الاقرب الى العربية التي نعرفها اليوم في مادتها اللغوية . وقد وجدت هذه النقوش في منطقة قريبة من « الصفاة » في بلاد الشام وهي مكتوبة بالخط النبطي المتاخر الذي يشبه الخط الكوفي المستخدم في الكتابة العربية في بداية العصر الاسلامي ،واشهرها نقش «النمارة » الذي يرجع تاريخه الى ٣٢٨ بعد الميلاد والمكتشف في منطقة الحيرة من بلاد الشام ، ونقش « أم الجمال » الأول (نحو ٢٧٠م) ، ونقش أم الجمال الثاني (نحو أواخر القرن السادس الميلادي) ، ونقش « خربة زَبَد » جنوب شرقي حلب وتاريخه نحو ٥١١ ،او ٥١٢م ، ونقش « حرّان » نحو ٥٦٨م شمال جبل العرب ، والى الجنوب الشرقي من دمشق . وقد جاء هذا النقش على الصورة المثبتة أدناه منقوشا على حجر فوق باب احدى الكنائس باللغتين العربية واليونانية . وقراءته :

« أنا شراحيل بن ظالم بنيت ذا المرطور سنت ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعام » .

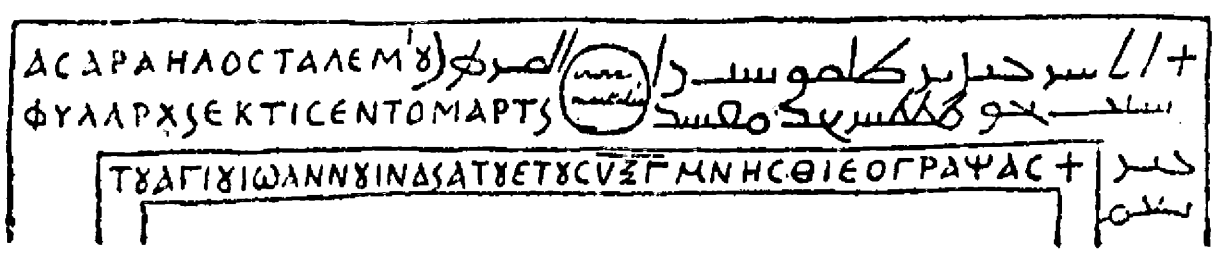

نقش حرّان

وقد قرىء النقش بتغيير يسير لا يمس جوهر الاسلوب العربي مثل «انا شرحبيل» بدلا من شراحيل ، و « طلمو » بدلا من ظلمو او ظالم . ولكن الغريب في الامر ان بعضهم ، بل ان الكثيرين ممن تناقلوا هذا النقش قرؤوا « ذا المرطول » باللام ، وهي واضحة « بالراء » كما هي في الكتابة اليونانية ، وتعني في اصلها : الشاهد ، او المستشهِد ، او الدليل ، او المشهد « ولعله كان بناء صغيرا للدلالة على ملكية اقليم ، او على طريق ، او مرحلة من طريق ، فقد كانت هذه على ما يبدو عادة امراء العرب ، وقد استمرت بعد

الاسلام ، ومن امثلتها إذ ذاك نقشان لعبد الملك بن مروان ، احدهما عثر عليه في باب الواد بفلسطين وصيغته :

[الطريق ... ، عبد الله عبد الملك ، امير المؤمنين رحمة ا ، لله عليه من إيليا الى هذا ، الميل ثمانية أميال .] ـ (إيليا هي مدينة القدس) . والثاني عثر عليه في دير كزيبه اليوناني وصيغته :

[... عبد ، الله عبد الملك امير ، المؤمنين رحمة ا ، لله عليه من دمشق ا ، لى هذا الميل ، ... اميال ومايه ميل .](٣٨)

فلعل هذا النقش كان على غرار هذين النقشين ، جريا على عادة القدماء في تخليد ذكراهم . على اية حال تبقى لغة النقش عربية واضحة ومفهومة وسليمة وان تضمنت هذه الكلمة اليونانية «مرتوريون » كما تضمنت لغة الجاهليين كلمات يونانية اخرى « كالدينار » و « السجنجل » و « الدرهم » وامثالها ، مما لا تخلو منه لغات تجاور متكلموها وكان بينهم اي نوع من التعامل او الاتصال .

وربما كان النقش الاكثر اهمية بين هذه النقوش نقش « النمارة » الذي اكتشفه « رنيه ديسو » في بادية الشام وتناقلته كتب التاريخ والآثار واللغة بصورته الكتابية ، وقيدت شرحه او قراءته بشيء من الاختلاف تبعا لاختلاف وجهات النظر والآراء التي ابداها قارئوه . وهذا النقش وجد على قبر امرىء القيس بن عمرو الذي مات سنة ٢٢٣ وفق تاريخ بصرى ، وبتاريخ ٧ (كسلول) ٢٣٨ ميلادية ، وهو محفور على حجر من البازلت ، ومحفوظ الآن بمتحف « اللوفر » بباريس ، وهذا نصه :

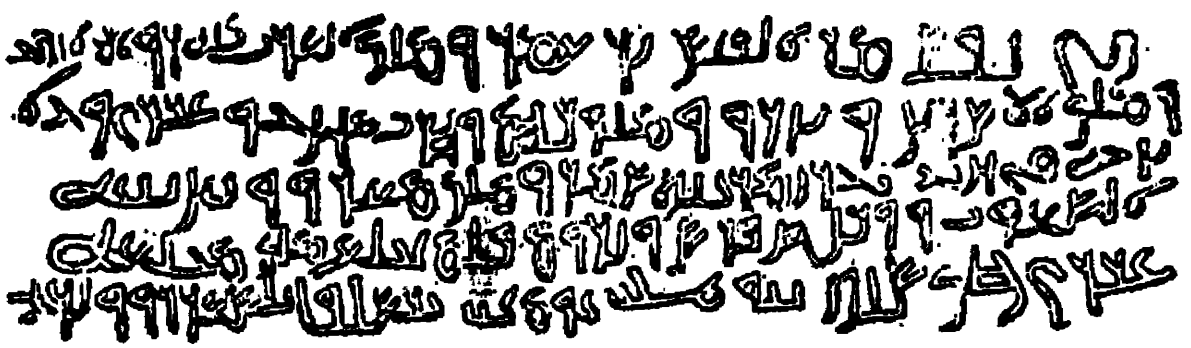

نقش النمارة

وقراءته :

١ ـ تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج

٢ ـ وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجا

٣ ــ بزجي في حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيــه
٤ ــ الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
٥ ــ عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

اي ان القراءة الموافقة للعربية الفصحى هي :

١ ــ تي «هذه» نفس امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم ، الذي عقد التاج.
٢ ــ وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم وهرّب « هزم » محجاً الى اليوم وجاء .
٣ ــ بالظفر «بانتصارات»الى مشارف نجران،مدينة شمر وملك معداً ونزّل بنيه
٤ ــ الشعوب ، ووكلهم للفرس وللروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه .
٥ ــ اليوم هلك سنة ٢٢٣ يوم٧ من كسلول «كانون الاول»فليسعد الذين ولدهم.

ونسوق في الاسطر التالية التعليلات التي نراها مؤيدة لهذه القراءة ، وهي تعليلات أو ملاحظات لا معدى عنها ، واول ما نجده من ذلك اسم الاشارة (تي) هو كنظائره التي للمفرد في العربية الفصيحة وهي (ذا ، ذي ، تي ، ذه ، ته) مجردة مما يلحق بها من (هاء التنبيه ، لام البعد ، كاف الخطاب) . ثم كلمة (نفس) ، وقد وضع بعضهم(٣٩) بدلا منها (قبر) أو (جسد) أو (جسمان) .. وليس ما يمنع من قراءتها وفهمها على الصورة التي رسمت بها « نفس » لأن القدماء من ذلك التاريخ لم يكن من اخبارهم وتراثهم ما ينفي اعتقادهم ان النفس ــ التي مستقرها الجسم ــ هي التي تدفن ، أو قد تكون عندهم مرادفة للجسم ، مكونة معه (شخصية) صاحبها ، على غرار قولنا : « هو نفسه فعل ذلك » واضعين في البال ذلك الانسان ، نفساً وجسداً . وكلمة (بر) عمرو يلاحظ انها كتبت باللهجة الآرامية ــ النبطية . ولم تكن هذه الصيغة غريبة على علماء العربية ، بل اشاروا اليها في مواضع متفرقة ، مرتبطة بغيرها كقولهم « برناشا » أي ابن الانسان(٤٠) ، و (برطلة) أي ابن الظل(٤١) ، مع التذكير بأن هذا النقش كتبه احد الأنباط فلا غرابة أن تجد فيه أثرا من لهجته . وكلمة (كله) غير موافقة للأسلوب العربي ، وهي إما «كلهم» سقطت منها الميم ؛ وإما « كلها » حذف منها حرف المد « الالف » كما حذف من « التج » . و (ذو) بدلا من الذي وفق استخدام لهجة طيىء وبعض انحاء اليمن لها . (واسر التاج) بنفس معنى عقده ، لأن الإسار ما يقيّد به الأسير ،والأسر : القيد ،وكل ذلك من العقد والربط .وعبارة «ملك الأسدين ونزرو» تعني قبيلتي : اسد ، ونزار ، وما كتابة « نزرو » إلا اثر آرامي ــ نبطي تلازم فيه الواو اسماء الأعلام ، وما تزال آثارها متوارثة الى الآن ، وخاصة في شمال بلاد الشام، وقل مثل هذا في « محجو أو مذحجو » ، وفي « معدو » .. (وهرب محجو) اي هزم،

او صدّ محجاً « قبيلة بني محج » . اما (عكدي) فمعظم الناظرين في هذا النقش من الباحثين رجّح انها تعني (حتى اليوم) او (الى اليوم) ، وقليل منهم رأى ان معناها (بالقوة) .. و (بزجي) قيل إن الباء منها حرف جر ، والأصل (زجا) ومصدره الزجاء اي التيسير والسهولة او الظفر والنجاح في حصار « نجران » .. اما عبارة « ووكلهن فرسو لروم » فقدر بعضهم انها تعني إنابة بنيه عنه لدى الفرس والروم ، وقيل ما قيل في تعليل مجيء النون الدالة على الجمع في « ووكلهن » ، من ذلك انها نون النسوة ، وانها تعود الى « الشعوب » .. ولعلها من آثار اللهجة النبطية ـ السريانية ، مما لا نزال نسمعه في بعض مناطق بلاد الشام الى اليوم بالنون وإن كان الكلام عن جمع المذكر السالم مثل « طلبهن » او « كسبهن » والمقصود رجال .. وقد اختلفت الاقوال في تفسير عبارة « ووكلهن فرسو لروم » وإن بدت متقاربة ، من ذلك : « ونديهم لدى الفرس والرومان »(٤٢) ، او « وجعلها فرسانا للروم »(٤٣) او « ووكله الفرس والروم »(٤٤) ..ويبدو من المقبول ان ناخذ بفكرة جعل ابناء هذا الملك وكلاء او مندوبين للفرس والروم حتى تكون هذه الفكرة متفقة مع عبارة « فلم يبلغ ملك مبلغه » لأن بعض ملوك العرب او امرائهم سبق ان كانوا حلفاء إما للروم ، او للفرس ، ويبدو ان هذا الملك فاقهم جميعا حين كان ابناؤه حلفاء للطرفين .. او نقبل بفكرة اخرى هي : « ووكلهم الفرس للروم » بحيث تكون « الفرس » فاعلا ، ويكون المعنى : ووكلهم الفرس لصد الروم كما كان يعبر القدماء نحو : هو لهذه القضية ، او انا له يا امير المؤمنين .. اما ان نستبعد الفرس كاسم علم ونقبل بفكرة « وجعلها فرسانا للروم » فان في ذلك اغفالا للفرس ، وهذا بعيد بقرينة ان الملك « اسر التاج » والتاج تاج الفرس ، لغة وتاريخا ، (ولا يمكن أن يكون قد تسلم تاجه إلا من الفرس)(٤٥) .

ويلخص « رنيه ديسو » حكمه على نقش « النمارة » هذا بقوله : « انه كتب بحروف نبطية في لغة عربية »(٤٦) . وهو حكم سليم لأن الرسم الكتابي المفتقر الى الدقة والمتضمن بعض الكلمات باللهجة النبطية يؤيد هذا القول ، ولا يبعد ان يكون الكاتب النبطي قد تصرف بأسلوب الكتابة ، او بما أملي عليه تصرفا يسيرا يوافق لهجته وتعوّده ، وربما كان ذلك ايضا من عوامل التاثير والتاثر نتيجة اختلاط عرب الجزيرة المتكلمين للعربية الفصحى بالعرب الأنباط المتكلمين لبقايا اللهجة الآرامية في هذه المنطقة التي شهدت وجود الجانبين ، اقامة واتصالا .

وملامح العربية في النقش جليّة واضحة : في بناء الجملة العربية ، والكلمات المفردة وفي القواعد العامة ونسق التركيب ،كالاضافة والتوكيد واسم الاشارة والاسم الموصول ، والتثنية « وملك الأسدين » والملحق بجمع المذكر السالم «ونزّل بنيه.. »، وفي التعريف على الطريقة العربية ذاتها ، ناهيك عن العبارة الواضحة : « فلم يبلغ ملك

مبلغه » . لكن لا بد من الاقرار بأنها ليست ملامح عربية خالصة ، انما ما تزال تشوبها بعض الشوائب كلغة مكتوبة . . ومن يدري فقد تكون هذه الشوائب اقل ، او أكثر في اللغة المنطوقة !! مع الاشارة الى أن الكتابة العربية ، والنبطية لم تكن بعد قد عرفت الإعجام او التنقيط ، مما يقلل من دقة الحكم على التفصيلات او من ترجيح بعض الاجتهادات في القراءة .

وثمة نقوش عثر عليها في شمالي الحجاز ، في منطقة العلا « دادان » قديما ، وفي الحِجر ، او « مدائن صالح » ، منها ـ مثلا ـ النقش الذي يرجح أن تاريخه يرجع الى القرنين السابقين للاسلام ، وقد جاء فيه :

« اني شمعة بنت ذي مرائد ، كنك إذا وحمك أول القشم من أرض الهند بطله زاهدا أول اتى به »(٤٧) . ويعني هذا بالعربية الفصيحة :

انا شمعة بنت ذي مرائد ، كنتُ إذا وحمت اتي بالقشم « الفجل » من ارض الهند طرّياً بطلّه .

وهنا ايضا لا تخفى ملامح الاسلوب العربي المميّز في الضمير ، والاسم ، والاضافة ، واداة الشرط غير الجازمة « إذا » ، وصيغة الفعل . وان اعترى نظام الجملة العربية بعض الاضطراب ، وجاء ضمير التاء في الفعلين « كنك » ، « وحمك » كافاً كما هو الى اليوم في بعض مناطق اليمن ، وهذا من بقايا خصائص اللهجة اليمنية القديمة ، أو هذه طريقة صوغ الضمير المتصل بالمفرد في الحبشية على ما يرى « يوهان فك »(٤٨) .

أما بالنسبة الى الخط فيمكن القول ان نقوشا يغلب عليها الطابع العربي قد كتبت بالخط الآرامي ؛ وان نقوشا اخرى عند اللحيانيين والثموديين ، يغلب عليها الطابع العربي ايضا ، ولكنها كتبت بالخط المعيني « خط المسند » غير أن الخط الآرامي هو الذي انتصر ، فقد تطورت نقوشه حتى انتهت الى الخط العربي الذي اشاعه الاسلام (٤٩) .

وعلى خطوط النقوش الصفوية واللحيانية والثمودية التي وجدت في المسافة ما بين « دمشق » و « العلا » في أعالي الحجاز يقول بروكلمان :

« غير أن هذه الانواع القديمة من الخطوط ، قد اكتسحها الخط الآرامي ، الحامل لحضارة عالية مزدهرة ، وعلى الاخص في شكله لدى النبط »(٥٠) . ويضيف « وقد أخذ العرب فيما بعد خطهم من النبط ، وأوصلوه بدورهم الى كل الشعوب التي اعتنقت الاسلام »(٥١) .

ويبدو أن نقش حرّان (٥٦٨ م) كان أقرب النقوش القديمة الى الخط العربي ،

وتجدر الاشارة هنا الى ان أنواعا من الخطوط والكتابات قد نشأت وتفرعت من الكتابة الآرامية منها الكتابتان النبطية والسريانية ، والخط الحيري ، والأنباري ، والرهاوي المسمى باليونانية (اسطر نكيلا) والذي شاع استعماله في بلاد الرافدين ، وبلاد الشام ، ومنه ، اخذ العرب الخط الكوفي ، فالعربي المتاخر ، من مكي ومدني ، وفارسي ، ويمني .. الخ . والذين قرؤوا هذه النقوش وحللوا رموزها في مطلع القرن العشرين مثل : إنو ليتمان ، ورنيه ديسو ، وكليرمون جانو ، وماكلر وغيرهم من الخبراء والمستشرقين ـ خلصوا الى استنتاج عام هو ان السمات العامة للغة العربية في الجاهلية هي الغالبة على تلك النقوش ، وان شابها من الآرامية بلهجاتها ، ومن غيرها ما لا مفرّ منه عند احتكاك اللغات أو اللهجات من تأثير وتأثر .

يقول رنيه ديسو : « ان الضبط التام الذي كتبت به الاسماء العربية في نقوشنا ليعد امرا لا يفوت الفقيه اللغوي التنبه له . لقد روعيت فيه ادق خصائص اللغة العربية ؛ والتوافق الذي تقيمه هذه الخصائص بين العربية قبل الاسلام والعربية التي يتحدث بها اليوم لهو توافق يدعو الى العجب حقا »(٥٢) .

وعلى اية حال فان تلك النقوش تصور طورا من اطوار العربية الفصحى الحالية في خصائصها اللغوية العامة ، وفي أساليب الكتابة والخط ، من أواخر القرن الثالث الى أواخر القرن السادس الميلاديين .

والخلاصة ان هذا القدر من المادة اللغوية والنقوش والمعلومات لا يصلح وحده أساسا كافيا نعتمد عليه لحكم علمي نهائي ، أو لنؤرخ بمقتضاه لنشأة اللغة العربية الفصحى بما ينبغي من الوضوح في الاسلوب والقواعد والخصائص ؛ بل اننا نحتاج الى مادة لغوية كافية ، والى استقراء متأن ، والى تأمل ومقارنة متسعة حتى نطمئن الى ما نقرره بشأن التاريخ لتلك المرحلة من حياة العربية اطمئنانا مقاما على ركائز من الوثائق والثبوتيات المقنعة كما ونوعا . وكل ما يمكن ان نميل اليه او نرجحه هو ما ما المحنا اليه قبلا من ان العربية الحالية ـ بسماتها العامة ـ هي وليدة « العربية القدمى » التي كان من الاصح والانسب ان تسمى كذلك ، اذ ليس عدها من اللغات السامية بادق من عدها وريثة العربية القدمى ، لان مصطلح الساميين منسوب الى سام بن نوح ، ومصطلح « اللغات السامية » مأخوذة منه ، وتسمياتها التقسيمية مرتبطة في نسبتها بالاقوام ، والامكنة ، والعواصم ، واولئك الاقوام خرجوا بها من « الصحراء العربية » على رأي « بروكلمان »(٥٣) و « موسكاتي » الذي يقول :

« وثمة حقيقة تبدو لنا ثابتة الى حد كاف ، هي ان التاريخ يدلنا على ان الصحراء العربية كانت نقطة الانطلاق للهجرات السامية»(٥٤) . و « الجزيرة العربية » هي المكان

الذي يصلح لان يكون مهد الساميين الاول ، في راي بروكلمان(٥٥) . وما دام الامر كذلك فان التسميات التي اطلقت على موجات (الساميين) ولغاتهم هي تسميات لاحقة وفرعية ، اما المنطلق فعربي ، مكانا واصلا وتاريخا بالمعايير العلمية المقبولة. ونحن في غنى عن معاودة التذكير بما سلف تقييده من رفض ونقد موجهين الى « النظرية السامية » على السنة مجموعة من العلماء والباحثين .. استئناسا بهذا كله نجد ان السمة العربية (موطنا واصولا بشرية) هي الغالبة والطاغية في هذا الميدان ، مما يرجح ويسوغ اطلاق تسمية « العربية القدمى » على تلك الفصيلة اللغوية عوضا من (السامية) ، لان الاقوام الذين خرجوا بها متفق على تسميتهم بالعرب او الاعاريب او الاعراب(٥٦) .

الحواشي

(١) جواد علي « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » : ٢٢٣/١ . ط٢ بيروت ـ بغداد ١٩٧٦ .

(٢) تاريخ اللغات السامية : ٥ ط مصر ١٩٢٩ .

(٣) فقه اللغات السامية : ١٢ ترجمة د. رمضان عبد التواب . منشورات جامعة الرياض ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

(٤) اللغات السامية : ٨ ترجمة د. رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٦٣ .

(٥) الحضارات السامية القديمة : ٥٠ ترجمة د. يعقوب بكر ـ دار الرقي ـ بيروت ١٩٨٦.

(٦) نفسه : ٥١ .

(٧) مدينة ايزيس او تاريخ العرب الحقيقي : ٤ (تعريب) : فريد جحا . دمشق ١٩٨٠ .

(٨) نفسه : ١٨

(٩) العرب في العصور القديمة : ٤٤ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٩ .

(١٠) نفسه : ٤٩ . ويقول الدكتور محمد محفل : « هذه التسمية لا تستند الى اسس علمية» مجلة دراسات تاريخية ، العدد السادس ١٩٨١ ص٦١ .

(١١) موجز في تاريخ سورية : ٩٠ ط ٠ جامعة دمشق .

(١٢) طبعة اولي ـ دار دمشق ١٩٨٢ . وكذا فعل انور الجندي ، انظر كتابه : « نظرية الجنس السامي واللغة السامية » . سلسلة في دائرة الضوء رقم ١١ . مصر .

(١٣) فقه اللغات السامية : ١٤

(١٤) الحضارات السامية القديمة : ٤٩ .

(١٥) نفسه : ٢٢٥ .

(١٦) انظر : « الساميون ولغاتهم » : ٦٨ الدكتور حسن ظاظا ـ دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

(١٧) اليونان سموها « بيبلوس » اي مدينة الكتابة او مدينة الصحف المسطورة (بوبلس) اليونانية وتعني اصلا ورق البردي . اما « جبيل » فهي بالفينيقية ـ الكنعانية « بَعْلَتْ جِبال » اي صاحبة الحدود .

(١٨) الساميون ولغاتهم : ١١٠ .

(١٩) نفسه : ١٢٣ .

(٢٠) اسم تدمر نطق آرامي « تتمر » بالعربية، ومعناها : المدينة التي يكثر فيها التمر والنخيل ، ولذلك سميت عند الاوربيين « بلميرا » . وانظر : الساميون ولغاتهم: ١١٥ . وورد حرفيا (تدمر) في رقم عثر عليها في « قبادوقية » بآسية الصغرى من القرن الثامن عشر (ق.م) .

(٢١) الساميون ولغاتهم : ١١٩ .

(٢٢) قارن بتاريخ اللغات السامية : ٦٠ .

(٢٣) انظر كلام العرب للدكتور حسن ظاظا : ٥٨ ، ط ١ ـ اسكندرية ١٩٧١ .

(٢٤) نفسه : ١٦٧ .

(٢٥) انظر : الساميون ولغاتهم : ٢١ .

(٢٦) الدكتور شوقي ضيف : المصر الجاهلي : ١٠٧ .

(٢٧) كارل بروكلمان : فقه اللغات السامية : ٦١.

(٢٨) فقه اللغات السامية : ٧٣ .

(٢٩) النبر Stress هو نطق الاصوات ببذل طاقة اضافية، او جهد عضلي اضافي ، فالمقطع المنبور يحتاج عند نقطه الى جهد اعظم من المقاطع المجاورة له في الكلمة او الجملة ، وبالتالي يخرج الصوت فيه مسموعا بوضوح وايحاء اكثر .

(٣٠) فقه اللغات السامية : ٤٦ .

(٣١) انظر : جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ٢٢٢ والحواشي ١ـ٣/ الجزء الاول .

(٣٢) د. ابراهيم انيس : من اسرار اللغة : ٢١٥ ط ٦ (الانجلو المصرية) .

(٣٢)مكرر من ذلك مثلا عدد وفير من الرقم التي اكتشفت في « تل مرديخ » او «ايبلا» قرب مدينة حلب بسورية ، وهي على جانب عظيم من الاهمية التاريخية ، ولكن نتائج استقرائها النهائي ما تزال موضع اخذ ورد ، ولم تقل فيها بعد الكلمة العلمية النهائية .

(٣٣) فقه اللغات السامية : ٢٩ .

(٣٤) انظر العرب في سوريا قبل الاسلام : ٦٢ لرنيه ديسو . ترجمة عبد الحميد الدواخلي ط ٢ ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٥، وتاريخ اللغات السامية : ١٨٣ وص :١٨٨.

(٣٥) العرب في سوريا قبل الاسلام ، ٨٦ .

(٣٦) تاريخ اللغات السامية : ١٧٧ .

(٣٧) انظر من ذلك : د. لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة : ١٤٩ ـ (بيروت ١٩٧٩) والعرب في سوريا قبل الاسلام :٦٢. والحضارات السامية القديمة لموسكاتي : ٢٠٣ ، والمصر الجاهلي . د. شوقي ضيف: ٢٨ ط ٣ ..

(٣٨) انظر : « الساميون ولغاتهم » ص: ١٧٤ للدكتور حسن ظاظا (دار المعارف بمصر ١٩٧١) نقلا عن « سجل النقوش السامية »
Repertoire D'Epigraphie Sémitique , t. 1 No : 366 , P. : 300
وقد اختار هذه القراءة « المرطور » الدكتور محمد محفل (مجلة دراسات تاريخية ـ العدد السادس .تشرين اول ١٩٨١ ـ مقال بعنوان: في أصول الكتابة العربية)، وقال ان المقصود به المزار او المشهد الذي اقيم تكريما للقديس الشهيد يوحنا المعمدان الذي قطع راسه هيرودوتس بناء على طلب سالومة .ا.هـ واختار الدكتور محفل نفسه قراءة « طلمو » بدلا من « ظالم » ص ١٠١ من المقال المذكور وناقش ذلك في الصفحات ٩٧ ـ ١٠٠ . ولعله الوحيد الذي اختار هاتين القراءتين مع تعليلهما من المتأخرين والسابقين فيما نعلم .

(٣٩) للوقوف على تفصيلات قراءة هذا النقش يمكن الرجوع الى : « العرب في سوريا قبل الاسلام » ص ٣٣ـ٣٤ والمظان التي احال عليها . و « تاريخ اللغات السامية » ص١٩٠ و « الساميين ولغاتهم» ص ١٦٥ـ١٧٣ و «فقه اللغة » للدكتور علي عبد الواحد وافي ص٩٩ ـ ١٠٣ ، ومجلة «دراسات تاريخية» : مرجع سابق .

(٤٠) جاء في « المعرب من الكلام الاعجمي » لابي منصور الجواليقي(ص٣) بتحقيق احمد محمد شاكر ط٢: البرنساء : الخلق .. واصله بالنبطية : ابن الانسان ، وحقيقة اللفظ بالسريانية « برناشا » فعربته العرب .

(٤١) قال الجواليقي : البرطلة : كلمة نبطية وليست من كلام العرب . قال ابو حاتم : قال الاصمعي: «بَرْ» ابن . والنبط يجعلون الظاء طاء ، وكانهم ارادوا « ابن الظل » الا تراهم يقولون «الناطور» وانما هو «الناظور» ـ (المرجع السابق ص ١١٦) ، وكان الاصل

أن تكتب بالالف « برطلا » مثل « برناشا »لان هذه الالف هي أداة التعريف بآخر الكلمة ،في تلك اللهجة .

(٤٢) رنيه ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام: ٣٤ .

(٤٣) د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم : ١٦٦.

(٤٤) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية: ١٩٠ .

(٤٥) وانظر : رنيه ديسو : ٣٥ .

(٤٦) نفسه : ٣٦ .

(٤٧) انظر « الاكليل » للهمداني ١٨٢/٨ تحقيق الاب أنستاس الكرملي ـ بغداد ١٩٣١ ، و « حمير واقيال اليمن » : ١٦٠ لنشوان ابن سعيد الحميري (المطبعة السلفية ١٩٥٦)

(٤٨) العربية : ١٣ ترجمة د. محمد علي النجار (القاهرة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م) . وقد رووا عن عبد بني الحسحاس (الشاعر) انه كان ينطق الكاف بدل تاء المخاطب ، يقول : « احسنكَ والله »» يريد : احسنت والله . وانظر « الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٠٨/١ » ، و « البيان والتبيين » للجاحظ ٧٢/١ـ٧٣.

(٤٩) د. شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ٣١ ؛ وانظر « دراسات في تاريخ الخط العربي » ص ١٣ لصلاح الدين المنجد (بيروت ١٩٧٢).

(٥٠) فقه اللغات السامية : ٢٩ .

(٥١) نفسه : ٣٧ .

(٥٢) العرب في سوريا قبل الاسلام : ١٥ . ويقول المستشرق الايطالي : اغناطيوس غويدي : « انها العربية الشمالية الحقيقية ، أ. انها على وجه التحديد ، لهجات دارجة تكلم بها أهلهاالى جانب اللغة التي كان النبطيون وغيرهم من العرب يتكلمون بها » . انظر « محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام » : ١٨ ترجمة د. ابراهيم السامرائي. دار الحداثة ـ (بيروت ١٩٨٦).

(٥٣) انظر : فقه اللغات السامية : ١٢ .

(٥٤) الحضارات السامية القديمة : ٥٣ .

(٥٥) فقه اللغات السامية : ١٢ .

(٥٦) ورد ذكر العرب في الوثائق البابلية ـ الآشورية علما على موطن وعلى شعب ، وكذا في كتابات المؤرخ اليوناني هيرودوتس (القرن الخامس ق.م) . ويقول موسكاتي (الحضارات السامية القديمة : ٢٠٢) « ولعل ما ترويه التوراة من أن اخوة يوسف باعوه لتجار عرب اقدم اشارة الى الشعب العربي » . ومنذ القرن الاول ق.م وردت لفظة « عرب » في النقوش اليمنية علما على الاعراب بمعنى البدو ،كما هي صفتهم في النصوص الاسلامية التراثية.

DIRASĀT TARIKHIYYAH

REVUE HISTORIQUE TRIMESTRIELLE

S'INTERESSE A L'HISTOIRE DES ARABES

3-4 / 1989
33 — 34

10e année, No 33-34; Sept. - Desc. 1989

السعر : (١٥) خمس عشرة ليرة سورية